رحلة المقري إلى المغرب والمشرق

تأليف الشيخ
أبي العباس أحمد المقري

تحقيق الدكتور
محمد بن معمر
أستاذ التاريخ الإسلامي
جامعة وهران

مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا
جامعة وهران

مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر

رحلة المقري إلى المغرب والمشرق

تأليف الشيخ

أبي العباس أحمد المقري

تحقيق الدكتور

محمد بن معمر
أستاذ التاريخ الإسلامي
جامعة وهران

منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا
- جامعة وهران -

مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر

الإيداع القانوني: 297/2004
ردمك: ISBN 9961/794-04-4

منشورات
مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر
19 شارع السكة الحديدية/ سيدي بلعباس/ الجزائر
الهاتف والفاكس: 048 546440 048 549035

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على محمد رسول الله،

إن تحقيق هذا المخطوط الموسوم بـ: رحلة المقري، ليس بالأمر الهين ولا بالسهل، فالذي ينظر إلى شكله ورسمه يدرك ذلك الجهد الكبير والعناء الشاق الذين واجها المحقق وهو يحاول فك الكثير من حروفه وكلماته أو فكّ طلاسمه. ولعل عدم توفر نسخة ثانية للمخطوط - مع أهميته - كانت من الأسباب التي زادت من صعوبة إنهاء هذا العمل.

ومع ذلك فإن جهد المحقق قد أثمر هذا الإنجاز الذي يعد بحق إضافة مهمة إلى المكتبة العربية، حيث كشف فيه جوانب كثيرة من حياة المقري وبعض أحوال عصره.

وعليه فإن مخبر المخطوطات بجامعة وهران يعتز بهذا العمل الاول الذي قام به أحد أعضائه، على اعتبار أن أحد الاهداف والمهام الأساسية للمخبر هو تحقيق المخطوطات.

مدير المخبر

أ.د. عبد المجيد بن نعمية

تقـــــديم

ـ المؤلـــف:

مؤلف هذا الكتاب هو شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمن ابن أبي العيش ابن محمد المقري التلمساني[1]، المولود سنة 986 هـ/ 1578م، والمتوفى سنة 1041 هـ/ 1631م. فهو إذن ابن عائلة وابن مدينة. إنه ابن عائلة المقري ذات التاريخ العريق التي تعود أصولها إلى القبيلة العربية الشهيرة وهي قريش، وقد أثبت قرشية هذه العائلة المقري نفسه وابن الخطيب وابن خلدون وابن الأحمر وابن مرزوق. ومن قرية مقرة الواقعة في الزاب بين بريكة والمسيلة والتي انتسبت إليها الأسرة، انتقل الجد الخامس للعائلة وهو عبد الرحمن المقري في القرن السادس الهجري صحبة شيخه أبي مدين الغوث إلى مدينة تلمسان حيث استقر بها وأنجب الذرية. فربح أولاده الأموال، ونمت ثروتهم، ونالوا دنيا عريضة لقيامهم على التجارة بين تلمسان وبين الصحراء والسودان، وتمهيدهم الطرق بحفر الآبار وتأمين التجار. كما اكتسبوا جاها رفيعا، وتأصلت فيهم جذور الثقافة والعلم.

ومن أبرز أفراد الأسرة ثقافة وعلما، وأشهرهم صيتا ثلاثة: أولهم هو أبو عبد الله محمد المقري الكبير المتوفى سنة 759 هـ / 1359م، شيخ لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون، وقاضي الجماعة بفاس على عهد السلطان أبي عنان المريني. وثانيهم هو أبو عثمان سعيد المقري عم المؤلف وشيخه ومربيه، وعالم تلمسان ومفتيها ستين سنة، وخطيب مسجدها أكثر من أربعين سنة. وثالثهم هو أبو العباس أحمد المقري مؤلف هذا الكتاب.

---

1) ليس الهدف من هذه النبذة بسط القول عن حياة المقري، وإنما أقتصر على أهم ما لابد منه، حسبما جرى به العمل عند جمهور المحققين والباحثين في التعريف بمؤلف المخطوط، لأنّ حياة المقري مبسوطة في كثير من المصادر والمراجع. ويأتي في مقدمة تلك المظان، كتب المقري نفسه وهي نفح الطيب، وروضة الآس، وأزهار الرياض، وفتح المتعال، وكتاب الرحلة هذا. ومن المصادر التي ترجمت للمقري، خلاصة الأثر للمحبي. ورحلة العياشي، وصفوة من انتشر لمحمد الأفراني، ونشر المثاني للقادري وغيرها. أما المراجع الحديثة فمنها أطروحة المقري وكتابه نفح الطيب لمحمد بن عبد الكريم، وكتاب المقري صاحب نفح الطيب للجنحاني، ونفس العنوان وضعه حسن محمد عبد الغني، وتراجم إسلامية لعبد الله عنان، والمقري لعثمان الكعاك، والزاوية الدلائية لمحمد حجي.

ثم إنّ المقري ابن مدينة هي تلمسان حيث ولد ونشأ وقرأ وتعلم، وكانت المدينة عاصمة للدولة الزيانية لعدة قرون قبل مجيء العثمانيين، فاشتهرت برصيدها الثقافي الكبير لكثرة علمائها، وتنوع علومها، وتعدد مكتباتها، ووفرة مدارسها. وفي التاريخ الذي ولد فيه المؤلف كان قد مر على دخول الأتراك العثمانيين المدينة ثلاثة عقود من الزمن، الأمر الذي أفقدها أهميتها العلمية والسياسية، بسبب معاملة الأتراك لأهلها وكذلك الحروب والفتن الداخلية التي كانت قد عرفتها الدولة الزيانية في أخريات أيامها، وعلاقتها بالأسبان في وهران، وضغط بني وطاس ثم السعديين عليها من الغرب والعثمانيين من الشرق، كل ذلك دفع الكثير من علمائها وأدبائها وشرفائها ممن فقدوا الشعور بالراحة والجو الملائم، إلى الهجرة منها غربا وشرقا. فاكتفى المؤلف بالأخذ عمن بقي بها من العلماء والفقهاء والأدباء مقيما لم يهاجر، وفي مقدمتهم عمه سعيد المقري الذي زين له الرحلة إلى فاس وحببها إليه ورغبه في أن يكمل بها علومه ومعارفه وتحصيله الذي بدأه في بلده.

وفي الثالثة والعشرين من عمره غادر مسقط رأسه قاصدا مدينة فاس التي حلّ بها في صفر سنة 1009هـ ، ومنها إلى مراكش حيث اتصل بأبي العباس أحمد المنصور الذهبي، أشهر سلاطين السعديين وقمة مجدهم وواسطة عقد ملكهم، الذي اشتهر بعظائم الأعمال، وكانت فترة حكمه من أزهى فترات التاريخ السعدي سياسيا واقتصاديا وثقافيا، إذ عرفت البلاد في عهده نهضة حضارية عظيمة. ومكث المقري هناك متنقلا بين فاس ومراكش حتىّ ذي القعدة 1010هـ، وقد انبهر بما رأى من أبهة الملك وانتشار العلم ورخاء الحياة، ولم يرجع إلى تلمسان إلا وفي نيته العودة إلى المغرب الأقصى ثانية.

وبالفعل فقد عاد المقري إلى المغرب الأقصى سنة 1013هـ بعد سنة من وفاة الخليفة المنصور الذهبي، واستمرت إقامته هناك حتىّ سنة 1027هـ ، حيث قضى فيه فترة هامة من حياته، عايش خلالها أحداثا سياسية بارزة في تاريخ المغرب، من أهمها وأخطرها أزمة العرائش. فبعد موت المنصور الذهبي دخل المغرب الأقصى مرحلة جديدة اتسمت بالصراع والتطاحن حول العرش بين أبنائه الثلاثة وهم:أبو عبد الله محمد الشيخ المأمون، وأبو فارس عبد الله الواثق، وزيدان الناصر. وفي خضم الصراع بين هؤلاء الأمراء، استفحل أمر أحدهم وهو الأمير زيدان الذي تكلم به أهل فاس وسائر بلاد المغرب في الوقت الذي ازدادت فيه سمعة المأمون سوءا، إذ ملته الأنفس ورفضته القلوب وضاق أهل فاس بشؤمه ذرعا.

وبسبب هذه العزلة التي فرضتها الخاصة والعامة عليه، انتقل إلى العرائش ومنها إلى القصر الكبير، وهناك اتخذ قراره الخطير القاضي بطلب النجدة من

نصـــارى الأســبان لتمكيـــنه مـــن العـــرش. فركب البحر إلى طاغية الأسبان مستصرخا به على أخيه السلطان زيدان. فأبى الملك الأسباني أن يمده بالعون، فراوده المأمون على أن يترك عنده أولاده وحشمه رهنا، ويعينه بالمال والرجال حـــتىّ إذا تمكـــن من العرش بذل له ما شارطه عليه. ولم يزل به إلى أن شرط علـــيه الملك الأسباني تسليمه ميناء العرائش. فقبل المأمون الشرط ورجع فنزل بـــلاد الـــريف ومـــنها إلى القصر الكبير، حيث أمر أحد قواده بإخلاء العرائش بالقوة، ودخلها الاسبان في رمضان سنة 1019هـ / 1610م.

ولما خاف المأمون الفضيحة وإنكار الخاصة والعامة عليه إعطائه بلدا من بـــلاد الإسلام للكفار، احتال في ذلك وكتب سؤالا إلى علماء فاس وغيرها يذكر لهم فيه أنه لما وغل في بلاد العدو الكافر واقتحمها كرها بأولاده وحشمه، منعه النصـــارى من الخروج من بلادهم حتىّ يعطيهم ثغر العرائش، وأنه ما تركوه خرج بنفسه حتىّ ترك لهم أولاده رهنا على ذلك، فهل يجوز له أن يفدي أولاده مـــن أيدي الكفار بهذا الثغر أم لا ؟. فانقسم الفقهاء والعلماء في موقفهم من هذه الفـــتوى إلـــى ثلاث طوائف، بين مبيح للمأمون ما فعل اتقاء لشره وخوفا من بطشـــه، وبين منكر عليه عمله ومغلظ له في الملام، وبين مختف عن الأنظار حتىّ تصدر الفتوى عن غيره. وكان المقري من الطائفة التي اختفت، وفي ذلك يقـــول صـــاحب الاستقصا: وقد فرّ جماعة من تلك الفتوى كالإمام أبي عبد الله محمد الجنان صاحب الطرر على المختصر، والإمام أبي العباس أحمد المقري مؤلـــف نفـــح الطيـــب، فاختفـــيا مدة استبراء لدينهما حتىّ صدرت الفتوى من غيرهما[1]. وهكذا كان العلماء في مقدمة وقود الفتنة إذ وقعت بسبب مكانتهم التي تجعلهم دوما هدفا لطلب التأييد والنصرة، خصوصا إذا كانوا في منصب الإفتاء لما له من تأثير على عقول الناس.

وقـــد قـــدّرت العامة والخاصة في فاس هذا الموقف في المقري واعتبرته تصـــرفا شرعيا وازداد احترامها له. وبعد ثلاث سنوات من هذه الفتنة رقي إلى أعلـــى منصب في جامع القرويين، وذلك في سنة 1022هـ تاريخ وفاة الشيخ أبـــي عـــبد الله محمد الهّواري خطيب الجامع، فخلفه المقري الذي بلغ من علو شـــأنه وارتفاع مكانته أن جمع بين الخطابة والإمامة والفتوى بجامع القرويين، وهي وظائف قلّما تجتمع لشخص واحد، ولم يبلغ ذلك إلا لمواقفه المشرفة دفاعا عن حرمة الدين ووحدة البلاد. وظل في منصبه هذا حتىّ غادر فاس.

ولمـــا أحسّ المقري بأنّ الأمور أصبحت تسير في المغرب الأقصى على غير ما يروم بسبب الظروف والتطورات الخطيرة التي عرفها هذا القطر، قرر الرحـــيل، ســـيما وأنـــه قـــد اتهم بالميل إلى عرب الشراقـــة. ففي أواخر سنة

---

1) الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1997، ج6، ص:22

1027هـ غادر المغرب الذي أصبحت أمواجه مصطخبة وأمنه منعدما وأوضاعه متدهورة، تاركا وراءه زوجته وابنته وخزانة كتبه، بعد أن قضى فيه أربعة عشر عاما. وقد أشار هو نفسه إلى هذا الرحيل قائلا: إنه لما قضى الملك الذي ليس لعبيده في أحكامه تعقب أو رد، ولا محيد عما شاءه سواء كره ذلك المرء أو ردّ، برحلتي من بلادي، ونقلتي عن محل طارفي وتلادي، بقطر المغرب الأقصى، الذي تمت محاسنه لولا أنّ سماسرة الفِتن سامت بضائع أمنه نقصا، وطما به بحر الأهوال فاستعملت شعراء الْعيث في كامل رونقه من الزحاف إضمارا وقطعا ووقصا[1].

ومن ثغر تطوان ركب السفينة التي عرجت به على الجزائر وتونس فسوسة وصولا إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة التي دخلها في رجب من عام 1028هـ . وفي ذي القعدة من نفس السنة توجه صوب مكة المكرمة وأدّى العمرة وبقي هناك ينتظر موسم الحج. وبعد أداء هذه الفريضة توجه إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم . وفي شهر محرم من 1029 هـ /1620م عاد المقري من الحرمين الشريفين إلى مصر.

ومنذ ذلك التاريخ أخذ يكرر السفر من القاهرة إلى الحرمين الشريفين وبيت المقدس ودمشق. فكان دخوله إلى مكة المكرمة للحج خمس مرات، وزيارته للمدينة المنورة سبع مرات. أمّا بيت المقدس فقد سافر إليها ثلاث مرات، وأمّا دمشق فقد رحل إليها مرتين، وعند عزمه العودة إليها والاستقرار بها في المرة الثالثة وافاه أجله. فيكون بذلك المقري قد قضى حوالي أربعة عشر عاما متنقلا بين مصر والحجاز والشام، كلها في طاعة الله وعبادته وتدريس العلم وتأليف الكتب ووضع المصنفات المختلفة حتىّ وافته المنية سنة 1041هـ/1632م بالقاهرة.

وقد ترك المقري وراءه ثروة هائلة من المؤلفات التي كتبها بتلمسان وفاس ومصر والحجاز والشام في فنون الأدب والتاريخ والفقه والعقائد، وهي تقارب الأربعين تأليفا حسبما أحصاه أحد الباحثين[2]. ومن مؤلفاته المطبوعة: كتاب روضة الآس، وكتاب أزهار الرياض، وموسوعة نفح الطيب، وكتاب فتح المتعال في وصف النعال، ومنظومة إضاءة الدجنة. في حين بقيت أغلب مؤلفاته في حكم المخطوط والمفقود، ومنها كتاب الرحلة هذا الذي أقدمنا على تحقيقه ونشره.

---

1) المقري، نفح الطيب، بيروت: دار صادر، 1968، ج1، ص:13

2) محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 271 وما بعدها.

ب ــ كتاب رحلة المقري إلى المغرب والمشرق:

ليس ثمة أدنى شك في أنّ هذا الكتاب من وضع أبي العباس أحمد المقري. فلا تكاد تخلو ورقة أو صفحة من صفحات هذا الكتاب من ذكره أو الاشارة إليه، سواء من خلال توقيعاته في اخر رسائله وقصائده التي كان يبعثها إلى غيره، أو ما كان يبعثه غيره إليه، أو في سياق الحديث عن نفسه.

أمّا فيما يخص عنوان الكتاب، وهو رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، فلم اعثر على كتاب بهذا العنوان ضمن قائمة مؤلفات المقري التي وضعها مترجموه القدامى والمحدثين. كما انعدمت الإشارة إلى أي عنوان في ثنايا هذا الكتاب من طرف المؤلف. ومما زاد الأمر تعقيدا أنّ النسخة الوحيدة المعتمدة في التحقيق مبتورة البداية والنهاية حيث يشار في الغالب إلى العنوان من طرف المؤلف أو الناسخ. وبعد القراءة الأولية للمخطوط روادتني عدة شكوك في صحة العنوان سيما وأنّ كتبا أخرى للمؤلف لا تزال في حكم المفقود. وأن بعض عناوينها تبعث على إحتمال تطابقها مع محتوى هذا المخطوط مثل البدأة والنشأة وكتاب الغث والسمين والرث والثمين وغيرهما. ولكن بعد القراءة المتأنية للمخطوط عدة مرات، ونظرا لصعوبة الحصول على نسخة أخرى منه، آثرت الحفاظ على عنوان "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق". وهو عنوان النسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية، وهي النسخة المعتمدة في التحقيق، والعنوان مسجل ضمن قائمة من المخطوطات وضعها المستعرب الفرنسي جورج ديلفان.

يستفاد من محتوى الكتاب أنه من المؤلفات الأخيرة التي وضعها المقري، حيث ذكر أنّ أحمد بن شاهين وهو الذي اقترح عليه تأليف كتاب نفح الطيب، قد استدعاه إلى بيته المصون في محرم سنة 1041هـ حين زار دمشق للمرة الثانية، أي قبل عودته إلى القاهرة ووفاته بها في جمادى الثانية من نفس السنة. فتكون المدة الواقعة بين التاريخ الوارد في الكتاب وبين تاريخ وفاته أقل من خمسة أشهر، بل انّ أخبار المقري قد انقطعت منذ أواخر ربيع الأول سنة 1041هـ وهو التاريخ الذي بعث فيه رسالة إلى شيخه محمد الدلائي صاحب الزاوية الدلائية.

يحتوي الكتاب على معلومات هامة، وهي تتعلق بحياة المقري الشخصية في تلمسان والمغرب الأقصى ومصر والشام والحجاز. ويعالج الحياة الثقافية والأدبية في عصر المؤلف، وهو يتضمن في نفس الوقت معلومات تاريخية عن بلاد المغرب وأرض الحجاز واليمن، وبعض القضايا الفقهية والعقدية وغير ذلك.

انّ الجديد الذي يحمله هذا الكتاب عن حياة المؤلف الشخصية، يتمثل في عدة جوانب. فقد ذكر مترجموه أنه بنى بامرأتين فقط وهما زوجته المغربية التي بنى بها أيام إقامته في فاس وولدت له أنثى سنة 1026هـ كما أخبرنا في هذا

الكتاب، وحين رحل إلى المشرق ترك المرأة وابنتها ولم يعد إليهما. وأما الزوجة الثانـــية فهـــي مصرية من عائلة السادات الوفائيين وقد بنى بها عندما استقر في القاهرة. ولكن نصوص الرحلة تفيد بأنه تزوج بثلاث نساء وليس اثنتين فقط، فقد بـــنى قـــبل المغربية والمصرية بامرأة تلمسانية وهي بنت المفتي محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني مفتي تلمسان وفاس، ولم يخبرنا المؤلف فيما إذ كان زواجه منها قد تم في تلمسان أو في مدينة فاس وتاريخ ذلك.

وأما أولاده فقد أخبرنا من ترجم له، أنّ المقري لم يرزق طوال حياته سوى بأنثييـــن فقـــط، بنت المغربية والتي عاشت حتىّ تزوجت، وبنت المصرية التي ماتت صغيرة، وأنه لم ينجب ولدا ذكرا. ولكنّ نصوص الرحلة تثبت عكس ذلك، فهـــي تؤكـــد أنه رزق بولد ذكر من زوجته المصرية واسمه محمد المكي، وقد وردت الإشـــارة إلـــيه فـــي ثلاثـــة مواطن من الرحلة. وذلك عندما بعث محمد الغرســـي كـــتابا مـــن مصر إلى المؤلف وهو بمكة المكرمة في شوال من سنة 1033هـــ يخبره عن صحة هذا الولد وأمه. وحين خاطبه بمصر القاضي ظهير الدين الحسني بقصيدة يمدحة فيها ويدعو له ببقاء ولده هذا. أما النص الثالث فهو رسالة تعزية من مفتي الحرمين عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد إلى المؤلف في ولـــده محمد المكي الذي مات صغيرا، والرسالة مؤرخة في ذي الحجة من سنة 1034هـــــ . كما ماتت أخته سنة 1038هـــ بعد قليل من وفاة جدتها أم أبيها، وقد تلقى المقري سيلا من رسائل التعازي في أمه وابنته، أورد البعض منها في نفح الطيب.

أمـــا عـــن أسباب رحلته من المغرب الأقصى إلى المشرق، فقد اضطربت حولهـــا الأقـــوال واختلفت الآراء وإن كانت في مجملها تتفق على أنّها سياسية، ومن ذلك أنّ أحد الآراء يذهب إلى القول بأنّ سلطان فاس هو الذي أرغم المقري على مغادرة المدينة، وأنه خرج منها متخفيا. وهو رأي مجانب للصواب بدليل ما ورد في كتاب الرحلة من أنّ المؤلف هو الذي استأذن ملك المغرب صاحب فاس وهو الغالب بالله عبد الله بن المأمون في السماح له بالرحيل. وقد أذن له في ذلك وكتـــب فـــي شأنه رسالة من إنشاء محمد بن أحمد الفاسي المكلاتي إلى سلطان الحجـــاز شـــريف مكـــة يخبره عن قدوم المؤلف إليه ويبلغه عن علمه وفضله ومكانته ويوصيه به خيرا. والرسالة مؤرخة في التاسع رمضان عام 1027هـــ، وهـــو الشهر الذي غادر فيه مدينة فاس إلى ثغر تطوان لركوب البحر، علما أنه ظـــلّ أكثر من شهر يتجول في مدن المغرب الأقصى قبل ركوبه البحر وهو ما يبطل فكرة الاختفاء.

وهـــناك ســـؤال وجيه يتعلق بنزول المقري مدينة الجزائر وتونس وسوسة واتصـــاله بعلماء هذه المدن وهو في طريق الرحلة من المغرب صوب المشرق.

وباستثناء إشارة المؤلف نفسه في منظومته فتح المتعال إلى أنه نزل بهذه المدن دون إخبارنا عن أي نشاط له فيها، فإنّ بقية المصادر الأخرى لم تشر إلى ذلك قط. ولكنّ نصوص الرحلة تؤكد لنا نزوله بهذه المدن واتصاله بعلمائها وتواريخ ذلك، إذ يخبرنا المؤلف أنه لما حلّ محروسة الجزائر، خرج يوم الخميس في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1027هـ إلى رأس تافورة صحبة جماعة من الأعيان منهم مفتي الحنفية الخطيب محمود بن حسين بن قرمان، والشاعر والأديب محمد بن راس العين الذي تبادل معه نظم الشعر بمناسبة هذا الاجتماع. كما التقى بعالم الجزائر وفقيهها في عصره الشيخ سعيد قدّورة (ت 1066هـ) الذي كان قد رافقه في الأخذ عن عمه سعيد المقري، وفي هذا اللقاء لاغز سعيد قدورة المؤلف في لفظ القوس نثرا فأجابه، كما لاغزه في لفظ الصنّبر بتسعة أبيات، وأجابه المؤلف بأحد عشر بيتا في حل هذا اللغز.

ثمّ غادر مدينة الجزائر وركب البحر متوجها إلى مدينة تونس ولمّا وصلها سافر منها إلى مدينة سوسة في مركب كبير. وأثناء إقامته بهذه المدينة يخبرنا المؤلف في كتاب الرحلة أنّ الشيخ أبا عبد الله محمد تاج العارفين بن أبي بكر العثماني التونسي إمام وخطيب جامع الزيتونة وقبل أن يقدم عليه كتب إليه يطلب منه الإجازة. فأجابه المؤلف مجيزا في قصيدة فاقت الأربعين بيتا وذلك في شهر صفر من سنة 1028هـ، وهو على وشك أن يركب البحر مواصلا رحلته صوب مصر. وعند وصول الشيخ تاج العارفين إلى سوسة قدّم للمؤلف هدية ثمّ عززها بأخرى في اليوم الموالي، فكتب إليه بقصيدة يشكره على ذلك.

ومن سوسة ركب المقري سفينة أخرى مستأنفا رحلته، وقد أنبأنا في كتابه نفح الطيب، أنّ السفينة ظلت على حذر شديد طيلة مدة السفر، من قراصنة الإفرنج خصوصا أهل مالطة الذين كانوا يطاردون مراكب المسلمين في عرض البحر المتوسط، وأنّ وصوله إلى مصر كان بعد خوض بحار، يدهش فيها الفكر والحار، وجوب فياف مجاهل، يضل فيها القطا عن المناهل كما قال.[1] وأمّا عن تاريخ وصوله إليها فقد أخبرنا في النفح أنّ ذلك كان في رجب سنة 1028هـ، وهو ما أكّده تلميذه عبد الباقي الحنبلي حين أشار إلى أنّ المقري لمّا دخل رجب فتح البخاري فأتى بما هو أعجب وكان حافظا أديبا[2]. وهذا ما دفع بمحمد بن عبد الكريم إلى التشكيك في نص الحنبلي الذي يفيد أنّ دخول المقري مصر كان قبل شهر رجب وأنّ ذلك يخالف نص المؤلف[3]. ولكنّ كتاب الرحلة يزيل هذا اللبس حين يثبت لنا المؤلف أنه حلّ بالإسكندرية بعد رحلته الشاقة في البحر في

---

1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 35.
2) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982، ج2، ص:574
3) محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص:193.

شهر جمادى الأولى [illegible]هـ. فتكون كلمة مصر الواردة في النفح وفي نص الحنبلي إنما تعني القاهرة وليس القطر المصري الذي دخله في التاريخ المذكور. وعليه فلا تناقض بين النصين. وأثناء إقامته بالإسكندرية وقبل دخوله القاهرة في شهر رجب أكمل تأليف كتابه إتحاف المغرم المغري بتكميل شرح الصغرى وهو من العقائد.

ومن القاهرة أخذ يكرر الزيارة إلى الحرمين الشريفين وبيت المقدس وبلاد الشام. وقد أخبرنا في مقدمة نفح الطيب بأنه في سنة 1037هـ كان قد دخل مكة المكرمة للحج خمس مرات، وزار المدينة المنورة سبع مرات[1]، وهو العدد الذي صرّح به في رسالته إلى محمد الدلائي المؤرخة في أواخر ربيع الأول سنة 1041هـ[2]، وكان دخوله مكة المكرمة للحج في سنوات 1028هـ، 1029هـ، 1031هـ، 1033هـ، 1036هـ، والمدينة المنورة في نفس السنوات. وفي موسمين من مواسم الحج المذكورة كانت زيارته للمدينة قبل وبعد موسم الحج، فأصبحت بذلك زيارته للمدينة سبع مرات، وذلك في موسم 1031هـ وموسم سنة 1033هـ. فقد ذكر في الرحلة أنه دخل المدينة في محرم سنة 1034هـ في سادس المرات من دخوله لها. وفي الرحلة أيضا يذكر المؤلف الأسباب التي منعته من الحج خلال سنة 1032هـ وسنة 1035هـ.

وقد زار بيت المقدس ثلاث مرات، الأولى سنة 1029هـ والثانية سنة 1037هـ، وهو ماذكره في مقدمة نفح الطيب وأكده في الرحلة، أمّا المرة الثالثة فكانت خلال سنة 1040هـ أو 1041هـ حسبما يستنتج من رسالته إلى محمد الدلائي. كما زار دمشق مرتين وذلك في شهر شعبان من سنة 1037هـ حيث التقى بابن شاهين واقترح عليه تأليف كتاب نفح الطيب، وعاد منها إلى مصر في أواخر شوال من نفس السنة وكانت هذه هي المرة الأولى وهو ما ذكره في مقدمة النفح. أمّا الزيارة الثانية فإنّ نصوص الرحلة تنفرد بضبط تواريخها، حيث يذكر المؤلف أنه حلّ بها في 16 رمضان المعظم سنة 1040هـ وكان اليوم جمعة وخرج للقائه جملة كبيرة من الأعيان، وفي التاسع والعشرين من نفس الشهر ختم درس صحيح البخاري في الجامع الكبير بدمشق واستمرت إقامته هناك حتىّ محرّم من سنة 1041هـ حين يذكر أنّ ابن شاهين استدعاه إلى بيته المصون في هذا الشهر، والغالب أنه عاد إلى مصر في شهر صفر أو ربيع الأول بدليل قوله في رسالته إلى محمد الدلائي: ثمّ عدت في هذا الوقت إلى مصر، والرسالة مؤرخة بشهر ربيع الأول سنة 1041هـ أي قبل وفاته في شهر جمادى الثانية.

---

1) المقري، المصدر السابق، ج1، ص: 57.

2) محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص:225.

ومـــن الفـــنون الأدبية التي شاعت في عصر المؤلف ظاهرة التلغيز نظما ونـــثرا، وقـــد احـــتوى الكتاب على بعض النماذج من هذه الظاهرة. ومن الّذين لاغـــزوا المؤلـــف، عـــالم الجزائـــر وفقيهها سعيد قدورة في لفظ القوس ولفظة الصـــبّر. ولاغزه ابراهيم السحوري في كلمة التيه، وعلي بن أحمد الفاسي في لفـــظ أمس، ومحمد بن عبد الرحمن الأعمش في كلمة رمضان. امّا المؤلف فقد كتب ملغزا في لفظ كتاب، وأجابه عن اللغز الفقيه عبد السلام بن الناصر الفاسي. وكان التلغيز نوعا من وسائل الترفيه والتسلية والرياضة الأدبية، يتعاطاه الفقهاء والشعراء والأدباء على السواء، ويعملون فيه الرأي والذكاء بنوع من التكلف.

ولم يخل الكتاب من الإشارات والمعلومات التاريخية التي جاءت متناثرة في ثـــناياه، وقد تضمنتها رسائل المؤلف إلى بعض أعلام عصره، ومن ذلك الرسالة التـــي بعـــثها إلى صاحب الزاوية الدلائية، وكذلك الرسالة التي بعثها إلى أحمد النقسيس التطواني زعيم الفئة الجهادية على عهد السعديين وغيرها من الرسائل، كمـــا أوردها ضمن ما أسماه بالفوائد. هذا وقد احتوت النبذة الأخيرة من الكتاب والتي عنونها المؤلف بإتحاف المنشي والمنشد ببعض كلام الإمام مفتي الحرمين ابـــن مرشد، على معلومات تاريخية تتعلق بأرض الحجاز وبلاد اليمن وموانئهما في البحر الأحمر.

والنـــبذة المشـــار إليها عبارة عن رسائل ومكاتبات كان يتبادلها مفتي مكة المكـــرمة وخطيـــبها عـــبد الرحمن بن عيسى بن مرشد مع المؤلف. ومن ذلك الرسالة المؤرخة في ذي القعدة سنة 1035هـــ التي أخبره فيها عن قدوم خمسة مراكـــب من الهند إلى الحرمين الشريفين، ولكنّ الأول منها تمت مصادرته في مرفأ مدينة المخا باليمن شمالي باب المندب وتأخر المراكب الأخرى بسبب ذلك، وعدم وصول أي منها إلى ميناء جدة، فحصل كرب شديد لأهل الحرمين. وكذلك الرســـالة المؤرخة في جمادى الثانية سنة 1036هـــ التي أطلع فيها ابن مرشد المؤلـــف علـــى أخـــبار الإمـــام المتغلب على بلاد اليمن واستيلائه على غالبها ومحاصـــرتها صنعاء، وآثار تلك الثورة على أهل الحرمين بسبب حرمانهم من غلالهم. هذا فضلا عما احتوته تلك الرسائل من إشادة بمكانة وسمعة المقري لدى أهل الحجاز، وتلبية جميع مطالبه من طرف حكامها وأعيانها، سيما تلك المتعلقة بوصاياه خيرا في شأن الوافدين من مصر وغيرها إلى البقاع المقدسة.

بقـــي أن نقول إنّ أسلوب المقري في هذا الكتاب لا يختلف عن أسلوبه في بقـــية كتبه ومخطوطاته، فقد حاز قصب السّبق في فني المنظوم والمنثور، وذلك بشـــهادة معاصـــريه فهذا شهاب الدين الخفاجي في ريحانة الألبا يقول عنه: أمّا الشـــعر فهـــو أصـــمعي باديته، وسلمان بيته، وحسان فصاحته، فما مسّ قصب الأقلام إلا سجدت شكرا، إذ رأته قبلة الآمال، وأقسمت أنّ من البيان لسحرا، لكنّه

ــــــحر الحلال. وأما المحبّي فقد حلاه قائلا: حافظ المغرب، جاحظ البيان، ومن ـــد ير نظيره في جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة، وكان آية باهرة في عـ ـكلام والتفسير والحديث، ومعجزا باهرا في الأدب والمحاضرات[1].

وهو صاحب نثر علمي سلس التركيب، سليم التعقيد، قريب المعنى، مجرّد ـــن أســاليب الكــناية والتورية وما شابهها. أمّا نثره الفني المسجع فهو متين ـركيــب، قوي البيان، حسن الديباجة، جيد السّبك، في حين امتاز نثره المرسل ـــطة التركيب، وقصر الجمل، وجزالة اللفظ. وعلى العموم فإنّ المقري كانت ـ ـيد الطولى في تقدم فن النثر في وقت كاد الإنتاج العلمي يقتصر على شروح ـتن ومنامات التصوف.

ج ــ المخطوط:

إنّ النسخة الوحيدة المستعملة في التحقيق، هي نسخة مصورة عن النسخة ـموجودة بالمكتبة الوطنية تحت رقم:3191. لأنّ البحث عن نسخة أخرى في ـمكتبات الخاصة والعامة لم يجد نفعا، وكانت الحصيلة من كل الجهد الذي بذل ـي هذا الشأن النسخة المشار إليها.

وقد دخلت هذه النسخة ضمن مجموعة أخرى من المخطوطات إلى المكتبة ـوطنــية بالجزائر في سنة1993م. ذلك أنّ حفيدة المستشرق الفرنسي جورج ـيلفــان هي التي أهدت هذه المجموعة للسفارة الجزائرية في باريس، ثمّ قامت ـسفارة بتحويلها إلى المكتبة الوطنية في التاريخ المذكور. ولهذه المجموعة من ـمخطوطــات فهرس خاص بها، حيث سجّلت النسخة المستعملة تحت عنوان: ـرحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العباس المقري.

وكانــت هذه النسخة قد آلت إلى المستشرق جورج ديلفان في شهر فبراير ســنة 1898م حسب توقيعه على الصفحة الخارجية للمخطوط باللغة الفرنسية. وهــو مــن الوجوه العلمية الاستشراقية الفرنسية المعروفة، إذ تخرج في اللغات ـشرقية من باريس وانتدبته حكومته للعمل في الجزائر حيث تولى إدارة مدرسة ـلمســان ســنة 1881م ثمّ مدرسة الجزائر العاصمة التي كان على رأسها سنة 189م، وأخــيرا مدرســة وهران حتىّ وفاته سنة 1919م. وهو معتدل في ـرئــه، اهــتم بالــتاريخ والأدب الشــعبي الجزائري. من آثاره: قصة ما جرى ـغربيين من طلاب العلم في قرية العبيد قرب وهران(1887م)، وتيسير العربية عــى الفرنســيين(1891م)، وجامع اللطائف وكنز الخرائف(1891م)، ونشر ـمعاونـــة هوداس: مجموعة رسائل خطية بشروح ومعجم (1891). وبمعاونة

---

1) المحبي، خلاصة الأثر، القاهرة، ج1، ص:302.

فوربـــيجه: مقامـــات العوالي (1913م)، وله كتاب العقيدة الصغرى المشتمل على آراء الشيخ السنوسي(1897م)، وله تاريخ الباشوات العثمانيين في الجزائر من سنة1515 إلى سنة 1745م.

ويـــبدو أنّ المخطوط قبل أن يؤول إلى جورج ديلفان كان في مكتبة الشيخ حمـــيدة بن محمد العمالي وهذا ما يستفاد من التوقيع المقيد على إحدى صفحات المخطـــوط بخط وحبر غير الخط والحبر الذي كتبت به النسخة. والشيخ العمالي نسبة إلى جبل عمّال قرب العاصمة من مواليد سنة 1813م، تتلمذ لعلماء الوقت أمـــثال محمد بن الشاهد ومصطفى الكبابطي وحمودة المقايسي وأحمد بن الكاهية ومحمد الصالح الرضوي وغيرهم. وكان العمالي أكثر زملائه المعاصرين تعمقا فـــي الفقـــه، وفـــريد عصره ووحيد مصره في علم المعقول والمنقول كما حلاه المشـــرفي. وتولـــى مناصب شرعية سامية ووظائف دينية عالية، منها القضاء والفـــتوى والإمامـــة والتدريس. وكان جمّاعة للكتب مشهورا بين العلماء باقتناء نفائســـها ونـــوادر المخطوطـــات حتىّ صار مضرب المثل في ذلك بين علماء المغرب. توفي سنة 1873م بالعاصمة.

إنّ المخطـــوط خـــال من أي ذكر لاسم الناسخ وتاريخ ومكان النسخ، وهذا بســـبب النقص الموجود في أوله وآخره وغياب المقدمة والخاتمة، ولكنّ التوقيع المكتوب باللغة الفرنسية على الصفحة الخارجية من طرف جورج ديلفان يفيد أنّ المخطـــوط كـــان لابن الخليل وهو ناسخه، هذا كل ما نعرفه عن الناسخ، وهي عبارة غير كافية لمعرفة الشخص.

وفيما يلي جملة من النقاط تتعلق بحالة المخطوط:

1- يقـــع المخطـــوط في 66 ورقة(131صفحة). مقاسه:21.5 في 15.5. وهـــو مكتوب بخط مغربي واضح عموما ولكنّ بعض أوراقه صعبة القـــراءة. وهو مرقم ترقيما متسلسلا، والأرقام مكتوبة بالعربي وعلى وجه كل ورقة وليس ظهرها. وهي ليست من وضع الناسخ الذي استعمل الأرقام الهندية في المتن.

2- هناك صفحات مكتوبة بخط مغاير وهو خط مشرقي جيّد وواضح. والصـــفحات هي:2، 3، وأغلب صفحة 4، ومن ص 50 إلى ص 61، وص 102، ونصف ص103.

3- ومن الصفحات البيضاء الموجودة في المخطوط صفحة48 و49. ولـــم يتسبب هذا البياض في انقطاع المعنى، لأنّ الصفحة السابقة على صفحة 48 تنتهي بنص رسالة الشيخ محمد بن جلال الدين البكري إلى ابن عمّه الشيخ

3 ـــ استخرجت محتويات الكتاب وجعلتها في شكل عناوين فرعية، وجميع العناويـــن الـــواردة في الكتاب من وضعنا، لأن المؤلف لم يضع سوى العناوين المشار إليها في الصفحات المذكورة آنفا.

4 ـــ إذا تدخلـــت في النص بشكل من الأشكال نبهت على ذلك بعبارة: في الأصـــل كـــذا. كمـــا نبهت على الزيادة بوضعها داخل قوسين، ونحو ذلك من الإشارات.

5 ـــ جمـــيع الهوامـــش مـــن عملنا، ما عدا المشار إليه في موضعه. وقد حاولت التعريف بجميع أسماء الأعلام والأماكن الواردة في المخطوط ما أمكنني ذلك.

6 ـــ وضـــعت للكتاب الفهارس الضرورية، كما زودته بقائمة بيبليوغرافية تتعلق بمصادر ومراجع التحقيق.

بقـــي أن نقول في ختام هذا التقديم إننا نطمح إلى العثور على نسخة أخرى كاملـــة مـــن المخطوط، وعندئذ يمكننا المقارنة بين ما حققناه وما لم نطلع عليه ولـــن يتأتى ذلك إلا إذا تخلى بعض الناس عن شحّهم بما عندهم من مخطوطات وأسدوا لأمتهم وتراثهم معروفا.

ولا يفوتنـــي أن أتقـــدم بالشـــكر الجزيل إلى السيد مدير مخبر مخطوطات الحضـــارة الإسلامية بجامعة وهران، الأستاذ الدكتور عبدالمجيد بن نعمية على تفضـــله بقبول طبع هذا الكتاب على نفقة المخبر. كما أشكر الأستاذ بليل حسني على جهوده الطيبة.

وأدعـــو الله أن يعـــدّ جهدي هذا من صالح العمل وهو الموفق والهادي إلى سبيل الرّشاد.

الاثنين: 01 رمضان 1424 هــ

27 أكتوبـــر 2003 م

د. محمـــد بن معـــمـــر

جامعـــة وهـــران

الصفحة الأولى من المخطوطة

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

[1] وكتب لي بعض علماء مصر باللّغز المسطور بمحوّله[1]، وأجبت عنه ـــ ـيء. والعذر بين في الاختصار، وعلى الله قصد السبيل.

محمد الزرقاني يخاطب المؤلف

وخاطبني بعضهم بما صورته:

ـ إماما له المعالي تقاد ... هماما منه المعاني تفاد
كم علوم أحييتها في موات ... ببيان تبديه إذا ما يعاد
وحديث رويته عن قديم ... من سناه يجود الإسناد
وفنون حققتها ككلام ... منه يحلو الإصدار والإيراد
مع فقه ومنطق ليس يلفى ... من قياس عليه لما يزاد
مع أصول منها الفروع تباهت ... من حلاها كم يزدهي الميعاد
وبه الجمع الجوامع أزهى ... من زهاء تزهى به الأوراد
حيث أزهرت أزهر الذكر مما ... جل من فضلك الذي كم يشاد
لك يا أحمد الفضائل فضل ... عنه ضد كالزود لما يزاد
جاء من مغرب إلى مشرق المجد ... جمال منه القلوب تصاد
ما عيون المهى وما الحسن للغير ... وما الملد منهم إذ تماد
وثنايا الحسنى وثغر وجيد ... وما أجّ منهم يزيد السهاد
وشيوخ وسادة وشباب ... وبدور بها شموس تقاد
لن تقل لي ماذا الجمال أقل ... من وجه مولى به ازدانت عباد
شيخ الإسلام أكمل الناس قدرا ... باذخا شامخا كما[2] الأطواد
مفرد الجمع أوحد الناس ... أعلى من تراد بين الأنام يراد
ملجأ المنتمين نحو حماه ... ولهذا سعى له القصاد
كعبة المجد بيت حمد شريف ... قبلة السعد منه جاد الجواد
أعظم العالمين أفخم من ... لم يلف له مثل ولا أضداد
آخر الناس أول في معال ... منه تحظى الإخوان والعواد
ولهذا إليه وجهت وجهي ... حيث لي منه في الوفا ميعاد
وجعلت الأمواج تتعلى لديه ... كنظام به زكى الإيجاد

---

[1] ذلك أن صاحب اللغز كتبه على نفس الورقة التي يكون قد بعث بها إليه المؤلف.
[2] في الأصل: فما.

قائلا يا جل مولى تباهى	منه دهر كما ازدهى الأمجاد
أنت أعلى من مدحتي غير إني	لك مهد نظما به الإسعاد
جاءني الفكر في الصباح وجاد	الذوق فيه وحقق الأنجاد
لم تزالوا في نعمـــة ونعيم	ذي طود فيه الكمال يزاد
وصلات الصلات تهدي إلى من	هو ذخر في الحشر وهو المعاد
مع سلام يتلوهما الآل والصحب	ومن مثلكم على الناس سادوا
ما تغنى غريد مـــدحي لديكم	واغتـــنى من نـــوالكم أنجاد
وسقينا الغيوث من جود جود	من غيوب منها وفا الأرعاد

وصاحب هذا النظم هو صاحب ما بعده، أعني الشيخ محمد الزرقاني المالكي حفظه الله.

وخاطبه أيضا قائلا:

ومما خاطبني به العلامة الشيخ محمد ابن شيخ المالكية الشيخ يوسف الزرقاني حفظه الله قوله:

يمينا لأنت البحر والغيث والندى	وأنت الذي تولى جواب أولي الندا
لأنك محراب الكمال وقبلة	لذي المجد والإسعاد يا علم الهدى
إمام المزايا عالم عامل بما	علمت وهذا شان يولي تمجدا
همام ولكن همة قرشية	بها أنت بين الناس تدعى بأحمدا
وبدر شهاب شمس فضل وعزة	ولا بدع إن البدر من مغرب بدا
معيد مفيد نعمةٍ ومسرة	مجيد مجيد يا أبا المجد للجدا
ومنصور رأي والسليمي صدره	مراد مريد ما تزال مؤيدا
لرأس العـــالميـــن مـكلل	بإكليل درّ لم يزل منتضدا
وشيخ الإسلام محقق علمه	وعمدة آل الدّين في روضة اقتدا
ملاذ المزايا في مرايا جمالة	تصور شكل منك كالروض وردا
فلا برحت علياك بالنعم تنتدى	بمحفل شمل جمعه قد تفردا
ولا زلت تبقى في سرور مخلد	مدى الدهر ما غنّى الحمام وأنشدا
يمينا لأنت البحر لا زالت موردا	بمطلع ختم المجد أين توحدا

---

[1] آل الزرقاني بيت علم شهير في مصر، منهم محمد هذا وأخوه الشيخ عبدالباقي شارح مختصر خليل وبه اشتهر، وأبوهما يوسف شيخ المالكية وله مع المؤلف مراسلات أيضا، وحفيده محمد بن عبدالباقي وغيرهم.

ـؤلف يخاطب بعض الأصحاب الأعيان

ـــ ـدـــ بـ بعض الأصحاب الأعيان ما صورته: بعد إهداء طيب ــــ ـشئة من أرجاء القلوب، وإبداء صيب الدعوات الفاشية في أنحاء ـعـيـ. لا يشينها قصور اللسان عن وصف معانيها، ويزينها حلول الحسان في ـــ مغانيها، وأنفع ابتهالات بضياء مناها، تتهلل ديار الأحباب وتستجلي ـ . وأنفس تضرعات يداني جناها، تتكلل بهجة تستحلي منه مرورا، من ـــ سبح في بحار المحبّة تخرج مكنون جواهرها، وفكر سنح له امتداح أحبابه ـ من مواطن خزائنه ومكنون ظواهرها.

وكتبت أيضا:

أبقى الله رتب المعالي التي بها أسعد، ورقى مناصب الموالي وأصعد، ـ ـ آيات المعاني في محاريب المثاني متلوة، وعرائس البيان البديعة على ـ الشريعة مجلوة، وحقائق العلوم الربانية بالعناية الصمدانية محفوفة، ـ ق الابتهاج المريعة وأكواب الفوائد مرفوعة، ونمارق الحقائق مصفوفة، ـ من زان صدور هذا الأوان بجواهره، وأبان سرور الزمان بمظاهره، وأقام ـ ـحق عمادا، وبلغ به للعلماء آمادا، شيخ مشايخ الإسلام كبير الموالي الأعلام. ـ ـرب للعفاة بالآمال نواصيها، المتسنم من المحامد صياصيها.

إبراهيم السحوري يكتب إلى المؤلف ملغزا في لفظ التيه

/2/ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد النبي الكريم، يقول ـ الحروف: كتبت لشيخنا الآتي وصفه، أطال الله بقاءه وعمّه لطفه، لغزا في ـ التيه، فأجاب بما يسر الخاطر ويشفيه. فقلت سائلا: بسم الله الرحمن الرحيم، ـ لله هادي الحائرين، ودليل السائرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ـ سواء الطريق، وآله ذوي الفضل والتحقيق، ما اهتدى حائر، وفاز بالنجاة ـ . أما بعد:

فالمعروض على مسامع مولانا ذي الفضائل والفواضل الجمة، والمحاسن ـ صار بها بين الأنام أمّة، علامة المشرق والمغرب، وإمام كل ذائق معرب، ـ ذائق مغرب، المتفنن بالفنون النصائع، والساجع على أفنان البلاغة بأفصح ـ سنائع، الفائق الشهاب، روض الطالب وتحفة الطلاب، ألا وهو الشيخ الإمام، ـ مولى الهمام، أحمد بن محمد التلمساني نزيل فاس، أمتع الله بوجوده الناس، ـ ـد النبي محمّد صلى الله عليه وسلم خلاصة بني إلياس، آمين رب العالمين.

أنّي رأيت شيئا عجيبا، ونوعا من اللفظ غريبا، يتنوع فيه التصريف، ـ ـير معانيه بالتصحيف والتعريف، وتلك المعاني مستعملة . وتقاليبه في الغالب

غير مهملة، تتيه في معناه أهل المعرفة، ويتوخون هاديا ذا معرفة، وهو اسم مكان ليس وزنه مفعل، والظاهر أنه مشترك لكنه عند الإطلاق على المكان أدلّ، يوجد لفظه في قلب تصحيف (الوصف من)[1] طعامٍ هني، وكذلك لم يته فيه ولم ينه عنه ذو مقام سنّي، يماثله معنى القصد إذا صُحِّف وحُرِّف عند الفقهاء وأهل الحديث، ويقايضه كذلك القطع ولامه ليست للتعريف، لكن فيه تأنيث، قول مفرد ذو النباهة ينظر منها إلى وجوه وفيه على اختلاف النظر فيها مقاصد تعروه. ويا لله العجب فج مسلوك، ونهج غير متروك، استوطنه برهة من الزمان، سلالة من الأعيان، إذا رآه السالك ولّى مدبرا ولم يعقب، وإن حل به لم يزل لوجه التخلص[2] منه متفكر مترقب فيه التعريف، ويمنع القائم به من التصريف، وهو اسم مفرد أو فعل أمر إن لحقته ياء المخاطبة، وحينئذ تجتمع إشارتها والضمير للغائبة، وإن خاطبتها بمصحفة ربما فارقتك، وقد تراجع إن شئت ولو ما وافقتك. وإن سألت عن قلبها قالت: هيت لك. أو وزنها تقول: حين قلت لك، وإليه بزيادة يا مصحفة، وربما مر به من قصد الحجاز من المغرب أبدا. وقال بعض الأثبات إنه مصحف من نيات أو ثبات، وماضيه وزنه قال، لكن جوفه ياء وهو في/3/ ذلك والإسم سواء، موزونه ثقيل كفيل، ولا يكشف كرب الحال به إلا خبر الكفيل، ومن غريب أمره أن رجله في فيه، وجوفه معتل، وذلك ظاهر فيه. وضده ينبي عن الإعجاب، وربما يجد نوعا من العتاب، وذو الثلثة فعله يتايه، ومن ضد إسم الفاعل منه لم يزل تائه.

وحينئذ لغطه لا يستحيل بالإنعكاس كقول الأدباء: ساق قاس. وإن رام مثال المبالغة ثناه تصحيفه إلى مرامه وحياه وبياه مثلها فيبلغ القصد من فحوى كلامه، واسم المفعول منه لم يبرح قاصر. وطال ما حل ومر به متمّ وقاصر. وكم أمطره هتان وظلله غمام، وفي القرآن الكريم خصوصية لأهله من بين سائر الأنام. ومتى كان آخره وسطا الخفي حروفه، أو جعلته أولا أهمل تثنيفه. فلما رأيته بهذه المثابة أكثر العبد من تقلب ألفاظه وتنقل معانيه إعجابه. فأمسكت عنان اليراعي وعلمت أن جميع اطرافه قد لا يمكن عليها الاطلاع. لكن مولانا حفظه الله بحر زاخر الأمواج، تتيه في جانبيه حذاق الولاج، بل هو شيخ البر والبحر، وكلامه هو الدر، لقلائد النحر ولزبدة السّحر. فالمسؤول من فضائل مولانا نفعنا الله بعلومه، وهدانا تدبر هذه المعاني والكشف عنها، ويعذر العبد إذ تعجب منها فعل العبد أن ينحو من ولد الحاير فيه، ويفوز بإرشادكم بالنجاة من مهاويه، ووحشة نواحيه، لا زال حفظه الله هاديا مهديا، موليا للبر وللبر وليا، امين بجاه النبي الأمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه

---

(1) كتبت في هامش الورقة.

(2) كتبت في المتن الخلاص ثم صححت في الهامش.

ـجمعون والحمد لله ربّ العالمين، كتبه وقاله ـمحب ـصـادق ابراهيم بن محمد ـسحوري[1] الشافعي المقرئ الأزهري، وفقه الله بمنه وكرمه وعونه ويمنه.

حـ ـة المؤلف عن اللغز:

فأجاب أمتع الله بوجوده الأحباب، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله ـى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أحْمَد من أطلع على الحقائق، العارفين ـدقائق، المتسمين بأوصاف أهل الرقائق، فلا تيه ولا إعجاب، وأرشد إلى معالم ـي من اختاره من الخلائق، على يد المبعوث بأحسن الشمائل والخلائق، ـ ـة الكبرى يوم تنقطع الأسباب والعلائق، وتكشف الأسرار ويرفع الحجاب، صلى الله وسلم عليه وعلى أصحابه الهادين إلى خير الطرائق، ذوي المعنى ـدق. واللفظ الرائق الذين انقشع بهم سحاب الجهل وانجاب.وبعد:

فقد سرحت الناظر في هذا الروض الناضر، وأتعبت الخاطر في استخراج ـ ـخبء حتى شممت عرفه العاطر، فإذا به مباخر الألوّة، ومفاخر من نرجو ـ ـه أن يديم علوّه، وهو الفقيه الأديب النحرير، المقرئ المجود صاحب التنقح ـحرير، المحصل العلامة الألمعي، الدراكة الفهامة اللوذعي، سيدي/4/ الشيخ ـ ـهيم بن محمد الشافعي الازهري الشهير بالسحوري، حرس الله كماله وبلغه ـ ـه. فيا له من لغز حشر المحاسن، وورد ماء البلاغة غير الآسن، حسن منحا ـتصريف، وتنبيه وتعريف، فما شئت من نمارق الأدب مصفوفة، وزرابي ـ ـب بالفهم محفوفة، وأنهار مطرده، وأطيار غرده، وكاعب تبرجت رافلة في ـ ـب التيه زهوا، وسكنت من البراعة بهوا، أن تصحف اسمها نَبُهَ من له فهم، ـي مباعدة ساحتها خشية أن ترميه من لحظها بسهم، وإن محا أحد خاليه، عمل ـ ـة في جالية، وقلبه إن انحلت من وسطه حية، هبت نسمات الهوى من تلقائه، ـ ـهيك من هبة، وإن أعدت النظر فيه هبت أمره، وأنشدت زعم العواذل التي في ـمرد، وإن رامت بنات الأفكار الابكار أن تتزين للخاطب، قال لها زوج ـصواب وهو في غير حبل الوصل حاطب، أنت طالق البتة، فساها ما حل لها ـ البينونة بغتة، وهكذا من عاند من هو فوقه ألبسه الخجل طوقه، ولم يميز بين ـحضيض والعرض، وكان كبني إسرائيل إذ تاهوا في الأرض، وأنى تبارى تلك ـعقيلة أو تجارى، وقد زكت أصلا ونجارا، فمن عرف ما أعطيت من الجمال ـ لها: تيهي، وإن سئل عمن عني أشار لها بقوله: تي هي، فأخذه من الدهش ـيت، واستحال بالانعكاس حين قال تهت، وتصحيف مثال المبالغة شذ عن ـ

---

[1] ـبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن المالكي الأزهري (ت 1080هـ)، مقرئ، من المشتغلين بالحديث، وهو من إخميم مصر، من كتبه: إيقاظ الوسنان في معاملة الرحمن، والدرر المنثورة، وفتح القدير بترتيب الجامع الصغير. الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 67.

يؤسس على قواعد الإجادة ما بناه، فأمسك الحنان، وقال لست ممن يحسن هذا الافتتان،وفي الإشارة ما يغني عن الكلم، والله المسؤول أن يجعل جميعنا ممّن سلم فسلم، قال هذا وكتبه عجلا خجلا العبد الفقير المقري أحمد بن محمد المالكي أخذ الله تعالى بيده، تمّ والحمد لله.

كتاب الشيخ حماد إلى المؤلف

وكتب لي بعض علماء مصر وهو الشيخ حماد ما نصه:

يا أحمد الأوصاف يا كنز الدرر ... يا عالم التوحيد يا راوي الخبر
تروي الحديث معنعنا ومسلسلا ... فكأنك البحر المحيط إذا زخر
مقياسك الأعلى يلوح بروضة ... وبنورها الأنواء جادت بالمطر
يا كوكب الأنوار يا شمس الهدى ... يا بدرها السامي، ويا نجم زهر
لله درك من إمام عارف ... بطل شديد وهو للأعداء قهر
فلأنت عالمها وأنت إمامها ... ولأنت بدر مغربي قد بهر
وحظرت في برد الكمال مؤيدا ... يا خير من حاز الكمال ومن حظر
وبدرسك الجم الغفير ذوو العلى ... شهدوا بأن لك المقام المستقر
وعرجت في معراج صدق راقيا ... لمقامك الأعلى وجاوزت السدر
سدر المعارف والعوارف حزتها ... معنى بلا حس لك المولى نظر
حز الشفاء فكن لربك شاكرا ... وعياض في نص الشفا لكم شكر
يا من من الكرى يجود على الورى ... وكذلك الوسطى وبالصغرى أمر
ومنها خذها من العبد الفقير ... هدية وهي التي حلت بأنباء الفكر
وأنا الأمين بن الأمين نظمتها ... حمادك العبد الفقير لكم شكر
عذري وحقك واضح لمن اهتدى ... ضعفت قواي وخانني حتى البصر
وسألت عنكم زائرا فأسرني ... ببشارة مني بها زال الضير
وصلاة ربي للنبي المصطفى ... خير البرية من به باهت مضر
ولآلــه ولصحبــه أهــل التقى ... مع من تلاهم في الورد وفي الصدر

رسالة الحكم في زيادة العلم من الشيخ أيوب للمؤلف

/5/ الحمد لله، لما زرت القدس الشريف سنة 1029هـ[1] ورد عليّ فيه مكتوب

[1] كتب على الحاشية: ثم لما زرت البيت المقدس سنة 1037هـ، لقيت المذكور هناك ووفق الله بين السمع والبصر ثم التقينا بدمشق أيضا ولله الحمد.

من الشيخ أيوب الإمام[1]، بحضرة الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه بصالحية دمشق المحروسة ونصه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أنزل علوم الإلهام، على قلوب ذوي الأفهام، وأجلى أسرار الأبرار، على الأكوار والأدوار، وحرك دائرة الوجود، على قطب محور الشهود، وسكن حركة الوسط، لتميز القرب من الشطط، ولاقى في الامتداد الكوني بين المركز المحيط، لشهود التساوي في الحقيقة بين المفارق والخليط، لانتساب الجميع إلى الوحدة المطلقة في العرفان، واعتبار الجمعية بالأحرية المحققة في الأعيان، وكلف الإنسان رتبة التبيان، ليكون له نعم الترجمان بينه وبين الأكوان، فقام العلماء في هذه العصرة الفارغة من عين الرسول، وإن كان موجودا بشريعته فشمسها ليس لها أفول، مقام الأنبياء والرسل، لإيضاح المناهج والسبل، فكانوا فيها كما كانوا، وبانوا عما منه بانوا، زهدوا في السوى، ونهوا أنفسهم عن الهوى، وراحوا عن الكون، إلى أن نزلوا من الحق منازل الصون، فهم الأحباب المحبرون تحت القباب، حيث فتح لهم الباب، فصاروا من أولي الألباب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الربوبية المطلقة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي شمس نوريته مشرقة، وتصرفات لاهوتيته مطلقة، وأحوال ناسوتيته محققة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه واتباعه وإخوانه وأحبابه وسلم تسليما وبعد:

فهذه رسالة الحكم في زيادة العلم جعلتها واسطة المحبة، وعلالة القربة، بيننا وبين الأخ في الله الحبيب القريب، والنجيب اللبيب، هو سيد العلماء بالمغرب الأقصى، وعلم الحكماء في الاستقصاءات الحقيقية بالاستقصاء، الجامع بين الأصول والفروع، والسامع من الإلهام الإلهي فما له عنه نزوع، الشيخ أحمد المقري التلمساني الأصل والمنشأ، الفاسي الدار، لا زال لواء العلم المحمدي على رأس رياسته خافقا ونور الذكر المفردي لرتق معالمه فاتقا، بمنه ويمنه آمين.

ألا يا احمد المقري يا من … له في العلم باع فيه طول
ترق على الزمان ومن حباه … علوم الوهب فهو بها يصول
وزل عن عجب ذاتك غير مصغ … لوسوسة وقل للخلق قولوا
إذا قالوا فأنت أخو المعالي … وهم عن شأو مجدكم نزول
علوت على السماكين ارتفاعا … وأنت على السكينة لا تزول
ففيك تواضع من غير وهن … وفيك حماسة وبها شمول

---

[1] أيوب بن احمد بن أيوب القرشي الماتريدي الحنفي الخلوتي (994-[illegible]هـ) شيخ من كبار المتصوفين. أصل آبائه من البقاع العزيزي في الشام، ومولده ومنشؤه ووفاته في دمشق، تلقى أنواع العلوم، وكان شيخ وقته. له عدة رسائل منها: ذخيرة الفتح، ورسالة اليقين، والرسالة الأسمانية في طريق الخلوتية، وغيرها. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص ص: 428-433.

إذا رامت منازلكم أناس فسعيهم الأباطل والفضون
لأن حماكم حام دمارا وجارا ليس يعروه خمول
خليلي أصعدا بي نحو نجد لعل نسيمها الساري قبول
وحلا حيث فاح الشيخ أيلا وبان الحي إذ بان الطلول
وقولا للفريق لكم خليط به وله يخالطه شمول
عسى أن يعطفوا لطفا عليه فدأبهم لمن يغشى القبول
نزلت بهم وحق الجار حق ولو بعدت معاهده تلول
فلا أنا عن هواهم قط سال ولا من طول هجرهم ملول
ولكن بي من أهل الحي ما بي وهم في بهجتي أبدا حلول
فلا أصغي على عزل وواش لقد والله ملني العزول
ولي منهم رقيقة من ود تواصلني ولو عز الوصول
فكيف يروم واش خير عهد ولا يدري بما جاء الرسول
لنا منه ظهور في بطون وجهر في خفاء لا يحول
/6/ يسامرنا وليل الناس داج ويحملنا وحاملهم كليل
ونم قام قائمه علينا وواصله من المعنى بليل
علمت بأننا ما إن بقينا فمنزلنا بدنيانا جليل
وفي أخرى نرى من غير جود منا لا يرتضيه لنا منيل
فكن لي يا شهاب الدين خلا فيا نعم المخالل والخليل
عقدت علي مودتكم ضميري وها أنا تحت أخمصكم ذليل
فسر في أرض قلبي لا تبالي لحج البيت إذ سارت قفول
فكل الكون من شرق وغرب لهم فيه مسير أو نزول
وخذ من علمنا الصافي زلالا لتروى إذ به أصل أصيل
فلا زالت مطاياكم سراعا إلى كل الفضائل إذ تحول
ولا زلتم كما شاء اقتراحي لكم من خاطري أبدا زميل

قال الله تعالى: "وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَّبِّي زِدْنِي عِلْماً"[1]. ولعل هذه الآية تكون هجيري للمولى المذكور، فهو بها إن شاء الله أولى طلب الحق من نبيه صلى الله عليه وسلم الأناة في التلقي ليكون أوعى لسمعه، وأجمع لقلبه، وأوقر للبّه، وأسكن لفؤاده، وأصفى لسرده. فإن المحل المحمدي النزيه، لا يزال متهيئا مستعدا قبل الاستعداد البشري بقابلية تهيئة دائمة، بدءها في ذلك كفايتها لوجود العصمة الذاتية التي تقضي ببرهانها القوي، على محلها بالفراغ، عن السوي والتجلي المتتابع بلا انقطاع، وإن كان الوحي وقتا

(1) سورة طه، الآية: 114.

دون وقت، فالشهود الإحساني مستمر على ممر الأحيان. وفي شمائله صلى الله عليه وسلم، أنه كان يذكر الله على كل حينه. والذكر نيل القربة وعلم الزلفى. ووسيلة الأحباب، فكيف الحب الأزلي الأصلي الذي جميع المحبات فائضة عن معين ذاته، وسائر النعوت والصفات نازلة من ذروة صفاته، وسر العجلة إنما هو خوف الفوات، والكل له صلى الله عليه وسلم أولا وبالذات، ولغيره ثانيا وبالعرض ومنه وعنه وبه وإليه وفيه باعتبار خلق الأشياء من نوره، وحصر بعضها ببعض واستناد المسببات إلى الأسبب وتعلق المؤثرات بالاثار، ورجوع النهايات إلى البدايات، وفيض الأنوار عن الأسماء، وكل ذلك متحقق فيه صلى الله عليه وسلم، من حيث أنه أول البدء وأصل النشر، وهو الفاتح الأزلي والخاتم الأبدي، وإنما نهاه عن العجلة في الاية، لأن الأمر لا يدخل تحت الحكم، فكان التسليم لمقتضاه هو المطلوب، وأما العلم الذي طلب الزيادة منه فهو العلم الكامل. وهو الذي يطلع حامله على الأدب الجامع ولا يتخلص منه صاحبه دنيا ولا أخرى، بل هو مستزيد منه أبدا وهو العلم بالله وبأحكامه، وقد أعجلنا عن كمال هذه الرسالة وأردنا الامتداد فكان الاختصار هو المطلوب والسلام. انتهت رسالة الحكم في زيادة العلم.

رثاء المؤلف لابن أبي الفضل الصديقي الوارثي

وقلت على لسان بعض:

هاج شجوي وللزمان حوادث ... فقد نجل من ال عبد الوارث[1]
قد رماه الردى بسهم مصيب ... وانبرت نحوه المنايا الحثائث
أي غصن ذوى بدوحة مجد ... أي نجم هوى لدمعي باحث
فغدا مسرعا لجنات عدن ... في حوار الخليل ليس بحانث
إن يكن سنه صغيرا فإن ... القدر أعلى من النجوم المواكث
أو يكن حان فيه قصد فإن ... الوعد بالخلف عنه ليس بناكث
أبا الفضل يا من أبرم للمجد ... حبالا وثيقـــــة لا رثـــــائث
وابن ثان الرسول في الغار ذو ... البيت المصفى من القذر والخبائث
لا فجعتم من بعده بمصاب ... وسلمتم من الخطوب الكوارث
وبقيتم حتى تـــــروا من بنيكم ... وبنيهم من فوق ثان وثالث
ما تغنت بالعود طير صدوح ... بمثان في عـــــودها ومثالث

---

(1) ال عبدالوارث بيت علم شهير في مصر وأفراده كثر. وفي هذا الكتاب مراسلات وإجازات بين المؤلف والبعض منهم. ونسبهم إلى أبي بكر الصديق متفق عليه ومشهور في مصر.

/7/ وكتب إلي فخر المدرسين بدمشق المحروسة، الحسيب النسيب ذو الأخلاق المأنوسة، المولى محمد بن القاضي المولى يوسف الكريمي[1] حفظه الله بقوله -وقد نزلت في دار بقربه-:

ليهنك بعد البعد جوارك البدر ... وبعد التنائي قد دنا وانتفى الهجر
صبرت فأحرزت المراد من المنى ... كذا كل حلو رمت ينتجه الصبر
وبي كل سحار اللواحظ لو أتى ... بفعل لوافاني مقـرا به السحر
دهـاني فـاستعـذبت من عذابه ... وفيه تساوى عندي الحلو والمر
غدوت به طوع الغرام فلست من ... يضر به في حبه السر والجهر
به غزلي أضـحى وفيـه مدائحي ... ومني لعليا مجده النظم والنثر
فغيري يسبيـه جمـال وزينـة ... وتيمني في الفضل أخلاقه الغر
إمام هو الطود العظيم فضائلا ... وحبر إذا ألقى العلوم هو البحر
سنى فضله قد عم شرقا ومغربا ... كنور ذكر ما اختص يوما به قطر
إذا رام يملي من جواهر لفظه ... تقول أبحر بين جنبيه أم صدر
به قد رأينا حجة الحق حافظ ... الزمان إمام الدهر وانبلج الفجر
هو البحر عذبا صافيا ما وردته ... له المد لكن ليس يزري به الجزر
همام حبا الله الشئام به فقد ... غدا خالصا دون البلاد لها الفخر
فأحيى ربوع العلم منها بفضله ... فدونك وهي الروض ريان مخضر
فقد عمني مع أهل جلق يمنه ... وقد خصني فضلا بجيرته الدهر
ففخرا لعمري في الورى بمجاور ... به تتمنى منزلي الأنجم الزهر
تود الثريا صحبتي من صحبته ... ويرجو بأن يرقى مكانتي النسر
أمولاي عذرا في اختصاري مدحة ... وددت لو أن البحر من أجلها حبر
لئن كنت في مدحي علاك مقصرا ... بدهري فمن الذنب والأدب العذر
ولكن من يحظى بحدته راشد سعيد ... عداه السوء والضيم والضر
بمجدك أضحى عبدك الدهر سيدي ... يعاملني ما عامل السيد الحر
ودم ماجدا نهديـه در مدائح ... ومن عجب يهدي لبحر الندى الدر

خدمة الداعي محمد الكريمي.

---

[1] هو محمد بن يوسف بن يوسف الكريمي الدمشقي، أديب الشام، تتلمذ للشيخ فضل الله بن عيسى وعمر القاري وعبد الرحمن العمادي والمقري وغيرهم. كان متقنا للغتين الفارسية والتركية، له ديوان شعر باللغات الثلاث، تردد على بلاد الروم كثيرا، ولد سنة 1008هـ. وتوفي في شهر ربيع الأول سنة 1068هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص ص: 273-280.

ومررنا ذات يوم بالميدان الأخضر. وكحلنا الأعين الرمدة بإثمد ذلك المنظر، حيث صدر البازي والجناحين. فقال يخاطبني بديها، ثم كتب به إليّ حفظه الله:

بالمــــرج ما أشبهنا يا بـــدر ... نحن الجناحان وأنت الصدر
والبحـــر قد شاكلنا يا در ... أطرافه نحن وأنت البحــر
والأفـــق مـــولانا ونحن الزهر[1] ... فالشمس تحتـــاط به والبــدر
لا زال في ذا الدهر وهو الدهر[2] ... إليه ينقـــاد الدجى والفجر

الداعي محمد الكريمي.

المؤلف يتذاكر مع الأعيان ما قيل في جلّق من أمداح

ومررنا مع الأعيان أيام العيد بمرج الدحداح، وتجلت لنا من محاسن دمشق بكرداح، وتذاكرنا ما قيل في جلّق[3] من الأمداح، فقلت :

مقابر الشام أحسن ... من قصور الغير

فتبارى الجماعة للتوطئة لهذا البيت مواليا، فقال الشيخ محمد بن سعد الكنشني:

قالوا الأستاذ أقبل ... في سنين الخير
أيّ المدائن تراها ... تعجبك للسير
دمشق أم مصر ... جاوبهم وزال الضير
مقابر الشام أحسن ... من قصور الغير

وقال أيضا

أستاذ عارف مكمل ... فاق أهل العصر
سئل عن أي مدين[4] ... قد زهت بالنصر
دمشق أم مصر ... جاوبهم بغير الحصر
مقابر الشام أحسن ... من علالي مصر

وقال سيدي يحي المحاسني :

لما مررنا على ... الدّحداح وقت العصـــر
في خدمة المقري ... شيخ الورى والعصـــر

---

(1) في خلاصة الأثر: والافق مولاي وفيه الزهر.
(2) في خلاصة الأثر: ودمت في الدهر وأنت الدهر.
(3) هي دمشـــق.
(4) في الأصل: مدينا.

فقال أقسم بمنزل والضحى والعصر
مقابر الشامِ أحسن من علالي مصر

وقال أيضا :

لما مررنا على التّحداح وقت السير
في خدمة المقري هادي الورى للخير
فقال قل للذي أضحى يحث السير
مقابر الشامِ أحسن من قصور الغير

وقال قيم الأدب :

لما اجتمعنا ورازق وحشها والطير
مع سادة بالندى سادوا وكشف الضير
في روضة قد زهت حسنا بصدح الطير
فقلت لما تداولنا الأدب في السير
مقابر الشامِ أحسن من قصور الغير

وهو القائل ونحن في البستان الذي يقال أن الشيخ محي الدين بن العربي كان ينزله:

لله يوم نعمنا مع سادة حاز وا الكمال فضلهم لا يجحد
في روضة غناء في أفنانها حمائم الأنس غدت تغرد
كأنها تتلو مدائحا لمن قد زارها وهو الإمام الأوحد
العالمِ العامل من قد أجمعت عليه أهل الفضل فهو المفرد
تقول قولا بلسان حالها لو أنه يفهم حين ينشد
إلى طريق الرشد في تاريخه ادع فأنت المقري أحمد
لا زلت تبدي كل علمِ نافع إليك ينمي فضله ويسند

إبراهيم الأكرمي يهنئ المؤلف

وكتب إلي الشيخ إبراهيم الأكرمي[1] حفظه الله مهنيا:

---

(1) هو إبراهيم بن محمد الدمشقي الصالحي المعروف بالأكرمي، أديب مشهور، عرف في عصره بخمرياته وغزلياته، أخذ الأدب عن أبي المعالي الطالوي، وعبد الحق الحجازي، وهو وآباؤه خدام باب الشيخ ابن العربي. توفي في شعبان سنة 1047هـ، ودفن بسفح قاسيون. المحبي. خلاصة الأثر. ج1، ص ص: 39-42.

مولاي بحر العلم من جزره ... ـــــــنّ ومن اصـــــدافه درّ
إنّا نهني ونهنى بكم ... صـــــحابَنَ يا بحـــر يا حبر
واسلم ودم وابق بها كعبة ... يسعى بهِ الفاضـــــل والبر

وأنشدني الأكرمي المذكور لنفسه لأثبته في كتاب النعال:

يا ناظـــــــر تمثال نعــــل ... فــــــاق تيجـــــان الملوك
وتود أفــــــلاك السمـــوات ... العــــــلى ذات السمـــــــوك
لــو كــــــان أجنــحة لها ... أو كـــن فـــيه من الصكوك
فــــف عـــلى تقـــــبيله ... متــجنبا ريب الشكـــــــوك
واكحـــل جفــونك من ثراه ... عســـاك تحـــظى بالسلـــوك

وله مضمنا وقد أنشدنيه:

يا عين هذا شكل نعل محمد ... وهو الحبيب وإن تناءت داره
فتترضي مـــــن ذاته بصفاته ... إن لـــــم تــريه فهـــــذه آثاره

وكتب لي الشيخ محمد الكلشني1 يوم ختم الدرس بقوله:

إن الإمام المقري أحمد قد ... حاز أنواع العلوم والحكم
روى أحاديث البخاري كما ... قال النبي مصطفى وما كتم
ومن صحيح النقل في إسناده ... مسلسل عن الرواة مغتنم
في الجامع الكبير في دمشق ... قد أجاد اذ أفاد فيما رسم
وكان من صيام الشهر قد مضى ... تسع وعشرون بأنواع النعم
بالعنبر الوردي والمسك ذكا ... تدريسه الزاهي بتاريخ ختم[2]

خدمة الفقير محمد الكلشني.

وأنشدني لنفسه الشيخ إبراهيم الأكرمي حفظه الله لأثبته في كتاب النعال:

أكرم بتمثال نعـــــــل ... فاق الهلال جبيــــــنا
حاز الفخـــــار وأضحى ... بكل بحـــــــر قميـــــنا
تغدو لــديــه الثـــــريا ... ثرى وتسمــــــو يقيـــــنا
وأين منــــــه الدراري ... في الحسن للناظريــــــنا

---

[1] هو محمد بن سعد الكلشني نزيل دمشق، كان من أدباء الصوفية، له أخبار عجيبة، وصاحب نوادر وآداب، وكان ينظم الشعر. توفي بدمشق سنة 1037هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص: 468.

[2] بحساب الجمّل على طريق حروف المغاربة، فإنّ كلمة ختم تعني سنة 1040هـ، لأن الخاء=600 والتاء=400 والميم=40 والمجموع هو 1040.

فاعكف عليه عساه يشفي الفؤاد الحزينا
وقبلته مليا ومرغ الخد حينا
تنل به كل خير ترجوه دنيا ودينا
واستنشف من ترب ارض ضمت مكانا مكينا
بيدي الثرى وحساه در أو مسكا ثمينا
زكاه تمثال نعل لأشرف المرسلينا
وقل بصوت شجي بيدي البكا والأنينا
صلى الإله على من كساك فضلا مبينا
وآله خير آل والصحب والتابعينا

وقلت: إن الجنيد كان في صبح لايناس جاب، وفي المسا أبدي جفا، من أجله الوجه انقلب. فقال الأكرمي المذكور: قل للجنيد تأدب وزد ودادك صفوا، لا تقلب الوجه مقتا لنا فتلقاه هجوا. والجنيد المذكور رجل من أهل دمشق لا بأس به خفيف الرّوح لطيف من بيت كبير.

محمد الحريري يكتب إلى المؤلف

/8/ وكتب إلي وممن بدمشق الفاضل النحرير الشيخ محمد الحريري[1] حفظه الله:

حل في جلق الهنا والسرور واستنارت مذ عمها منك نور
وغدت تفضل البسيطة إذ كانت لها من علاك مجد خطير
حبست برهة فلما تجلى وجهك النير استبان الحبور
كاد ما بيننا الرواسي سرورا بك لولا تكون فيها تمور
بك يا مقري تشرق سبل للهدى أظلمت لنا وتنير
بك سرت لما قدمت قلوب طالما شاب صفوها تكدير
بك أضحى ثغر المعارف يفتر وطرف الكمال وهو قرير
يا ملاذ الورى يا كهف من عاذ إذا ما ادلهم خطب عسير
ليس بدعا إن حزت مجدا أثيلا دونه قد غدا المحل الأثير
أنت عين العلا وجبهته ذا الدهر وكنز لأهله مذخور
أنت أسست للدروس ربوعا درست فاغتدى بك التعمير

---

[1] هو محمد بن علي بن أحمد المعروف بالحريري، لأنه كان يصنع بدمشق القماش المتخذ من الحرير، تتلمذ للعمادي المفتي الذي كان يجلّه ويشهد بفضله. كان الحريري لغويا نحويا، وأديبا بارعا، وشاعرا مشهورا، وأحد أئمة اللغة العربية. له تصانيف كثيرة منها: شرح الأجرومية، وشرح التهذيب، ونهج النجاة فيما اختلف فيه النحاة، وشرح الزبدة وغيرها. توفي في ربيع الثاني سنة 1059هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص ص: 49-54.

أنت حلّيت جيد مجدك الشامخ عقدا أسلاكه التحرير
أنت وسطى قلادة الفضل والعلم وبحر ومن سواك غدير
أنت من أسرة رقوا ذروة المجد وعنهم حديثه مأثور
وسموا غاية تقاعس عنهاالطرف وأرتد وهو عنها حسير
محتد يفضل الأصول رفيع مستو فيه أول وأخير
وفخار أعي على اللسان المنطيق إحصاؤه وعز النظير ازدهر
أنني بمثلك للناس لدهر بالمـــدح منا جــديـــــر
شيم عن أن تنال بدهر عيشه كله أجاج مرير
زمن شيد فيه أربع جهل وعفت للكمال فيه قصور
زمن رفع الوضيع وينحط به الماجد الرفيع الوقور
فاجررن ذيل رفعة وسمو ولك الدهر خادم مأمور
واستمع بنت فكرة ما عراها إذ تحلت بمدحك التقصير
تبهر العقد في النظام ويرجو مثلها جدول ويعنو جرير
ترتجي مهرها القبول واحبب بقبول تنحط عنه المهور
قد أتت سيدي تهنّى بعيد أنت منه إنسانه والضمير
فجزاك الإله خير جزاء عن صيام ثوابه موفور
واسلمن يا وحيد دهرك ذخرا ولك المدح والثناء الغزير
وابق في نعمة مرفه بال وإلى فضلك الأنام تصير
ما بدا كوكب واشرق فجر وسرت نسمة وكرت دهور

عبودية المخلص محمد الحريري. إنتهى.

المؤلف في صالحية دمشق

وقلت وأنا بالصالحية بمحضر الأصحاب:

كم جاء من باري الخليقة فرج قريب بعد ضيقه
فاصـــبر ولا تيأس فكم لله ألطاف دقيقه
والحـــال منتقل فصحن ماء المحيا أن تريقه
واحــــذر عدوك واحترس من كيده واحذر صديقه
وإذا بليــــت بغربة فاخضع لبـــين لن تطيـــــقه
فلكم سطا بمتنيم مثلي فلم يبلـــعه ريــــقه
بالأمـــس كنــــت بعزة فمساء غـــرتها طليقه
أيام لا ماء المنى كدر ولا أرضــــي سحيــــقه
أيام يدعوني الجـــليل أبا التوسل أو شقــــيقه
واليوم صيرني الزمـــان ألـــيف ذل ورفيــــقه

بعدا لـــــه من ناسخ	أحكام أنساب عريـــــقة
ما كنت أحســـب أن عين	الوصل من نوم مفيـــقه
حتى رماني الدهــــر في	أبار أســـفار عميـــقه
طورا أروم حمى الحـــجاز	وتارة أنـــوى عقيـــــقه
وأرى بمصـــر كـــــرة	وبأدمعي عيني عريـــقه
حتى خلصـــــت لجـــلق	وملابس النعمى صفيقه
فرأيت منـــــها خضــــرة	راقت محاسنها الأنيقه
ظل وأنـــــهار وأزهـــار	وأغصـــــان وريـــقـــه
لدن تذكر عاشقا بمعاطف	الهيـــــف الـــــرشيقـــه
ونسيم جو عاطـــــر من	مسـط يـــهدي فتيقـــه
وقيان أطيار لـــــها بالعود	ألحـــــان رتـــيــــقـــه
بلد يمـــــيل لـــه الأريب	لأنه وفـــــق السـليقـــه
ويهيم إعـــــجابا بــــــه	وبحيـــه يـــسلو فريــــقه
لله معـــــني الصالحـــية	حيـــث أربــــاب الطريقه
فلكم بها مـــــن جوســــق	شاق النفوس وكـــم حديقه
والجامع الحســـن الــــذي	عظمت مبانيـــــه الوثيـــقه
فانقل صحـــيح حـــديثه	فأصــــول مسنده عميـــــقه
وانسب لعال في السماء	حلى بتحسيـــــن خليقـــــه
واطعم حـــلاوة صحــــنه	وارشف بكوثره رحيـــــقه
وأنخ ركــــــابك بشراكم	جاء مـــن باري الخليقه

وقلت :

اجعل تقى رأس مال	تنل به ربـــــح تجـــري
وقـــــل لــراكـــد فكر	دع المقاديــــــر تجـــري
وإن شـئـــــت قلــت	وقل لجــــامد فـــكـــــر

ولا يخفاك ما فيه من المحسنات البديعية التي أنفقت فيه.

وقلت بديها:

كم من فريق شكوا يوم الفراق	وقد أشاب موقف توديع مفارقهم
فأنشدوا إذا ذل البين حالهم	يامن يعز علينا أن نفارقهم

وقلت أيضا بديهة:

كم رفقة فارقوا مثلي أحبتهم أشاب موقف توديع مفارقيهم
وكم أذل نفوسا طالما شرفت يا من يعز علينا أن نفارقهم

ولما حللت دمشق وكان سيدي أكمل الدّر الكريمي قد تاب عن الطلى، لما قدمت أنشدني لنفسه النفيسة، لا فقدت مكارمه ولا عدمت، يشير الى ان ودادي كان لتوبته سببا، وكم أرشد قبل ذلك للتوبة فأبى:

ولائم قد لامني في الطلى وتركها والنهي عن شربها
فقلت تلحاني جهلا أمـــا كفى طلوع الشمس من مغربها

مخاطبات أحمد بن شاهين للمؤلف

/9/ الحمد لله وحده، صلى الله على مولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. لما حللت الشام 16 رمضان المعظم سنة 1040هـ وكان اليوم جمعة، خرج للقائي جملة كبيرة من الأعيان إلى داريا وكان من جملتهم أوحد العصر المولى أحمد الشاهيني[1]، فأرسل إلي من داريّا[2] بهذه الأبيات إلى سعسع فوافتني بعد الخروج من سعسع وهي:

مرحبا بالشيخ مولاي	وشيـــخي وسمـــيي
مرحـــبا بالمـــقري	المالـــكي الملـــكي
مرحبا بالـــدين والدنيا	وبالـــعدل التّـــقي
مرحبا بالعنصر الطاهر	والأصـــل الـــزكي
مرحبا بالقادم الواصل	من مـــرمى قصي
مرحبا بالقـــمر الطالع	والـــبدر العـــلي
مرحبا في كنف الله	وفي حـــرز النّـــبي

تحية العبد المشتاق،المنتصب لخدمة سيده على أقوم ساق، أحمد بن شاهين.

وكتب إلي بعد الدخول مع ملبوس أهداه، شكر الله من صنعه ما أضمره وأبداه، بقوله:

يا أيها المولى الذي قد حل	من قلبي وطرفي في أعز مكان
لو كان لي أمر الشباب خلعته	بردا على علياك ذا أردان
لكن تعذر بعث أول غايتي	فبعثت نحوك غاية الإمكان

العبد المخلص أحمد بن شاهين.

---

(1) هو أحمد بن شاهين القبرسي الأصل الدمشقي المولد لأن أصل والده من جزيرة قبرس، حيث اشتراه بعض الأمراء وتبناه وجعله من أبناء دمشق، تتلمذ أحمد لعمر القاري والحسن البوريني وعبد الرحمن العمادي وقرأ عليهم من أنواع العلوم. كان شاعرا مشهورا وكاتبا مترسلا، ومن مدرسي المدرسة الجقمقية، ولما ورد المقري دمشق أنزله فيها، وهو الذي اقترح عليه تأليف كتاب نفح الطيب. وبينهما مطارحات ومراسلات، جاء بعضها في النفح. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص ص: 210-217 . المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 69 وما بعدها. وج2، ص: 460، وما بعدها.

(2) داريّا: بفتح الراء وتشديد الياء، قرية مشهورة تحت دمشق على دون ثلاثة أميال منها، سكنها من الصحابة بلال المؤذن، وبها قبر العالمين الشهيرين، أبي مسلم الخولاني، وأبي سليمان الداراني. العمادي، الروضة الريّا فيمن دفن بداريّا، ص: 64.

...ني يستدعيني إلى بيته المصون. ويعرض على أن أنقل القدم إلى ... حيزة الغصون، بقوله وذلك غرة المحرم سنة 1041هـ عرفنا الله خيره.

... وجد مقبل ونهى	فياضة وفهوم بتن كالشهب
... البدر بدر الغرب في شرق	بأن يرى النجم نجم الشرق في الأدب
... مازال سيارا وريثما	يحل منزلة تنحط في الرتب[1]

... أحمد بن شاهين.

- كتبت إليه بقولي بديها:

يا سيدي ووني	... سناه المضيي
اليوم يوم خميس	فهل تجي أو نجي

... بما مثاله:

نفسي فداك بشيرا	عن نفسه هل يجي
وهل يصح عليل	طبيبه لا يفي
والفضل بدءا وعودا	له وبشر وضيء

ثم كتب إلي بإثر ذلك:

يا سيدا نور عيني	به وقلبي الأسوف
ومن إذا غاب يوما	فالشمس ذات كسوف
وليلة لا أراه	فبدرها ذو خسوف
زرني ونور مكاني	برغم دهر خسوف
وانهض فديتك شوقا	على جواد كسوف

وقصد بهذه الأبيات اللزوم الصعب، فأجبته بقولي:

يا ما جدا في البرايا	له مزايا الشفوف
وطائر الصيت سبقا	يفوت جري الزفوف
عذرا فإن يراعي	في النظم بادي القفوف

---

[1] الأبيات الثلاثة في خلاصة الأثر، ج1، ص: 211.

ما للجبان ثبات في الحـــرب بيـــن الصفوف
وها أنا جئت أسعى لأمـــركم في خــــفوف

والزفوف النعامة، والقفوف البيض، والخفوف القلة. ووصلت النظم بنثر نصه: لا يخفى سيدي أن العبد علم القصد بهذا التعجيز الذي التزم التحسين بحرف السين، ولم يترك فيها من قافية لذي العقل الرصين وغير الرصين، وعلمت أن السبب ما مر من الكلام في لفظة يضي، فأعيذ جنابك من العين برب قاف والفلق، وأحصنه غاية التحصين بياسين، سهم أصاب وراميه بذي سلم، من بالمغارب بل بالهند والصين، والفاء فاء لا يجاري الفصيح في ميدان الفضل الذي مجاله الفسيح، والله يجعل جواد قلمكم في حلبة السّباق مجليا، وجوهر فضلكم لجيد الودود العاطل محليا، وعن الأوطان والأوطار مسليا، وكتبه الفقير حامدا ومصليا.

وكتب إليه ليلة زفاف إحدى جواريه:

وكتب إلي ليلة زفاف جارية كنت اشتريتها هناك، واحتفل هو وغيره من الاعيان لوليمتها بما اقتضى، أنه أحمد من هو لزمام الفضل مالك بقوله لكتابه من فيض البديهة:

أمـــولاي لا زال الهناء ملازما لما عنك يرويه الثناء ومــــا يحكى
ولا زالت الأيام جارية بما يسرك كي تلقـــاك بالبشـــر والضــــحك

مساجلات بين الأمير منجك والمؤلف

10/ وكتب إلي صاحبنا الأمير ابن الكبراء الأعيان، الذين نالوا من ..ـسة ما لا يعبّر عنه بنان البيان، الأمير منجك[1] حفظه الله بقوله، ومن خطه ـــــ هذا هنا:

فخر دمشق على كل البلاد بمن … أولى البريـــــة معروفا وعرفانا
..خري الذي في بعض أيسر ما … يحوي من الفضل كل راح حيرانا
..ـس من الغرب قد كانت مشارقها … بل دونها الشمس يوم الفخر برهانا
..رب حدقت أيدي الفطام به … ألا وأضـــــحى بماء المجد ريانا
..ـــاد تقــــرأ فـــي لألئ غرته … من سورة العــزة القعساء عنوانا
.. من الرأي ما تخبو لأيسره … ثواقب الزهر إرشـــــادا وإذعانا
..سيرة عن أبي حفص تلقفها … إلى وقار يضاهي هــدي سلمانا
..)[2] حسن فعل الخير بعشقه … مراقــــب ربـــه سرّا وإعــلانا
..قضي النهار بدرس غير مندرس … ويقــطع الليل تسبيحا وقـــرءانا
..ي ورد نولي اليوم وجهتنا … وقد غدا بحــره الطامي مرجانا
..ن منحنا بنحظ من مواهبه نلنا … الثـــــريا وكـــان الخير عقبانا
..ـفى بدرس الشفا مرضى درايتنا … لما أفـــــــاد مع الإيضاح إتقــانا
هيهات هيهات من في القوم يشبهه … هل السراب يباري الغيث هتانا
..ذا مشى فعلى الأجفان مشيته … وإن رأيت رجال الحي ركبانا
..يا سيد العلماء العاملين ومن … هو الإمـــــام المفـــدى حيثما كانا
..ابرأت ذمة دهر جاء يمنحني … بعد الإســـــاءة من لقياك إحسانا
دهر يقتل أمالي وأوسعه إذ … أنت مـــــن أهـــله مدحا وشكرانا
فطا كما شيت لا تنفك منتصرا … بأخمصـــــيك من الأعــــداء تيجانا
واهنا فأنت الذي ولاه خالقه … من المعـــارف أنصـــــارا وأعوانا
واسمع لها من قواف لا يماثلها … شعر ويقصـــــر عـــنها قول سبحانا
واستجلها نزها لو أنّها رزقت … حــــظا لكـــانت لعين الدهــر إنسانا

المخلص منجك.

---

[1] هو الأمير منجك بن محمد بن منجك بن أبي بكر بن عبد القادر بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن منجك الكبير اليوسفي الدمشقي. قرأ على الشيخ عبد الرحمن العمادي وأخذ الحديث عن الشهاب أحمد الوفائي وأبي العباس المقري والأدب عن أحمد بن شاهين. وهبه الله الذكاء وقوة الحافظة، وحسن التخيل والأداء، وكان فصيح اللهجة كثير المحفوظات، له ديوان شعر، ولد سنة 1007هـ، ومات سنة 1080هـ. المحبي، خلاصة الاثر، ج4، ص ص: 409-423.

[2] كلمة عليها حبر.

وكتبت إليه بعد عدة قصائد ومقطعات وجهها إلي بما مثاله:

كرر حديثك يا نديمي ... عن سعد[1] معهدنا القديم
واذكر ليالي انسنا ... بالغرب في ظل النعيم
ومواسم العمر التي ... راقت بمرءاها الوسيم
أيام انجزت السعود ... وعود مطلوب عظيم
ووسائل الأحباب في ... عنوانها برء السقيم
لم أقض وأجب حقها ... جهلا بمربعها المسيم
لا دردر البين كم ... للبين من مرعى وخيم
وسقاك يا معني الغرام ... مضاعف الغيث العميم
أرضي التي غادرتها من ... أجل زمزم والحطيم
ونأيت لا من جفوة عن ... ربعها[2] غير الذميم
وأدلت عن دعة لها. ... حركات وخدّا ورسيم
وآثار تذكار في الخليل ... بها جوى القلب الكليم
يا قلب لا تشك الجوى ... إلا لمولاك الرحيم
واصبر على حكم القضاء ... وذاك أمر من حكيم
والحال منتقل وقس ... حال الرضيع على الفطيم
والدهر ألوان وكم ... قصر المدى بالمستديم
فغدا يمزق شمله ... ويقده قد الأديم
دهر ينبه غافلا من ... هجعة العز المنيم
ويصير الندب الكريم ... مؤملا باب اللئيم
ويديل أنوار النهار ... بظلمة الليل البهيم
يا من لناء أقعدته ... غرائم الشوق المقيم
يهفو إلى بان الحمى ... ويهيم في روم الصريم
حيران حالفه السهاد ... فليله ليل السئيم
ويد النوى لعبت به ... لعب التكاسل بالغريم
ورجا التخلص من شجاه ... بباعث العظم الرميم
فحدا الركاب لجلق ... ميلا لمنهجها القويم
فانزاحت الظلمات عنه ... واجفلت مثل الظليم
حيث التقدس ضامن ... نجحا وحسبك من زعيم
حيث الرياض السندسية ... تستفز نهى الحليم

---

(1) كتب فوقها: حسن.
(2) كتب فوقها: قطرها.

والورق يطرب لحنها في	لجنك بالصوت الرخيم
وربى البطاح تميس في	حلــل من الوشي الرقيم
والدوح قـــلّده النـــدى	والزهـــر بالدر النظيم
والجـــو ذاك عـــرفه	كثناء ذي القدر الجسيم
المنجكي المرتـــقي فـــي	ذروة الحسب الصميم
فهو الأميـــر بن الأميـــر	أو الكـــريم بن الكريم
خلق كما شاء الكمـــال	ورقة مـــثـــل النسيم
ينسي غريـــب الـــدار	عن أهل وعن خل حميم
وينيف سـؤدده على من	ينتمي لزكـــي خيم
فابن العميـــد مقصر من	شـــأوه وابـــن العديم
وأبو فـــراس لا يجاريه	ببـيـــت أو قســـيم
يا ناظم الكلم التي أربت	على الـــدر اليتـــيم
من للــــحسام الحاجري	بمثل نظمـــك أو تميم
وإليكها عـــذراء تبدي	العذر عـــن وسم بريم
لم ينتج الإبـــداع منطقها	من الشـــكل العقيم
فاسلم ودم مـــتحريا	صوب الصراط المستقيم

وقلت من قصيدة لم تحضرني الآن:

شيبتني غـــرندل ويحار	وبحار فيها اللبيب يحار
واتقائي[1] بالفكر من مكر خبّ	في ليال ليست لها أسحار

ولما كنا بالصالحية الدمشقية في بستان سيدي محمد الكريمي حصلت بينه وبين الأمير منجك المذكور مساجلات ارتجالية في شأني، وقد رمزت للأول بالميم وللثاني بالكاف:

فقـــال م:	يوم انس إنا لنا ما نروم	ذكره ما انقضى الزمان يدوم
فقال ك:	صح فيه حديث عيشي نما	صار يعتل في الرياض النسيم
	نظمتها ايدي المنى فكـــانا	لنحور الوداد عقـــد نظـــيم
م:	حسدت جمعنا فخارا ومجدا	شمس أفق العلى فأين النجوم
ك:	ظلت نشوان إذ تنبه شوقي	وعذ ولي عن أفـــاق نلـــوم
م:	قد نعمنا بروض أنس فقلنا	هذه جنة وهـــــذا النعـــيم
ك:	وغدير أرق من دمعة الصب	عليه الطير الرّجاء تحـــوم
	فهو كالأيم في انسياب تبدي	وعليـــه مـــن الحباب تروم

---

[1] كتب فوقها: احتراسي.

م: يوم أنس به تجرد وجـدي — مـع أنّ الوداد مني قـديم
ك: واخلاي النجوم فمنـها لي — سعـود وللأعادي رجـوم
م: مع إمام إليه تنمي المـزايا — وهـمام منه تـرام العلوم
ك: حار منا في وصف أيسرمجد — قد حواه المنطوق والمفهوم
قلدتني يداه نعمى فدهـري — وبنوه بشكـرها لا يقـوم
م: نثر در الثناء مني عليـه — وله عقد مدحي المنـظوم
قد غدا في ثنائه للقوافـي — مذ تزاحمن مقعد ومقيـم
قدر مدحي تعاظم به والمدح — إذا كان في العظيم عظيم
هو مولى أعدّ مدحـي علاه — نعمة قـدرها جليل جسيم

وكتب الأمير منجك إلى الكريمي المذكور:

أترى أين حل أم أين أمسى — غصن بان يقلّ أعلاه شمسا
ليت أنا وقد ترحل بيد كن — أمسا لا سطـر العيس طرسا
لهف شاك يرى المعاهد صما — بعد ما شـط والمعالم خرسا
صدع البين منه ثم فؤادا كان — صخرا فعاد بالوجـد خنسا
فضحته دموعه مثل ما تمّ على — الخود فاخر الحـلي جرسا
يتمنى زور الخيال ولولا مس — منه الكرى النـواظر لمسا
كاد ينسى محاسن الشام لما — بان عنها خليـطه كاد ينسى
شادن أظلم الخلائق الحاظا — وأمضى فعلا وأكـبر نفسا
بأنه ينثني نعينيك لكن قلبه — الصخر بل من الصخر أقسى
أطلع الحسن في حديقة خدّيه — ورودا تركن لونـي ورسا
طالما بـت بالخداع اسقيه — ثلثا حينا وأشـرب خمسا
نمزج الكأس بالحديث وما — ألطف ذاك الحديث معنى وحسا
لست أدري أم من عصارة خديه — أم الرّاح صفـو ما نتحسى
لا رأت مقلتي محياه إذ كان — فؤادي يسلـوه أو يتـأسى
وعدمت النصير في الوجد إن — رمت لهذا المولى الكريمي جنسا
ألمعي يكاد يخبر عمّا في — غد للملأ ذكـاء وحـدسا
هو أعني محمد الندب من فاق — إياسا وفي الفصل حتى قسا
أكرم الناس شيمة وعطاء ومعير — الزمـان عـرفا وبـأسا
فضّ ختم العلى وبكر للمجد — فأضحى الهمام حتما وأمسى
وجنى العز يانعا من غصون — للمـعالي تجل من أن تمسا
أدبا رائقا أغض من الرّوض — وأبهـى حسنا وأكثر أنسا
وعلى راق مشربا وفخارا مائي — طيـب ومحتد أطاب غرسا
رددت ذكره الحسان فلولاه — لما أحـرزت راشف لعسا

كل ان نراه فصل ربيع في داره ومــــدة العمر عرسا
يا عز الأنام جاها وأزكى في المعنى فــــرعا وأكرم قنسا
ليت حظا سقاك صافية الفضل سقاني من فضل كأسك كأسا
كل فخر لدى سواك رداء مستعار ومنه لا شك يكسى
ونرى الفضل فيك والمجد ارثا وعليك الوقــــار حبسا
لك عندي من العهود حقوق باقيات ونعــمة ليس تنسى
تتمنى الأيام لو كــن طرسا والليالي لوصفك العذب نقسا

[مخاطبات أديب المغرب كاتب الخلافة المكلاتي لي]

/11/الحمد لله، هذه نبذة ممّا خاطبني به كاتب الخلافة الحسنية الشريفة بالمغرب، وأديب تلكم الدّيار التي يعجز عن مدحها المعرب المغرب، سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد الفاسي الشهير بالمكلاتي [1] حفظه الله. فمن ذلك قوله:

يا عالما انبــتت أقلامه زهرا قد فتقت عنه للأطراس أكمام
قد فتحت نحونا الأحداق شاخصة وما ألمّ بنا في الروض نمام

ووصلها بنثر نصه:

سيدنا عالم المسلمين، وولي المؤمنين، مفتي الاسلام، وعالم أمة النبي عليه السلام، أبقاه الله علم أعلام، وركن استلام، العبد الشاكر يؤمل من سيادتكم الاغضاء، والنظر بعين الإرضاء، ومثلكم ولا مثل لكم في أهل العصر من غفر الزلات، والله يرحم أسلافكم والسلام، عبدكم المكلاتي. انتهى.

وكتب إلي ما نصه وهي ملزمة:

ما روضة غدرانها الصافية حاك الصبا أدرعها الضافيه
ما أدمع الأنــداء ما أعين الأزهــار في أبحرها طافــيه
ما طرة الصبح وما حسنها تحت ذيول للدجى وافــيه
أبدع من نظم على طرس من لم يبق لي معنى ولا قافــيه
الحاجب المقــــرون أفضاله بأنــــعم أخبـــارها كافــيه
نعم الحمـــيم الخل من جربت في فتحها أبوابه شافــيه
أهطع منا الكل لما دعا بأنفس أشواقـــــها هافــيه

---

[1] هو ابو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي، الكاتب البليغ، الفقيه الأديب، جامع شتات [illegible] من أصحاب المقري، تتلمذ لعبد الرحمن الفاسي، كان في أواخر العهد السعدي، له تذييل على [illegible] الوفيات لابن علي الفشتالي، وشرح مقصورة الإمام المكودي، توفي سنة 1041هـ [illegible] القادري، نشر المثاني، ج1، ص: 160.

ولو دعـــــــا داع إلى غيره | جعلت ما الموصول ما النافـــيه
لكـــنني أعـــــشو إلى ناره | وكـــل عين للـــورى غافـــيه
خوف رقيب في دجى ليل | لا تخفى عليه في السرى خافيه

وهي في الحقيقة جواب لأبيات بعث بها الأديب سيدي علي بن أحمد الفاسي الشهير بالشامي[1]، وقد ذكرت في غير هذا الموضع[2].

ولّما ألّفت أزهار الرياض كتب إلي المذكور بما صورته:

اهذه أدواح هاذي الرياض | أم هذه غدرانه والحياض
سالت بماء التبر خلجانها على | سواد زان منها البياض
وازرق الصبح بها قد جرى | تخاله نهرا على الطرس فاض
تمثال نعل المصطفى شكلها | جعلت خدي تربه عن تراض
ففاخر الترب نجوم الدجى | فالشهب من آفاقها في انقضاض
تحسده الزرقاء في لثمه | فالبرق من أحشائها في ائتماض
اذكرني عمن في ديار الهوى | فشمل دمعي أبدا في انفضاض
نبه كليم الوجد من شوقه | فجفنه من وجده في اغتماض
وقل له بالله هذه الطوى فاخلع | وكن في ملة الشوق راض
وانتشق الأزهار من روضها | واستشف منها بالعيون المراض
كم بات معتل الصّبى بينها | يروي أحاديث الشفا عن عياض
أيا إماما جامعا للعلى | ومن غدت أبحره في افتياض
أبــــكار أفكـــــاري بأبوابــــكم | تنزه الأحداق بين الرياض
إليكم قد رفعت أمرها فاقض | على الأبكار ما أنت قاض
قد بايعت بالحق سلطانهم | توفية بالعهد دون انتقاض

المملوك يقبل الأنامل، لا زالت مقبلة على الأمل، ومذ سمع منك أيها العلم الإشارة، وقامت عنده لعمرك مقام البشارة، انتصب على الاشتغال، بوصف النعال، والسيادة العلمية كفيلة بالتجاوز عن ألفاظها الملفوظة المذاق، وبيوتها الخاوية على عروش الأوراق، وهو معترف بما لكم عليه في ذلك من المن

---

(1) هو أبو الحسن علي بن أحمد الفاسي الشهير بالشامي نسبة إلى الشام لأن جدّه قدم منه إلى فاس، فاشتهر بنوه بنسبتهم إلى الشام. وهو أحد أدباء العصر السعدي وشعرائه، وله مع المقري مخاطبات ومراسلات. توفي بعد سنة 1030هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص ص: 141-142.

(2) في ص: 208 من هذا الكتاب.

ـصفح، ومشتاق إلى نظرة منكم بعين الاغضاء والصفح، اشتياق الشريف لليلة ـصفح. والسلام، المكلاتي.

وكتب إلي لما صنفت أزهار الرياض مقرظا بما صورته:

ـه زهر أم أزاهر فتحت جفونا	تجافت عن سهاد وعن أرق
ـه ربيع أول ثم آخر فقم	نجن أزهار الرياض من الورق
ـي لعمري بالمحرم ورده	إذا ما كساه بالحيا لؤلؤ العرق

وكتب إلي أيضا قوله:

ـتي العلى عهدي بأنك ناكب	عن السّحر ان السّحر زور عناكب
ـ عـك نفـاث يمد حباله	فتبدوا سطورا وهي عندي مواكب
ـوهد أزهار الرياض وأنها	سمـــاء و أقـمار بدت وكواكب

وقوله:

يا حسن أزهار الريـــاض	تفتــقت عنـهـــا الكمائـــم
صقلت صـــداها بالنـــدى	أيدي السحــائــب والغمائـــم
وشدت علـــيها في الأبـــاطح	والــــربـــى ورق الحمائـــم

وقوله:

رياض تود الزهر أنها زهرة	فيجري عليها من مرجته نهر
وما هو إلا البحر ابدى سحائبا	فاضمر في أصل الكمائم ما ظهر
وأنشأ منها في الطروس حدائقا	وما كان للأقلام أن تنبت الزهر

ما السحب وأنواؤها، والبروق قد خفق على رأس أمير الكلام لواؤها، بأبدع من صنعة هذا الحبر، الذي أغاث الله به البشر، وجعل في علماء الإسلام ذكره مبتدأ والمدائح الخبر. لعمري لقد عرف الفكر منها ما أنكره واستمر، ما ستحلاه الذوق من كلام الحلاوي وابن سكره من كل معنى يكاد الميت يفهمه، وكل لفظ شذري يكاد سلك القرطاس يستلمه، وكل زهرة لها من الزهر نضاره، وكل درة تقول لدر العقود كوني حجاره. فاشهد ونست في هذا الفن بشاهد ولا مشهود، بأن المؤلف أحمد هذه المعجزات الذي له من نقسه وطرسه اللواء المعقود والحوض المورود، وكل ما اشتمل عليه محمود إلا الاختصار، وكل ما انطوى عليه مشكور إلا قصر يوم طرسه على أن أيام السّرور قصار، أبقاه الله ورياض معارفه يجتنى منها زهر الكلام، وأمتع بعلومه الجامعة بين نفحتي الروض والغمام، والسلام. وكتب عبده محمد بن احمد بن محمد المكلاتي. انتهى.

وأنشأ كتاب صداقه:

ولمّا تزوجت بنت القدياري بعد بنت المفتي ابن جلال التلمساني[1] مفتيها ومفتي فاس، وكان ذلك بفاس المحروسة، أنشأ كتاب الصداق ونصه:

الحمد لله الذي جعل التأهل من سنة أحمد، وأعاده بعد منازل الجلالة الرفيعة إلى بيوت الأقدار الشريفة، فكان العود أحمد، وجعل له من أسنى القرائن نسبا وصهرا، وأسرى بفكرته الأحمدية إلى أيمن طالع. تتلو فيه نجوم اليمن سبحـــٰـــن الذي أسرى، نحمده على ما وهب من نصره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزه لوحدانيته عن صاحبة تقرن بذكره، تعالى الله عما يقول الكافر بظلمه والظالم بكفره، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده المرسل بالحق الجلي والموصل حجاب أنبته العلي إلى كف علي صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الطيبين وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم عليه وعليهم سلاما. تصعد أنفاس كلمه الطيب مصاعد الرّوح الأمين، وبعد:

فإن مفتي الإسلام وعالم أمة النبي عليه الصلاة والسلام أعظم من خطب، فودت الأغصان لو كانت له منابر، وأفصح من كتب، فتمنت الأعين النجل أن لو كانت له محابر، الفاضل الذي إذا حمّلته المروءة عبئها أطاق، وإذا بدا قطر قلمه على الطروس رأيت الندى على الأوراق، حتى شهدت الفصاحة بأنّه إمام فنّها المشهود، وأحمد معجزاتها الذي لقلمه من نقشها وطرسها اللّواء المعقود والحوض المورود، فما هي إلا دقائق تعشي الصباح، وغايات حطّ دونها البرق عن لقبه واستراح. فلا والله ما بين لابتي رداء المفاخر والمعارف من يفاخره، ولا في أبطال المعلوات من يسايره، الأعلم الحافظ البحر. المتفنّن الواعظ، الصّدر سيدنا ومولانا العلم الكبير والمنشور من ثنائه في الخافقين ما هو أضرع من المسك والعبير. أبو العباس سيدي أحمد ابن الشيخ الماجد /13/ الراكع الساجد الناسك البركة النخبة الأوحد، أبي عبد الله محمد ابن علماء الاسلام وأشراف الأنام، الذين لأعلامهم الرفع بدار السلام، ساداتنا المقربين علماء تلمسان وعظمائها، وصل الله كماله وسنى بمنه الكريمة آماله. انتهى ثم ذكر بعد ذلك الصداق والزوجة وغير ذلك مما اقتضى تركه الاختصار.

---

[1] هو محمد بن عبد الرحمن بن جلال الوعزاني التلمساني خطيب جامع القيرويين بمدينة فاس ومفتيها، كان عارفا بالمنطق والعقائد والبيان. توفي سنة 981هـ. ابن القاضي. جذوة الاقتباس. ج1، ص: 324.

علي الشامي يكتب إلى المؤلف ملغزا في لفظ أمس:

ولما كتب لي الفقيه الأديب سيدي علي بن أحمد الفاسي الشهير بالشامي ملغزا في أمس، ذكرته في غير هذا الموضع[1] وتأخر جوابي له، أنشدني لنفسه ما نصّه:

أسيدنا مفتي الأنام ومن علا | على كل باد في العلى ومراجع
أظن جواب الأمس عاد كأمسه | ولا غرو إنّ الأمس ليس براجع
فما سنة الآداب هاذي فسامحوا | بردّ سؤالي أو برد تراجع

وأجبته بقولي:

أبا حسن أتحفتنا ببدائع | محاسنها أزرت بلحن السواجع
وقد كلّ فكري عن مبارات مثلها | بكثرة شغل فاتن الذهن فاجع
وددت بأن الأمس قد صار شاهدا | بعذر شجي ساهر غير هاجع

فكتب إلينا الأديب المكلاتي المذكور حاكيا للقضية ومكملا لها بما نصّه:

لما خاطب الكاتب أبو الحسن عليا الشامي مفتي المسلمين وعالمهم الحسيب سيدي أحمد بن محمد المقري دام علاه ملغزا في أمس ومطلعا من معانيه ما هو أجلى من الشمس، وتأخر الجواب حتى خاف أن تتناوله يد الأغفال وتصدأ على مصاريع أبوابه تلك الأقفال، حضر بناديه مذكرا، وأنشده بمقاصده مفكرا:

أسيدنا مفتي الأنام ومن علا | على كل باد في العلى ومراجع

الأبيات السابقة قريبا، فأجابه ارتجالا وما فسح له في الجواب مجالا:

أبا حسن أتحفتنا ببدائع | محاسنها أزرت بلحن السواجع

وساق أبياتي الثلاثة المتقدمة ثم قال: فأقبل الدهر وأدبر، ثم تلا: "فقال إن هذا إلا سحر يوثر إن هذا إلا قول البشر"[2]. وقال:

تجافت جفوني في الكرى عن مضاجع | فطرفي لعمري في الدّجى غير هاجع
غزاني به ليل من الجر عسكر | فبت وبات الروع منه مضاجعي
وأمست عذارى الفكر في رق ملكه | سبايا لباد في العلى ومراجع

سطّر هذا وكتبه عبدهم المتطفل على آدابهم الباهره ومقاصدهم، محمد بن أحمد بن محمد المكلاتي. انتهى.

ومن موشحاته العجيبة قوله:

قد حرك الأشجان | ركب سرى في السّحر

---

[1] في ص: 200 من هذا الكتاب.
[2] سورة المدثر: الآيتان 24 و25.

تبكي له الأجفان ... دمعا جرى كالمطر
في نيلة ليلا مدت ... رواقا أدكنا
اذكر في ليلا ... ووصلها بالمنحنى
اكرم به وصلا ... شفان من حر الضنا
وأخمد النيران من ... بعد ذاك السعر
ونامت العينان ... من بعد طول السهر

وممّا كتب به لسيدي علي الشامي قوله بما يظهر من الغرض:

أما لهلال هذن غاب سفور ... فيجلي به خطب دجاه يثور
فصبرا لدهر راح يمنحك الأسى ... فأنت حليم والحليم صبور
سيظهر ما عاهدته من جمالكم ... فللبدر من بعد الكسوف ظهور
وتحي رسوم للمعالي قد تغيرت ... فللميت من بعد الممات نشور
أبا حسن إني على الود لم أزل ... مقيما عليه ما قام ثبير
نفى في ماء من مياه سماحكم ... فطعمه عندي سائغ وغير
عليكم سلام الله ما هطل الحيا ... وناحت بأغصان الرياض طيور

ولما ألّفت أزهار الرّياض وجرى في ترجمة ما مدح به عياض قول أبي القاسم ابن المالقي:

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم ... والظلم ما بين الأنام قديم
جعلوا مكان الراء عينا في اسمه ... كي يكتموه وإنه معلوم
لولاه ما فاحت أباطح سبتة ... والروض حول أفنائها معدوم

قال المذكور يمدحني مشيرا لهذا المعنى وزائدا[1] عليه ومولدا منه ما لم يسبق إليه وفي ضمنها مدح كتابي المذكور:

أتى برياض في عياض وردها ... مظالم كانت قبل معضلة الدّاء
/14/وفاضت بنيل العلم منه أصابع ... ومن عجب فيض الأصابع بالماء[2]
خليلي هذي معجزات لأحمد ... فمن أجلها قد ردد[3] عينا إلى الراء

---

(1) في الأصل: زائد عليه.

(2) في أزهار الرياض (ج5، ص:81) الشطر الثاني هو: فلا تتكرن نبع الأصابع بالماء.

(3) في أزهار الرياض (ج5، ص:81) فلا تعجبن إن ردّ.

انتهى. ولا تخفاك التورية التي اشتمل عليها قوله: إن ردّ عينا إلى الرّاء، فإنه يريد قضية قتادة[1]، وعين عياض التي صارت إلى راء رياض فافهم.

ويكتب رسالة من ملك المغرب إلى سلطان الحجاز في شأن المؤلف:

ولمّا أزمعت الرّحلة إلى الحجاز، واستأذنت ملك المغرب في الإذن، كتب لي إلى سلطان الحجاز شريف مكّة من إنشاء الكاتب المذكور ما نصّه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، صلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله، من عبد الله تعالى الإمام أبي محمد عبد الله الغالب بالله أمير المؤمنين، ابن الإمام أبي عبد الله محمد الشيخ المأمون أمير المؤمنين[2]،-ويلي هذا، العلامة الشريفة بخط السلطان بالذهب فيها اسمه الشريف وبعدها، ما نصّه- ابن الإمام المجاهد أبي العبّاس أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين، ابن الإمام أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي أمير المؤمنين، ابن الإمام القائم بأمر الله الشريف الحسني، أيد الله أمرهم وأسعد مواردهم الكريمة ومصادرهم، وخلّد في الخافقين مفاخرهم ومآثرهم، وظفر جنودهم الظافرة وعساكرهم بمنه.

إلى المقر الأشرف، والسرير والرفرف، والمطالع التي ما طمعت بمثل شبهها الآفاق، والبدور التي ما امتدت إلى محاولة شبهها الأعناق، مسطع الأنوار السنية، والمواهب اللدنية، والطينة التي عجنت بماء الرّسالة، والدّوحة التي زهرت بالزهراء، فشرفت منها السلالة، مقر السلطان الكبير، والمنثور من ثنائه في البسيطة ما هو أذكى من المسك والعبير، أمين الله على مهبط وحيه، وخليفته في أمره ونهيه، من سر المقام بمقامه ومقدمه، وأورق الصفا تحت أخمصه وقدمه، الخليفة الجليل، الكبير الشهير الخطير، الإمام الهمام، العالم العامل، الأسعد الأصعد، الأسمى الأعلى، الأفضل الأحفل، تاج المعالي عز الدّنيا والدّين، السّيد أبو العلى إدريس، ابن السلطان الكبير، الرّفيع المثيل، الطاهر الظاهر، الشريف الأصيل، المعظم الأرضى، الأوحد الصّدر، العماد المرحوم، المقدّس المطهر، المنعم السيد حسن العلوي الهاشمي، أبقاه الله وحرمه الأمين تجبى إليه ثمرات الأفهام، وتحج إليه نتائج الفكر على كل ضامر من الأقلام، ولا برح مثوى

---

[1] هو الصحابي الجليل قتادة بن النعمان بن زيد الذي ضربت عينه بسهم في غزوة أحد فسقطت، فأخذها بكفه وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولما رآها ردّها بيده الشريفة إلى مكانها، فكانت أصحّ عيني قتادة وأحدّهما. أبو النعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج2، ص : 483.

[2] هو الذي اغتال عمه أبا فارس عبد الله الواثق سنة 1019هـ/ 1610م، وكان شديد الشبه بأبيه في القسوة والعنف، وفي مقدمة هذه الرسالة تأكيد على انقسام المغرب إلى قسمين: شمالي مركزه فاس ويحكمه الغالب بأمر الله. وجنوبي مركزه مراكش ويحكمه زيدان الناصر. حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، بيروت، العصر الحديث، 192م، ج3، ص: 209.

الشريف ماء مزين المأرب، توجد عليه امتهن الناس يسقون من المطالب، سلام كريم يضيء منه الأفق، وتنتظم جواهره على مفارق الطرق، يؤم ذالكم النادي، والمجلس الرّفيع الذي أطبـق على فضله العاكف والبادي، ورحمة الله وبركاته.أما بعد:

حمد الله الذي جعل الرّحلة للعلماء نحله، هي ملء العيبه، وفائدة ما يجمعه الراحل في الغيبه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد تاج المفرق، وفخر المغرب والمشرق، والرّضى عن آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديه في رحلة الايلاف، ووهبوا في أحياء سننه وإبانة سننه الالاف، والدّعاء لمقامكم العلي بنصر تعضدكم جنوده، وتحقق عليكم ألويته المنشورة وبنوده، فإنّا كتبناه إليكم من مسطع أنوارنا، ومطلع أقمارنا، حضرة فاس رفع الله منارها، وعمر بوفود السعادة ديارها، مستخبرين عن اجتماع شملكم الرّكبان، منتشقين من زهرات ألفاظكم وأغصان أقلامكم أنفاس الغريب والبان، وعندنا من الشوق إليكم ما لو فسح الأدب في ذكره لاستغرق أوصاف كل لبيب، واستوقف الأسماع من حديث القلب وساكنه على ذكرى منزل وحبيب، وشرح غريب وجده حتى يقال ما أحسن كلامه في شرح الغريب، فإلى متى أشكو الدّهر منكم، واضرب الرّمل سؤالا عنكم، والرّمل قد حال بيني وبينكم، قرّب الله الدّار، وادنى منكم المزار، هذا وإن الرّحلة للعلوم تتمه، وأغراضها عند الأعلام أكيدة مهمة،/15/ ودياركم والحمد لله منتهى الغاية، ومن عرفات معارفكم تظهر النهاية.

وكان العالم الذي أغاث الله به البشر، وجعل في علماء الإسلام ذكره المبتدأ والمدائح الخبر، الحافظ البحر المتفنن الذي إذا نحا النحو ترجل الفارسي[1] بين يديه، وطار ابن عصفور حذرا من البازي المطل عليه، وإذا كتب اغضى ابن مقلة على قذاه، واصبح ابن البواب[2] رافعا عصى القلم قائلا ما ظلم من أشبه أباه، وإذا اهتصر الفروع الفقهية جنى أطيب ثمراتها، وأجرى من أصولها ينابيع فراتها، حتى عمر منها الوشال والوطاب، والتهب في جذوة قبسه ما أتى به الحطاب، وإذا فسر غاض النهر في بحره، ولم يحتج إلى كشاف محمود فكره، وإذا حدّث فما يرتاب في صحيح حديثه مسلم، وإذا أعلم باكمال سنده العالي رأيت منه إكمال المعلّم، مفتي المسلمين وولي المؤمنين، مالك قلم المعارف، وجامع التالد منها والطارف، ملك العلماء والمرفوع في مقدمتهم علما.

الرّحلة الرّاوية، المحدث النحوي، البياني الأصولي، الكلامي التاريخي، الأدبي الاخباري، الحجة أبو العباس أحمد ابن الشيخ المرفوع المقدس، أبي عبد

---

(1) أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي(ت 987هـ) نحوي واسع العلم من أئمة النحاة، له كتاب الايضاح في النحو والتكملة.

(2) ابن البواب علي بن هلال (ت 1032م) خطاط من أهل بغداد ابتدع الخط الرّيحاني.

ـ محمد المقري، ابن ساداتنا المقربين بين علماء الإسلام، وأشرف الأمم الذين ... الرفيع بدار السلام، رحم الله من مضى منهم وسلف، وأتم النعمة على ... خلف، ورد على المولى المنصور سقى الله عزمه الطائل، وعلى ملحده ... الندى على ورق الخمائل، من مسقط رأسه، ومحل أنسه، حضرة تلمسان ... يسلك طريق جدّه[1] الوافد على السلطان أبي عنان المريني، فاستعمله ... خطّة القضاء، فضمّ لذلك صفقة الرّياسة العلمية، وحصل على الخطة الدّينية ... ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده، ويقتفي أثره في مصادره ... ورده.

فيالها حسنة ختم الله بها حسنات الصّدر الأول، ورحمة بعثها سبحانه على حين فترة من العلماء، تشهد أنّها من الغيث المرسل، فأقام بفاس عفا طاهرا، كلفا بالقراءة، ثاقب الذهن، جيّد الفهم، أصيل الحفظ، يستظهر المصنفات، راكضا في ميادين التسويد والتأليف، جمع من أخبار عياض نبذة تشهد باطلاعه المفرط وسمها بأزهار الرّياض، وجمع أعيان العصر في نبذة ترجمها بالجنابذ فيمن لقيته من الجهابذ، وتصانيف أخر تجل عن العد، وتكلّم فوق الكراسي بين الحفل، ورقى منابر الخطابة، مقتعدا للذروة من تلك المثابة، يفتي المسلمين بأجوبة يمليها الدّهر بسواد لياليه في طروس أيامه، ولم يزل على هذه الصفة إلى هذا التاريخ.

حطّم أحشاءه الحطيم، وأصبح يراعه عن ثدي دراته كالفطيم، وكلما ومض من نحوكم بارق، أو در من تلكم المطالع شارق، أرسل دموعه كالغمائم، فتمسي عليه ثنايا البروق وهي بواسم، يصور أوطانكم بالتأميل، ويود لو كمل في قطع المهامة إليكم ألف ميل، ولم يزل يسيل العقيق على العقيق، تهزه رعود وجده، إلى تهائمه ونجده، وهاهو قد انتبذت به الرحلة مكانا شرقيا، واقسمت بعده المعارف ألا تكلم بالمغرب انسيا، وزم ركابه العالي، وقيل لفاس بعده ألاعم صباحا أيها الطلل البالي، فطالما قام في نواديها العلمية مقاما محمودا، وانفق من كنوز المعارف على الطلبة مالا ممدودا، وبنين شهودا، كالغيث في البلد المحيل، أتى على حسن الدعاء، وسار عن حسن الثناء، فخاطبناكم تنويها بذكره، وتنبيها على عظم شأنه وقدره.

---

[1] هو محمد بن محمد بن أحمد، أبو عبد الله المقري القرشي التلمساني، قاضي الجماعة بمدينة فاس وبتلمسان. كان حريصا على العبادة، مكبّا على النظر والدرس والقراءة، مشاركا في العربية والفقه والتفسير والتاريخ والأدب، انتقل مع السلطان المريني أبي عنان من تلمسان إلى فاس وتولى قضاء الجماعة بها، وبنى له السلطان المدرسة المتوكلية المعروفة بالمدرسة البوعنانية. وبقي بفاس إلى أن توفي بها سنة 759هـ ودفن فيها ثم نقلت جثته إلى تلمسان ودفن بها. ابن الخطيب، الإحاطة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ج2، ص 191 وما بعدها.

فإذا وصل جنابكم الرّفيع، يؤمل عاطفة القبول وحسن الصنيع، فاعمروا خزائن علومكم بجواهر كلماته المنضدة، وانشروا على عساكركم ألوية طروسه المعقودة على جنود أسطره المجندة،/16/ وليس إلا مزيد التبيان، وما يغني الخبر عن العيان، وسلّموا منا على اخوتكم الملوك الأكابر، رقاة الأسرة والمنابر. وأعزز علينا ألا نكون أمامهم، وابصرهم اذ يلقون على الطروس أقلامهم. وسدّدوا نحونا من سهام أدعيتكم كل مفوق عن قسي الركوع، مراش بأهداب السّهر منصل بمياه الدّموع، فعسى أن يرجع إلينا هذا الفقيه البحر على أثره. ويضم عن طول الرّحلة جناح سفره، ويشفي بابنا له من التبرح، ويطوي بسرعة سيره المنازل، وكيف لا وهو طائر بالفرح، والله ينصر أعلامكم، ويسعد لياليكم وأيامكم وهو سبحانه ينزل الفتح عليكم، ويجهز مرد الملائكة إليكم، بعزته والسلام، وكتب لتسع خلون من رمضان من عام سبع وعشرين وألف سنة (9رمضان 1027) انتهى.

[كتاب من سلطان الحرمين لي حين وُلي الملك]

ومما كتب لي شريف مكة وسلطانها مولانا السيد محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي[1] أيده الله ونصره ما صورته: العزة لله سبحانه وتعالى. المخلص محسن بن حسين وبعده ما نصه: نهدي تحيات يهز أعرافها بالروض باكرة النسيم، ونسدي تسليمات يسخر وصفها بالحوض جاوره التسنيم، إلى حضرة هي منبع العلوم، ومجمع بحري المنطوق منها والمفهوم، ومعدن الفضائل، وموطن محاسن الشمائل، هي حضرة الشيخ العلامة، الإمام الحبر الفهامة، إمام المحدثين، لسان المتكلمين، حجة المناظرين، مؤسس مقاعد التدريس والفتوى. ممهد قواعد التقديس والتقوى، مولانا الشيخ أحمد المقري أدام الله فوائده، وأقام في أجياد الأجواد فرائده، وبعد:

فقد وصل كتابكم الكريم، المشتمل على الدر النظيم، فسرّ بوصوله النفوس، وقر بحصوله مضمون لا طيب بعد عروس، فحمدنا الله على ما تضمنه من أخبار صحة ذلك المزاج، ودوام منحة الابتهاج، وما اشتملت عليه أبياته

---

(1) هو محسن بن الحسين بن الحسن بن محمد بن بركات بن محمد بن أبي نمي العلوي شريف مكة وسلطان الحرمين. نشأ في كفالة أبيه وجده الذي كان ينوه بقدره ويقدمه لنباهته ونجابته وظهور أثار الرياسة عليه في صغره. ولما تولى عمه أبو طالب إمارة مكة أحله محلّ ولده إلى أن مات، فشارك عمه الشريف ادريس في إمارتها إلى أن جرى بينهما ما أدى إلى قيامه عليه، فاستقل محسن بالأمر سنة 1034هـ. وظل كذلك حتى شهر رمضان سنة 1038هـ تاريخ وفاته، ولعلماء وشعراء عصره فيه مدائح كثيرة تناقلها أدباء مكة. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص ص: 309-311.

بديعة البيان، البليغة التبيان، من التهنئة بما من الله به ومنح، وأنعم به وفتح، هذا ببركة أنفاسكم الطاهرة، وأدعيتكم التي علامات الإجابات عليها ظاهرة، فنسأل الله أن يوفقنا للقيام بأعباء ذلك، ويؤهلنا لسلوك أحسن المسالك، فلا تنسونا من أدعيتكم المقبولة، وتضرعاتكم التي هي بعرى الإجابة موصولة، فالله تعالى يمدنا بمددكم، ويطيل في بقاء مردكم، والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، تحريرا في أواسط شوال سنة 1034هـ، أحسن الله أوقاتها وختامها. ونص العنوان: فخر العلماء الأعلام، ذخر الفضلاء الكرام، العلامة المفيد، الفهامة المجيد، مولانا الشيخ أحمد المقري.

وكتب لي أيضا ما صورته:

العزة لله سبحانه، المحب المخلص محسن بن حسين، إن أزين ما نظم في سطور الرّسائل، وأحسن ما رقم في صدور الوسائل، هو التحيات المباركة المكية، والتسليمات المتداركة المسكية، نهديها إلى حضرة الشيخ الأوحد العلامة، المفيد الأمجد الفهامة، صدر العلماء المدرسين، فخر الصلحاء المقدسين، جمال المحدثين والمفسرين، كمال المصنفين والمحررين، مولانا الشيخ أحمد المقري المالكي أدام الله إجلاله وبلّغه آماله وبعد:

فقد وصل إلينا كتابه الكريم، وخطابه المشتمل على الدر النظيم، فكان أكرم واصل إلينا، وأعز نازل لدينا، حيث أنبأ عن صحة ذلك المزاج، وبقاء ذلك الابتهاج، وما أشار إليه من أنه كان عقد النية في هذا العام، على حج البيت الحرام، لكن المقادير عن ذلك عاقت، وحالت دون النفس وماله اشتاقت، وأنه يترجى الوصول في العام القابل، فالله تعالى يحقق أمل هذا الآمل، ويجمعنا به في حرمه بمنه وكرمه، ونلتمس منه صالح دعائه، في صبحه ومسائه، وعند ختمه الدروس، وتوجهه إلى حضرة القدوس، فإن دعاءه مقرون إن شاء الله بالإجابة، مشمول بشروطها التي منها الإنابة، ولازال في أمان الله وحفظه ورعايته، والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، تحريرا في أواخر الحجة الحرام سنة 1032هـ. والعنوان: الشيخ الإمام العالم العلامة، الحبر الهمام الكامل الفهامة، صدر المدرسين، الشيخ أحمد المقري المالكي.

قصيدة المؤلف في مدح النبي صلّى الله عليه وسلّم

/17/الحمد لله تحرير القصيدة التي كنت نظمتها في مدحه صلى الله عليه وسلم، وقد كتبتها قبل هذا مسودة وهي[1]:

---

[1] للمؤلف قصيدة أخرى في ص: 147، من هذا الكتاب في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهناك تكرار لبعض الأبيات في القصيدتين.

جادك الوسمي يا مغني السعود / وحـباك الدهر إنجاز الوعود
فلكم أوردتنا صـــفو الخد / فانثنيـنا بالمـنى غب الورود
ورعى الله قبابا بقبا واللوى / والجزع مـــع واد في زرود
وحمى دولة عـــز بالتقى / ساعدتنا في اللـقا منها الجنود
فبها نلنا قـصى آمالنا / واقتنصنا من آمـانينا الشرود
وانتهزنا فرصة الوصل على / رغم أنف من رقيب أو حقود
واقتطفنا زهـــر عيـــش يانع / وارتشفنا ثغره العـــذب البرود
في ليال قابلـتنا بالـــرضى / فانتظمنا كاللآلئ في عقود
ورياض راقت الـــطرف سنى / أذكرتنا حسن جـــنات الخلود
ذات أنـــهار على در جــــرت / أحكمت أيدي الصبا مـنها الزرود
إن شـــدت أو أنشـــدت أطيارها / فوق أيك تنثني مــــنها القدور
وبطاح كبرود وشيــــت طرزت / أيديَ الحيا تــلك البرود
بالأوقات الصفا عيــب سوى / إنها بعد الجفا تــرضي الحسود
ليت شعري والآمــاني حسرة / انسنا الماضي ســريعا هل يعود[1]
ويزيح القرب أعــباء النوى / ويريح القـلب من تلك القيود
وبروحي معشر حـــثوا السرى / وتداعوا يــوم بانوا بالصدود
يعسفون البيد في جــــنح الدّجى / ما عليهم من جبـــال أو وهود
يا حداة العيس حـــيوا جيرة / بالحمى شـــأنهم حفظ العهود
خيموا بالمنحنى من أضلع / حشوها نار الغضى ذات الوقــود
واسألوا من عقـــــيق الدمع / ما نم بالسفح على مبدي الجمــود
واذكروا صبا غريـــبا نازحا / خدْن شجوٍ واشتياق وهجـــود
ما له في شجوه من مخلص غير / مدح المصطفى زين الوجـــود
أحمد المختار في العلياء من / خيـــر آباء ومن أسمى جـــدود
خير من جاء بتبييــــن الهدى / أو أتــى الخلق بتعيين الحدود
من له التقديم في خلق ومن / حاز خصل السبق في فضل وجود
من به الرحمـــــن أسرى للعلي / حائزا في حضرة القدس الشهود
من به الأكـــوان طرا شرفت[2] / من بـــه الأغوار سرت والنجود
يا رسول الله يا من جاءنا عنه / في التـــنزيل أوفـــوا بالعقود
اشفع اشفع للفقير المقري يوم / جمع الناس من بطـــن اللّحود
وادفع ادفع كـــيد من قد كاد / وأنله الأمن في الـيوم الكئود
فهو ذو ذنب ولـكن يرتجي من / كريم فضـــله عند الوفـود

---

[1] هذا البيت والذي يليه كتباعلى هامش الورقة.
[2] كتب فوقها: الأنوار طرا أشرقت.

وعليك الله صلى وعلى آلك الرّاقين في أوج الصعود
وكذا الأصحاب والأتباع ما غنت الورقاء في روض بسعود
و نوى ركب بعزم طيبة أو أتى أم القرى مأوى الحشود
و أتيح الختم بالحسنى لمن كمل الله له كل المقصود.
نتهت بحمد الله وعونه

وكتب الشيخ عبد الخالق بن حبيب النبي على كتابي الذي ألفته في النعال متمثلا ما صورته:

ماذا كتاب ولكن روضة أنف تهدي حدائقه الاسم إلى الحدق
وبحر علم عظيم اللّج فائضه يرتاح فيه إلى نوع من الفرق

وقلت بالمغرب:

سلطاننا الناصر المرجى أجابه السعد حين نادى
فجاء تاريخه بديعا زيدان خير الملوك جادا
وقلت فيه:
ناصر الدين مالك ساعدته المطالب
جاء تاريخ ملكه جهد زيدان غالب[1]
وقلت فيه:
جاء في تاريخ سابق الميدان جمل الأقدار ساعدت زيدان
وكلها على اصطلاح المغاربة

رسالة المؤلف إلى محمد بن أبي بكر صاحب الزاوية الدلائية

/18/ وكتبت وأنا بالمغرب إلى الولي العارف سيدي محمد بن ولي الله الشهير الكرامات سيدي أبو بكر صاحب الدّلاء[2] ما نصه بعد الصدر: ولينا

---

[1] هنا تأريخ من المؤلف بحساب الجمّل على طريق حروف المغاربة: ج=3، هـ=5، د=4، ز=7، ي= 10، د=4، أ=1، ن=50، غ=900، أ=1، ل=30، ب=2، المجموع: 1017هـ (جهد زيدان غالب).

[2] مؤسس الزاوية الدلائية هو الولي الأشهر أبو بكر بن محمد وهو المعروف بحمي بن سعيد بن أحمد بن عمر بن يسري المجاطي، أخذ عن الشيخ الصالح أبي عمرو القسطلي دفين مراكش، وسكن الدلاء واتخذ هنالك زاوية، فجاء ولده الولي الأطهر أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، فكمل من الفضائل ما بقي، وأبدى من الأسرار ما خفي، فتناقل الركبان حديث هذه الزاوية، وقصدها

وسيدنا ومثبتنا في ربقة كرمه، ومقيدنا ومعتمدنا بعد الله في أمور الدين والدنيا، الولي الناصح الصالح، السني النسكي حائز قصب السبق بلا ثنيا، أوحد العصر، المنفرد بالمجد فيه بأداة الحصر، سيدي الفقيه الإمام الورع الثمال، سيدي محمد بن ولي الله شيخ المشايخ سيدي أبو بكر بن محمد وصل الله أسباب الخير لديكم، وأعان الأنام على القيام بشكركم، خصوصا العبد الذي غاية أمنيته المثول بين يديكم، وأبقى بركاتكم التي عمت البقاع وأعلى صيتكم، وقد فعل في جميع الأصقاع بمنه المعروض بعد إهداء التحية إلى ذالكم الجناب الذي يكل عن إحصاء مآثره الشكر، اعلامكم بوصول عنايتكم إلى الحقير وما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، فما عسى أن أمدح، أو تغرد ورق الشكر على أفنان الثناء وتصدح، فحسبي ما جرى في السمر، من مدح الأعرابي للقمر، إن قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا، أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا، غير أني لم ادر ما منع الولي من أن يكاتب خادمه، وله لذاك تشوف وعلاقة متقادمة، أو ما درى ذاك المقام ولا أراني عادمه، إن العلى للعبد من تلك المفاخر قادمه، دام البناء مؤملا بكم من أيد هادمه.

أجل أيها الأجل قد بنيتم أهرام المجد المتقادم، وليس لما تبني يد الله هادم، قد تقرر وتكرر على تلكم الأسماع أن العبد لا يقدر على أداء تلكم الحقوق، وإن كان يزعم أنّه أتى ببعض البر في خطابكم ولم يعلم أن من البر ما يعد من العقوق، فمن طلب حصر مآثركم فقد طلب الآبق العقوق، فبأي لسان يعبر، أم بأي رقم يحبر، لا سيما وقد عرف شيئا وغابت عنه أشياء، وأرسل لجهله إلى صنعاء وشيا، وذلك النصح العام الذي يجل عن التعريف، وشرح مراح الأرواح في علم التصريف، وحمله على ذلك قول بعض الحكماء إن الهدية من الحقير إلى الجليل الكبير كلما قلت كان أوقع في النفوس، فإن تفضل سيدنا بقبولها ذهب العناء والبؤس لما كان ذالكم المقام ممن قال ربي الله ثم استقام، وسرحت روح العبد الساعة في مروج حبه فبعث بشرح مراح الأرواح، وتمايلت منه طربا أفنان الأدواح، يا مخلصا علمه لله والعملا، بلغت فيما تروم القصد والأملا، أهدى عبيدكم جهد المقل لكم، والنحل يعذر في القدر الذي حملا، وأما شرح الشفا فلم يوجد بحال ولعله يتيسر بفضل الله عند القدوم على تلكم الأماكن والارتحال، حسن الهدية للكبير من الصغير إذا تقل، ما ذاك إلا انه بحقوقه لا يستقل. انتهى.

.../...الناس من كل ناحية، منهم أعلام وفقهاء الوقت كالحافظ أبي العباس المقري، والحافظ أبي العباس بن يوسف الفاسي، والإمام ابن عاشر، والعلامة محمد ميارة وغيرهم، كانوا يقصدون زيارته للأخذ عنه والتبرك به، ويراجعونه في عويص المسائل العلمية. وكان محمد بن أبي بكر متوسعا في التفسير والحديث وعلم الكلام، توفي سنة 1046هـ. الناصري السلاوي، الاستقصا، ج2، ص ص: 96-97.

رسالة أخرى إلى محمد وأبيه أبي بكر صاحب الزاوية الدلائية

وكتبت إليه حفظه الله وإلى والده ولي الله سيدي أبو بكر بن محمد رحمه الله ما صورته: الحمد لله، سيدنا الذي حاز في كل شرف مدى الرّهان، وتفرد من المعنى بما تحير في تكييفه الأذهان، بحر التقى الذي لا تعبر لججه، وسرّ النهى الذي لا تدحض حججه، الولي الصالح الكامل، الرّباني الخاشع المتبتل، المشار إليه في سماء الصّلاح بالأنامل، نعمة الله على أهل هذا العصر، المنفرد بالخلال الحميدة السنية، والسير الجميلة الشنية، بأداة الحصر، الشهير الصّيت والذكر، بركتنا ووسيلتنا إلى الله سيدي أبو بكر وابنه الفقيه الوارث المجد عن غير كلاله، هضبة العلم والوقار والسؤدد والجلالة، ذو المحاسن التي تتلى سورها على مر الزمان وتذكر، والمآثر التي جليت على منصة الشريعة فلم تنكر، المحقق الدراكة الفهامة اللوذعي، المدقق الرّاوية العلامة الألمعي، سيدي محمد بن أبي بكر بن محمد أبقى الله للمسلمين علاكم،/19/ وأعانكم على ما طوقكم من القيام بإغاثة الملهوفين وأولاكم، وزاد في معناكم، وعمر بالمسرات مغناكم، ويسر أوطاركم، وأرج بعاطر ريا وجودكم أقطاركم، ونفع ببركاتكم، وجعل فيما يرضيه وقد فعل سكناتكم وحركاتكم، سلام على ذالكم الجلال السامي الخلال ذي السر الرباني المكتوم، ينفض من الرحمات والبركات عن المسك المختوم. وبعد:

فقد كتبه العبد الفقير البائس الأواه، حامد الله تعالى الذي لا يحمد على الضراء والسراء سواه، ومصليا على رسوله صلى الله عليه وسلم، المبعوث بأوامر ممتثلة ونواه، وداعيا لجنابكم الصلاحي الذي لم تكن نفوسه عن مرضات الحق بسواه، ومتشوقا إلى مشاهدة مقامكم والتوسل به إلى الله جل جلاله في الوفاة على الخاتمة، وأن يبلغ من أمله ما نواه، ولا ناشئ بحمد الله إلا ما تعهدونه من صميم المحبة الضافية البرود، وخلوص الطوية في الصدور والورود، وعظيم الشوق الذي شب عمره عن الطوق. هذا ولا يخفى ذالكم الجناب أن العبد كان يروم اللحاق بتلكم الدّيار المحروسة بتوفيق الله من الأغيار فلم تساعده الأقدار، ولم يحصل من الإقامة إلا على أشجان وأكدار، إلى الله أشكو بالمدينة حاجة وبالشام أخرى كيف يلتقيان علي، إني أعلل النفس بالآمال أرقبها، ما أضيق الدهر لولا فسحة الأمل، وكلما وقفت من الأشواق على الجمر، أنشد عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر، أما ليل الفؤاد من عدم التبرك بمشاهدتكم فمظلم، وأما مطر الدموع فأحاديثه مرسلة لا يُشك في صحتها مسلم، فلم يبق إلا الجمع سهله على وفق المراد من بيده القضاء والقدر اللّذان يتعين على كل موحد طاعة لهما والسمع فيهما لله.

سادتنا لا تغفلوا الخويدم من أدعيتكم النافعة مظان الإجابة، وأخلصوا له من ذلك ما يعود عليه بالإقلاع عن الآثام والرّجوع إلى الله والإنابة، فواحزني إلا

حياة لذيذة، ولا عمل يرضى به الله صالح، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وإلى الله المشتكى من أمور، لا تنشرح لها الصدور ولا تقر العيون، لكن أقوى الوسائل شفاعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم محبتكم ومحبة أمثالكم، ومن أحب قد أحشر معهم وإلا فالأمر هائل، فلو كان رمحا واحدا لاتقيته، ولكنه رمح وثان وثالث، هذا كله مع مكابدة فرقة الوطن والأهل والإنصاف بالجهل وتعذر الأوطار والمآرب، وعدم صفو المشارب. وبالجملة فالعبد على علائكم محسوب، وإلى ولائكم منسوب، فكاتبوه ليعتق من رق الأشواق، وشرّفوه بعنايتكم التي سلمت براهينها العقول الراجحة السليمة والأذواق.

وتفضلوا عليه بذكره أثناء دعائكم واجعلوه من جملة خولكم ورعائكم، والسلام على كل من اكتنفته تلكم الزاوية من أبناء وقرابة، خصوصا السريين النبيلين سيدي عبد الكريم وسيدي محمد بن محمد وجميع من ألقى من الغرباء هنالكم جرانه وجرابه، ونسي بوجودكم اغترابه. والسلام معاد عليكم ورحمة الله وبركاته، من أحب خلق الله في مقامكم، خديم آل الله والأولياء البررة الأتقياء أمثالكم. أحمد بن محمد المقري أخذ الله بيده ووقاه صروف يومه وغده، وأصلح أحواله، ووقاه شرور الدهر وأهواله، بمحمد عليه الصلاة والسلام. وكتب عن عجل وخجل ووجل يوم الخميس عاشر صفر الخير سنة 1021هـ، عرفنا الله فيه عوارف الخير وجمعنا بكم، فيذهب إن شاء الله كل بؤس وضر بمنّه وكرمه وطوله، والمؤمل من معاليكم النظر بعين الرضى الكليلة، والصفح عن الفهاهة الباقلية، فمثلكم من اغتفر الكثيرة للقليلة، فإن الهيبة طالما صرفت العبد عن مخاطبة تلكم السيادة، لسوء أدب العبد وعدم قيامه بواجب المحبة التي ملكت قياده، ثم بعد ذلك حمله ما يعلم من أخلاقكم الحسنة على أن تجاسر على أمر أمر ولم يستيقظ من سنة والنحل يعذر في القدر الذي حملا /20/ على أن العذر باد لتشتت الأحوال وتصدع الأكباد.

أغدو وأروح ذاهلا كأني بلا روح مكدر الشرب، مروع السرب، مبتعد عن محل النشأة غير مقترب، ناء عن الأهل صفر الكف مغترب، أتمثل أن أبصرت جورا فيم الإقامة بالزوراء فلا صديق إليه مشتكى حزني، ولا أنيس إليه منتهى جزعي، فصفحا عما صدر من تقصير في حق جهبذ ناقد بصير، لازال محلكم محط رحال خامل ونابه، إذا كشف الدّهر عن نابه كشفنا الحوادث عنابه، والله يبقي مفاخركم التي أثبتها الدهر في صحيفة وخلدها، وتلقاها الداني والقاصي بالقبول وتقلدها، ويديم النفع بكم وبعلومكم التي صححت على المعيار المعرب، وافتخر بها على المشرق والمغرب، وهذا دعاء لو سكت كفيته لأني سألت الله فيه وقد فعل، بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله، وهذا دعاء للبرية شامل وما لا يخفاكم من أحوال العبد أن افتقر إلى زيادة شرح فحامله كفيل به، ولا تغفلونا من

جواب معه، وهذا بحسب الاستدلال وإلا فمن هو أحقر من وتد بقاع منكر
ـربوع والبقاع، وأفقر من نملة في رملة، كيف يطمع أن يخطر ببال من عظم
ـه قدره دينا ودنيا، وجعله وحيد دهره بلا ثنيا، الا أن يسمح ذو الفضل الذي
ـعتد بكمالاته، والله أعلم حيث يجعل رسالاته. انتهى.

قلت ومن كرامات الشيخ سيدي أبو بكر المذكور رحمه الله أنّي كتبت له
ـعض المكاتيب وهو يبني قنطرة وادي أم ربيع، وبحضرته آلاف من الناس وتلك
ـقنطرة يعجز عن بنيانها أكابر الملوك، وكم بنى مثلها، بل بنى مدينة الدّلا وهي
ـن أكبر المدن. فحين جاء الرجل بكتابي قال له قبل أخذه منه: هذا كتاب المفتي
ـو مفتي الغرب، فقال: يا سيدي بل صاحب هذا الكتاب ليس بمفت وإنما مفتي
ـغرب غيره، فقال: لا بل صاحب هذا الكتاب هو مفتي الغرب. فقضى الله أن
ـوفي مفتي المغرب بتلك الايام وتوليت مكانه بعد قول الشيخ ذلك الكلام بقريب
ـو الله الموفق.

خطاب الشيخ عطية للمؤلف

ولما حللت اسكندرية بجمادى الأولى سنة 1028هـ خاطبني بعض علمائها
حين طُعِنت وهو الشيخ عطية حفظه الله بقوله:

أيا وارثا علم الرسول لك الفدا ... من السوء والأعداء في غاية الرّدا
ويا مفردا في عصرنا لمن اتقى ... ويا كنز جنات أحاط بنا الندا
رءاك ولي الله في الحق واحدا ... سنوسيا يا جامع الفضل منجدا
لقد فقت أهل العلم في كل وجهة ... بحل رموز مشكلات على العدا
شبيه لنجل القاسمي إما منا فأنت ... الذي كالنجم تعلو أو تقتدى
مدونة جمعت كل فضائل ... ففقت طرازا مطلقا ومقيدا
عليم بأسرار خبير ببحثها فمن ... جاءكم قد نال علما وسؤددا
نوادركم نظمتها بجواهر وتفسيركم ... بالكشف والسعد قد بدا
فحصنت دين الله بالعلم والتقى ... وبانيه بنيانا متينا مشيدا
وسماك رب الناس باسم حبيبه ... فضاءت بك الأقطار وانكشف الصّدا
سلالة مقري فقرت عيوننا ... برؤيتكم والعيش صار منضدا
على قدم الفاروق ناصر ديننا ... خليفة خير الخلق أعني محمدا
فأظهرت شرع الله بعد خفائه ... فأنت الكريم السر لازلت مرشدا
فبدت لنا منكم بدور طوالع ... بشرق وأهل الغرب يرجون أحمدا
فأنت الذي جددت للخلق دينهم ... وتاريخهم وافى بسعد مؤبدا
لقد خوّف الله العباد بطعنكم ... فخرّوا إلى الأذقان لله سجدا
حيارى سكارى يطلبون إغاثة ... لأجل خسوف أمست الناس في ردا

يسبحون للأقطاب يرجون توبة — لرد كسوف بعض العيش مزيد
توسلت يا ربّي إليك بذخرنا — إمام جميع الرسل أعني محمد
كذاك جميع الأنبياء بأسرهم — وأملاكه أن تشفي الحبر أحمد
وصحب رسول الله والكتب كلها — ومالكنا والشافعي المجدد
ونعماننا نعم الإمام وأحمد — خاتمهم قد جاء بالحق والهدى
ومنهم أبو العباس قطب بلادنا — ومرسينا إن عمّ خوف وشددا
وياقوتة ضاءت على كل عارف — وياقوتنا أكرم مريضا وانجدا/21/
لقد جاء أصل الفتح كالبرق لامع — رجاء برّ كَسيرٍ جاء بالنص منجدا
أتونا جميعا زائرين إمامنا — وهنّوه بالبشرى وحج مسددا
ولاذوا بخير الأنبياء محمدا — ينادونه يا سيد الرسل أحمدا
أغث ضيفك المحيي لسنتك — التي تقاصر عنها كل غمر فاحمدا
وهذا كلام من عطية قاصر — ونسبتـــه الـــورى لله حـــدا

مقطوعات الشيخ البيلوني في الحكم والأمثال إلى المؤلف

وأنشدني لنفسه سيدنا ومولانا علامة هذا الزمان، صاحب العلوم والفرقان، سيدي الشيخ فتح الله البيلوني[1] حفظه الله، عدّة مقطوعات في الحكم والأمثال من ديوان شعره المنفرد الأسفار، فمنها قوله حفظه الله:

يعمر أخراه امرؤ زاد عقله — ويعمر دنياه الذي عقله نقص
ألم تر بانيها وقد صفقت له — بأيدي الهوى من قلة العقل قد قص

وقوله:

نعمر دنيانا على قدر نقصنا من — العقل والأخرى فنعمر إن تما
وهذا هو الميزان للعقل في الورى — فترويه في كل على ما به اهتما

وقوله:

أيها الواعظ الذي يبدع الوعظ — بلفظ وبالهدى لن نخاله
أنت كالمنخل الذي هو يلقي — اللب للناس حاويا للنخاله

وقوله:

بنو الدنيا قد اجتهدوا لما لم — يزد فيها ولم ينقص بحال
عقول قد أضل الله عنها — مساعيها فجدت في المحال

وقوله:

صديقك قابل بالجميل وقابل — العدو بصبر منك يرفع ضره

---

[1] فتح الله بن محمود بن محمد بن الحسن الحلبي العمري الأنصاري البيلوني (977-1042هـ/1570-1632م) أديب من أهل حلب. له ديوان شعر، ورسالة في أدوية الطاعون، وحاشية على تفسير البيضاوي، ومجاميع اشتملت على تعاليق. المحبي، خلاصة الأثر. ج3، ص: 254.

ـ أنت قابلت العدو بقبحه ... تكن في الذي تأتى كما أنت تكره

وقوله:

ـ فن ميت في غد ميت يومه ... ويمسي كأن الموت أحلام نومه

ـو كان ذا حرم لأصلح شأنه ... وحببا ما للبيع من قبل سومه

وقوله:

ـ رب فتح الله في الذنب أفرطا ... وفي كل ما يخشاه جهلا تورطا

ـسمحه واختم منك بالعفو والرضى ... وقابله بالحسنى وإن كان فرطا

وقوله:

ـ رب قد زاد افتقاري إلى عفو ... وصفو منك ينفي الكدر

ـشرح لي الصدر بورد المنى ... واستر بذيل الصفح ما قد صدر

وقوله:

ـأمر في الأخذ وفي الإعطا ... لله فاحذر فيهما السخطا

ـليس في التحقيق كل امرئ ... يعذر في الأمر إذا أخطا

وقوله:

ـا كان أسنى طاعة العبد نقصها ... صريح وفي العصيان أردى المناهل

ـيخشى مع الطاعات أعقل عاقل ... ويرجو مع العصيان اجهل جاهل

ـخف وارج منك الخوف وآداب على ... التقى وأين التقى من همّة المتساهل

وقوله:

ـعاظم له الأقران بالزهد في ... الذي يحبونه لا بالتعالي عليهم

ـكن رجلا واخفض جناحك ... خاضعا لهم كرما لا للذي في يديهم

وقوله:

ـقالوا ترافع زيد وهو من عجب ... فإنه أثر لم يبد عن سبب

ـفقلت فاتكم الحدس الصحيح ولم ... لا تنظرون لنقص الدين والأدب

وقوله:

ـقل لمن ساد وهو دون مسود ... ووفى زاهدا بعين حسود

ـربما من قد ظننت غصنا يثنى ... كان عضبا يقد هام الأسود

وقوله:

ـبعلمك إن علمت يكن إذا ما ... بذلت له بان يرضى حريا

كمثل الماء إن روى ثراه ... جرى وسرى على الطامي مريا

وإن يظمأ ثرى الينبوع يوما ... فأنى يكسب العطشان ريّا

وقوله:

إذا كنت إحدى الضرّتين مرجحا ... بود أترجو صفو عيش من الاخرى

فلا ترج من دنياك صفوا محالا   و أنت من الراجين للفوز بالأخرى

وقوله:

تعهد ولاة الأمر بالود واجتنب   مخالطة واحذر لدى السلم كالحرب

هم العين من يأمل بها نظرة الوفا   تجنب منها شدّة البعد والقرب

/22/ وقوله:

إن يكن أهل عصرنا استبدلوا الود   وجاءوا بالصد من كل باب

فلقد خففوا حقوق ولاهم   وكفوا سوء فرقة الأحباب

وقوله:

الحمد لله على أن لي رزقا   كظلي فهو لي عائد

إن طلته الظهر يطلني المسا   لا ناقص عني ولا زائد

وقوله:

تحذر من هواك بكل وجه   فليس لداء طاعته دواء

ولا تطلب به تسكين نفس   فإن النار يذكيها الهواء

وقوله:

تنبه لحكم الحق تشهد به القسطا   من المال بين الناس في الأخذ والإعطا

فيعطيه رغما من يكن قبل أخذ   أو بأخذ ه من كان من قبل قد أعطى

وقوله:

تودّد لذي الأقدار غير مؤمل   لما في يديهم وارض بالأمن من شر

وخالط ذوي التقوى واملن نوالهم   من الدين والدنيا وفي العسر واليسر

وقوله:

أرى الدهر طلابا لثأر من انغلب   فلا تغترر فالأمر كم دار وانقلب

ولا تضطرب إن ضاق واصبر فإنه   سلوب لما أعطى وهدي لما سلب

وقوله:

بمالك لا تبخل وبالجاه لا تجد   فكم سامع إن قلت وهو ملول

ومن لم يجنب عضبه كل مضرب   نبا واستبانت في شباه فلول

وقوله:

برمت بأقوام لفرط خلافهم وهم   برموا أيضا لبذلي لهم نصحي

فمن لي بذي لبّ تنوب إشارتي   بطرفي له عن منطق الألسن النصح

وقوله:

ستقضي على رغم وتصحب ماله   عملت وتبقى ما جمعت من المال

فتندم في تكثير مال تركته   وتقليل ما صحبت من خير أعمال

فاقلل وأكثر فيها حسب ترا   لنفسك واحذر من غرور بآمال

وأنشدني لنفسه أيضا أدام الله عزّته قوله:

رأيت الناس في البنيان جدّوا ... وفيه استغرقوا مالا وحالا
كأن الله خلّدهم فأضحوا ... بدار لا يرون بها ارتحالا
لقد غرتهم فيها الأماني ... وقد منتهم منها المحال

وقوله:

أيا من شاد بيتا من بيوته ... لقد أمسيت في أمر مريب
ـى كم أنت تهدم ما بنوه ... وتبني ما سيهدم عن قريب

وقوله:

ـيهدم ما بنوه لغير ضعف ... وتبني بعد ذلك للخراب
ـترك في الظمأ ماء وظلا ... وتسعى في الظهير للسراب

وقوله:

ألا قل لمن يزهى بنشأة لمحة ... تمهل رويدا لست في ذلك الفردا
فكل عباد الله مظهر لطفه ومن ... ظن تخصيصا فذلك هو الأردى
كفى عبرة ما نال إبليس من على ... ولما علا لاقى القطيعة والطردا

وأنشدني أيضا حفظه الله قوله:

فلا تحقر الخصم المهان فربما ... تغلغل لين الماء في الحجر الصلد

وقوله:

ـع الصبح ما كتم العشاء ... وأبدى الكشف ما ستر الغشاء
ـا للخلق فيهم من قيام ... بهم في كل ما فعلوا وشاءوا
ولكن كل ذلك خلق رب قدير ... فهو يفعل ما يشاء
فلا يدني من الخير ارتجاء ... ولا يقصي عن السوء اختشاء
ولا بالبأس منه صال ذيب ... ولا للضعف عنه حال يشاء
ولا من خمره للكأس سكر ... ولا من مائه يسقى الرشاء
فلا تشتغل بغير الله قلبا ... وحسبك منه نشو وانتشاء

وقوله:

ـزين مكارم حسن خلقك بالتقى ... وزن الوقائع فالمهذب من وزن
ولا تجزع للأمر ما لك حيلة ... فيه وإن تك حيلة لا تجزعن
وافعل وقل من بعد ذاك ولا تقل ... ما يختشى واكتم سرورك والحزن
ولكل عبد فانو خيرا إن ذا في ... المنزلين أجل ذخر يختزن

مدح المؤلف لشريف مكة إدريس بن الحسن وابن أخيه محسن

/23/ الحمد لله وقلت:

تألق البرق في جنح الحناديس ... بالأبرقيـــن فحيانـــي بتأسيس

وقد سرت نسمة من حاجر سحرا ... فنفست شجو مضنى بعض تنفيس

صب يهيم بنعمان وساكنه ... يطوى الفلى بين ترحال وتعريس

تخيل البيد بحرا رماله لجج ... ولا سفين سوى البزل القناعيس

لله ركب سروا والسعد ساعدهم ... فجدهم لم يشب يوما بتتعيس

ساروا لمغنى الحمى والشوق يحملهم ... إذا ترنم شدوا سائق العيس

مالوا نشاوى على الأكوار من طرب ... كأنما شربوا صرف الخداريس

يا رائد القوم للبطحاء منحفزا ... في سيره مخلصا من غير تلبيس

أحرم إذا جئت يقات الهدى وأزح ... ما يقتضي الإثم أو يقضي بتدنيس

وانزل بمكة ضيف الله في حرم ... واكتب على القلب فيها عقد تحبيس

وقبل الحجر الميمون ثمت طف ... بالبيت فالبيت عنوان الفراديس

واركع وقبل يمين الله واسع ... وسر مؤملا في منى طرد لمقاييس

واسئل عرفات رحمة ظهرت ... آثارها فأثارت حزن إبليس

وانفر وجمع بجمع وازدلف ... بدعاء لله في المشعر الأزكى بتغليس

والق المنى بمنى في العيد ثمت ... عد للبيت ثم أفض من غير تنكيس

وارم الجمار بأيام مباركة ... واستعن بالذكر تأمن خوف تفليس

ولا تدع دعوة الله مخلصة ... في ذي الأماكن دامت ذا تقديس

بنصر من خطب العليا فقابله ... وجه الزمان ببشر لا بتعبيس

كهف البرية ركن المجد ملجأه ... حامي حمى الحرم المأمون إدريس[1]

سبط الرسول منيل السول مظهر ... أبناء البتول مزيل المولم البيس

مولى الملوك الذي يعنو لهيبته ... وعز سلطانه الضرغام في الخيس

يا مفردا علما جلت مآثره عن ... أن تعد بتسميط وتجنيس

صفحا عن القاصر المهدي فهاهته ... فليس كل بناء صرح بلقيس

غريبة برزت من خدرها خجلا ... من القصور وكانت ذات تعنيس

وافت من الغرب تطوي البيد ... مشفقة من البحار وأصحاب النواقيس

والنمل يعذر في القدر الذي حملت ... قواه ليس القطا مثل الطواويس

---

[1] إدريس بن الحسن بن أبي نمي شريف مكة، ولد سنة 974هـ، كان من أجل الناس، شهما تهابه الملوك، شجاعا حسن الأخلاق. اختلف مع ابن أخيه محسن بن الحسين فقام عليه إلى أن استقل بالأمر دونه سنة 1034هـ وهي السنة التي مات فيها الشريف إدريس. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص ص: 390-394.

يصاحب الغرب مشغول بذكركم ... وردكم لم يشب نصحا بتدريس
يحمل العبد لما أم مجدكم ... رسالة سرها طي القراطيس
يرجو دعاء بتمكين وبسط يد ... إذ طالما جال في حرب الكراديس
ينشئ بين ذوي أحكامه رحم ... يرعونه مع تعداد النواميس
تكيف بالنسبة الغراء من حسن ... والفضل أسس فيها خير تأسيس
لا زلت يا بهجة الإسلام في مرد ... للنصر ما أشرقت أضواء برجيس

وقلت:

يا نسيما سرى إلى نعمان ... طيب النشـــر عاطـــر الأردان
شقتني للحمى وجدت شوقي ... لعهود قد قضيت من زمان
حيث طير الهناء يصدح سجعا ... بغناء يزري بشدو القيان
وخيول السرور تمرح سبقا ... فتروق الأبصار حسن عيان
وغصون الرياض ذات تثن ... وبطاح الأزهار ذات افتنان
طرزتها أيدي السحائب وشيا ... وكستها بروده لازديان
وزرود الأنهار قد سردتها ... كف ريح في غاية الإتقان
والربى قد تضمخت بعبير ... وسقيط الندى نظيم جمان
لست أنسى تلك المعاهد يوما ... ما رعى الله حسن تلك المغاني
عجبا لي أزداد للغرب شوقا ... كلما شمت ضوء برق يمان
لم يكن عن قلى رحيلي عنه ... أو ملال في الحب أو سلوان
غير أني أرجو الخلاص من ... الذنب بقصدي لكعبة الرحمن
حيث أم القرى وأول أرض ... نزل الوحي في رباها الحسان
حرم أمن وبيت عظيم ... ومكان تهوي له الثقلان
/24/ وحطيم وزمزم ومقام ... ثابت الفضل واضح البرهان
زاده الله رفعة وسموا ... وسعودا ما أشرق القمران
وأدام الأشراف فيه ملوكا ... نورهم مشرق على الأوطان
وحبا من حولي عظيم المزايا ... بمزيد الإنعام و الإحسان
بهجة الدهر محسن بن حسين ... حائز الخصل سابق الميدان
وارث المجد عن أب وجد ... ودّ ليس يثنيهم عن المجد ثان
يا عميدا له مآثر جلت ... ومعال غنية عن بيان
عبدكم أمّ مجدكم بمديح ... فاقبلوا منه ما بدا من معان
فالمقام الشريف أعظم من ... أن يتقن المادحون فيه المباني
ما عسى أن يقال فيمن أبوه ... سيد الخلق من بني عدنان

أحمد المصطفى عليه الصلاة وسلام يقضي بنيل الأمان
ما أتى طيبة ومكة عبد مثقل بالذنوب والعصيان
فانثنى فائزا بحسن ختام بمزيد الغفران والرضوان

ويمدح ابن مرشد مفتي الحرم المكي

وقلت:

يا سائق الأظعان يزجي العيسا أبلغ سلامي للرضى ابن عيسى[1]
شيخ الشيوخ واحد الزمان مفتي الأنام عابد الرحمن
بحــر العلوم جامع الأنحاء من خص بالإفتاء في البطحاء
وحاز في أعلام أرض الحرمين وغيرها فضلا وسبقا دون مين
فمدحه يعجز كل منشد وكيف لا وهو أجل مرشد
ذو الكتب الصحيحة المحررة والخطب الفصيحة المقررة
والفضل والتبريز في الإنشاء على معاني قهوة الإنشاء
والسبق في شأو العلى والمجد والفهم والعلم الغزير المُجد
إن هام من هواه أهل نجد فكل إقليم له ذو وجد
لا زال في رتبته المنيفة ينشر مذهب أبي حنيفة
ويسمع الرواة من إملائه ما يقتضي التبريز في علائه

أو تقول مكانه:

ويسمع الرواة مما يملي كل مقال جامع للشمل
مبلغا في ذاته وماله وقرة العين قصى آماله
وتدرك النفوس ما تنويه لنجله الحنيف من تنويه
حتى يرى أولاده قد أنجبوا وشمسهم أنوارها لا تحجب

وكتبت بعدها نثرا لم يحضرني الآن، وأجابني حفظه الله بما يذكر في محلّه.

وقلت:

أما وعلوم أنتجتها المباحث لقد رق نظم راق بالسّحر نافث
نعالم أهل العصر أحمد من غدا سريعا إلى العليا وفي الناس رائث
عنيت ابن مسعود سراج هداية بثغر رشيد لا عرته الكوارث
له في الهدى أزكى المقامات لا كما حكى نجل همام أخو الهزل حارث
فيا سند العلياء كم لك في الورى أسانيد لا يدنو إليها المباحث
فأنى يرى مثلي مجيزا لمثلكم وليس أخو جدّ كمن هو عابث

---

(1) انظر الهامش رقم: 1، ص: 87.

وما كان تأخيري جوابك عن قلى ... ولكن كثيرا ما تعوق الحوادث
فلا زلت فذا في البلاغة مفردا ... يقصد عن علياك ثان وثالث

تقريظ المؤلف على كتاب إتحاف الناسك للسويطي

ولما ألف صاحبنا الصالح الشيخ عبد المنعم السويطي الذيبي، تقبل الله عنه، كتاب إتحاف الناسك بإيضاح أحكام المناسك، وسأل مني تقريظه، كتبت ما نصه: نحمدك يا منعما على عبده بإتحاف رياض بخفي ألطافه، فأوضح المناسك وبين للناسك ما تكمل به عبادته، في وقوفه وسعيه ومطافه، وأصلي وأسلم على أفضل من حج واعتمر، وأجل من أمر وائتمر، وأورق غصن هداه وأثمر، فدنا جناه لمريد قطافه، والرضى عن آله وأصحابه وعترته وأحزابه، ومن اهتدى بأنواره، وهز باقتفاء آثاره من أعطافه وبعد:

فقد وقفت على هذا الإتحاف الذي طابق اسمه مسمّاه، وطاب محتده ومنماه، فلفيته للعيون قرة، وللفنون غرة، وكيف لا ومؤلفه العلامة الأوحد الصالح الذي لا ينكر فضله ولا يجحد، الشيخ عبد المنعم وناهيك بإضافة تشريف، ومعرفة لا تحتاج إلى زيادة تعريف، فلقد أتى حفظه الله بما شنف الأسماع، وفطم الأطماع، منية مقترح الفرائد، وبغية المنتزح الرائد، فبأي لسان أثني على هذه المقاصد الحسان، أم بأي قلم أعبر عن محاسن هذا المفرد العلم، والعلوم منح ومواهب، وللناس فيما يعشقون مذاهب:

قد جاد بالإتحاف ... كالدر في الأصداف
وجنة ألفاف ... دانية القطاف
لينة الأعطاف

الشيخ عبد المنعم ... ومن لذيبي قد نمى
ذو العلم والتفهم ... والسبق والتقدم
في موقف الأنطاف

ونوّر الحوالك ... وأوضح المسالك
وبيّن المناسك ... لكل عبد ناسك
أم القرى مواف

قد حوى ما رامه ... بختمه برامه
مقر ذي الكرامه ... من أوجب احترامه
ذو البر والألطاف

أحمد خير منتقى ... فوق السموات ارتقى
أفضل عبد اتقى ... ربا له قد أعتقا
من ربقة الإسراف

وما عسى أن يذكرا من وصف من ساد الورى
وأمّ والغير ورا ففضله لن يحصرا
بالنثر والقواف

صلى عليه الله ما اطلع أفق أنجما
وما حيي من قدما ومن تلاه أنعما
في ظل أمن ضاف

مع آله وصحبه وجنده وحزبه
ومن غدا من حبه مختتما بكتبه
ففاز بالإسعاف

عزم المؤلف على الحج الشريف

/25/ وقلت عندما فرقنا قراءة البخاري وعزمنا على الحج الشريف بمصر المحروسة سنة 1029هـ

قد نعمنا دهرا بسرد البخاري وشربنا من فيض فتح الباري
وانتظمنا في سلك عيش هاني في ديار أكرم بها من ديار
حيث وجه الزمان طلق المحيا وغصون الامال ذات اخضرار
وعزمنا على التمادي فحالت عن منانا سوابق الأقدار
والليالي ليست تدوم بحال وسلوك الساعات ذات انتثار
إن أنالت ردت ومهما أعارت أذنت سرعة برد العواري
يرعى الله عهد قوم كرام وصدور أئمة أخيار
ونجوم زانوا سماء المعالي فلمصر بهم أجل افتخار
لم أفارقهم قلى وملالا لا وحق المهيمن القهار
غير أن الأشواق قد حركتني لمغاني الحمى بغير اختيار
إن تذكرت حاجرا ومسيلا هام دمعي (....)[1]
أنجز الله بالحجاز وعودا ووفودا للبيت ذي الانتشار
وعهودا بطيبة مهبط الوحي وسكنى فيها بخير جوار
في ظلال الرسول كهف البرايا صفوة الله أحمد المختار
فعليه الصلاة ما حنّ صب ذو اشتياق لروضة المعطار
فلتمدوا هنيتم بدعاء ببلوغ الأوطان والأوطار
وحصول المنى وحسن ختام وصلاح الإيراد والإصدار

---

(1) ما بين القوسين كلمتان لم نهتد لقراءتهما.

إجازة المؤلف للشيخ محمود بن أحمد العمادي الخليلي

وكتبت بأرض الخليل من طرف القلم بديهة لبعض العلماء ما نصه: الحمد لله الذي أجاز من اختصه من عباده بمزيد التبجيل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الموصوف في الفرقان والتوراة والإنجيل، والرضى عن آله وأصحابه وخير أمته المشهورة بالغرة والتحجيل، وبعد:

فيقول العبد القاصر فلان أخذ الله بيده يوم لا منجي سواه ولا عاضد ولا ناصر. إن الأخ في الله الفاضل السري اللّوذعي الدّراكة الفهامة سيدي الشيخ محمود ابن مولانا العلامة الشيخ أحمد العمادي الخليلي زاد الله في معناه وعمر معمورات مغناه، لما التقيت معه بأرض الخليل، وتجاذبنا طرفا من الفنون فظهر فضله وإن كان النهار لا يحتاج إلى دليل، رغب منّي أن أجيزه لظنه أنّي من رجال هذا المجال، فاعتذرت بأن البضاعة مزجاة، فكانه ما قبل عذري الوجيز، وإن مثلي أن يجاز فضلا أن أجيز، ولكني قد أجبته رجاء صالح الدعاء منه في البقاع المقدسة، وخصوصا عند روضات الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، حيث المباني على التقوى مؤسسة.

وقلت:

أجزتك العبد يا من هو محمود	جميع ما قد رواه وهو معدود
وكل نظم ونثر قد تكلفه	كذلك ما هو بالتأليف مقصود
في الفقه والنحو والتاريخ ثمت	في علم الحديث وشرط الكل موجود
إجازة أطلقت فلترو جملتها	في كل ما صح والتفصيل مفقود
وخطه أحمد المقري مبتهلا لله	جــلّ وباب الغيـــــر مســـــدود
ثم الصلاة مع التسليم يصحبها	على شفيع الورى من شأنه الجود
والآل والصحب والأتباع أجمعهم	ما لاح نجم الهدى واهتز أملود

والمطلوب من سيدنا المذكور، أدام الله علاه وأعانه على ما أولاه، أن لا يغفلني من دعائه الصالح مظانّ الإجابة أن يرفع الله عن قلبي حجابه، ولولا تشتت البال وتكاثف السّحر والبلبال لشرحت بعض الطرق التي يتصل بها السند، وبيّنت وبنيت مشيدها على أوثق عمد، لكن يعز علي من بعدت داره وشط مزاره، ولم يستصحب من الكتب ما يعينه على ما هو بصدده، والله المسئول أن يمدنا جميعا بمدده، بجاه سيدنا ومولانا وملاذنا وغوثنا وكهفنا سيد الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وقلت:

/26/ لك الحمد يا من فاه كل لسان	بتوحيده إذ لا يقاس بثان
وأزكى صلاة نيرات شموسها	على من حباه الله نيل أمان
محمد أزكى العلمين بأسرهم	وأفضل خلق الله دون مدان
وبعد فإن العلم أنفس مقتنى	وأشرف مخصوص برفعة شان
ولا سيما علم الكلام الذي له	بموضوعه فضل وثيق مباني
غدا لعلوم الشرع أصلا وغيره	كفـــرع (........)[1]
وقد ألف الأعلام فيه وأكثروا	فمن موجز أومطنب ببيان
ولا مثل ما أبدى السنوسي إذ غدت	عقائده تحوي خصال رهان
وعمّ بها نفع لباد وحاضر	فلله ألفاظ سمت ومعان
وقد نظم المولى الشريف محمد	عقيدته الصغرى نظم جمان
فيا سبط حجاز سليل نبينا	ويا من له في الفخر خير مكان
جزيت من الرحمن خير جزائه	وأوليت خيرات وكـــل أمان

المؤلف في الجزائر المحروسة

ولما حللت محروسة الجزائر[2]، خرجنا يوم الخميس 25 ذي الحجة سنة 1027هـ صحبة جماعة من الأعيان منهم مفتي الحنفية الخطيب المولى محمود بن حسين بن قرمان الشهير، وكان ذلك برأس تافورة، فقال لنا الأديب ابن راس العين[3]، يصلح هنا نظم، فقلت:

خرجنا مع المولى إلى راس تافورة	فصارت به تلك المعاهد معمورة

فقال ابن راس العين:

وما أحد إلا اعترته مسرة وكانت	قلوب القوم بالجمع مسرورة
وجالسنا فيه أناس أفاضل فقلت	مآثرهم بين الأكابر مشهورة

---

(1) ما بقي من شطر البيت غير واضح في النص.

(2) يثبت هنا المؤلف ويؤكد نزوله بمدينة الجزائر وهو في طريق الرحلة من المغرب إلى المشرق. وهذا ما يقيم الدليل الذي افتقده أحد الباحثين حين قال: إن جميع المصادر لم تشر إلى ذلك قط. محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 192.

(3) محمد بن أحمد بن راس العين، الأديب الرحالة، من شعراء الجزائر العثمانية، كان حيا سنة 1058هـ، اشتهر بشعر المجون، وكان محل تقدير الشعراء والعلماء، ومن المتأثرين بالمدرسة الأندلسية في نظم الموشحات. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 267.

سعيد قدّورة يكتب للمؤلف ملغزا في القوس:

كتب إلي مفتي الجزائر وعالمها وإمامها وخطيبها الأخ في الله سيدي سعيد الشهير بقدورة[1] حفظه الله، تلميذ مولاي العم رحمه الله، ملغزا في القوس:

يا بارعا أربى على ذوي النهى	ولامعا يسمو على نجم السهى
لفظ تراه في كتاب الله	اتى مثنى يا أخا انتباه
ولم يثن فيه واصطحبه	في السفر المبرور تستطبه
والأصل ان قلبته دل على	محتفـــل للنبـــلا والرذلا
وإن تصحف اخرا قد جردا	فأكلان اثنان منه تجتدا
وإن تصحف أول الحروف	فاسم لنوع الة معروف
ثم اذا قلب ذا المصحف	فسوف يأتي لك منه لطف
وإن تصحف قلبه ألفيته	صبابـــة مني لخل (......)[2]
وإن تزد حرفا على ما قلبا	فاسم لمن سوى الملوك أعربا
لا زلت كهفا لجميع الناس	يا خير من رني من أهل فاس
بقاك ربي ناشر المعالي	ومتحفا بأفخـــر اللالـــي
وبلغ الجميـــع للمـــراد	موفقا لمذهـــب الرشـــاد
بجاه سيد الورى محمد	هادي الأنام للطريق الأسعد
صلى عليـــه ربّنا وسلما	بما يكـــون لرضاه سلما

فأجبته بما نصه: الحمد لله الذي قد ألهما، لحل مشكل عرا وأفهما، وصلوات على المقترب، كقاب قوسين النبي العربي. ثم الرضى عن صحبه وعترته، الفائزين بمزايا قربه، ووارثيه علماء الملة، السعداء العاملين الجلة، وبعد:

يا صدر الكمال والورع فقد أتاني نظمك الذي عجز عن ألفاظه قاريها، فأسلم القوس إلى باريها، وكيف لا وقد رمى عنها، فلم تحط شريد الفهم، وأسهم القلم، فسوق ... ع العلوم نافقة به، وأعلام الفهوم خافقة، أقسمت بالسورة من فوق الفلق، لقد أضاء ... علاك وانتلق، وفقت علما كل بان يبني، والتبر غير مشبه للتبن، جمعت بين البر والايناس، يا لك جمعا شاقني لفاس، وسوف يأتي القلب روح وارج، بعون من بيده كل فرج، فالشوق للمعاهد المنسوقة، عمّ الملوك أمره والسوقة، ونسأل الرحمن ملء العيبة، من ربح تجر مكّة وطيبة، مغنى رسول الله مولى الاشتها، صلى عليه الله من دون انتها، مع آله وصحبه ومن ورى فنال من حسن الختام ما نوى.

/27/ وقلت: من جملة كلام خاطبت الأخ في الله مفتي الجزائر للحنفية وخطيبها سيدي محمود بن حسين بن قرمان حفظه الله:

---

[1] أبو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة، مفتي مدينة الجزائر وفقيهها وعالمها. تونسي الأصل، جزائري المولد والنشأة. أخذ عن سعيد المقري وغيره، من اثاره شرح الصغرى وغيرها. توفي سنة 1066هـ. أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف، ج1، ص: 66.

[2] ما بين القوسين كلمة لم نهتد لقراءتها.

ذاك الإمام أبو الثنا ذو المجد والرتب المنيفة
صدر الشريعة والذي أحيى علوم أبي حنيفة
حرس الإله جنابه من سطوة الدهـر العنيفـة

وقلت:

يا فقهاء حضرة الجزائر ومن بها قاطن وزائر
طلبتم لدي علم النحو والبين سدد السهام نحوي
وقد ذكرت معهدي بفاس صحبة قوم عاطري الأنفاس
فاعربوا حباكم الله إلا إلى إلى ربّ تحوزوا المؤملا
إذ غاية الموفق الذي استمد لنعم طاعة الله الصمد
كذاك إن الماء إن تيسرا ومن يعاني العلم رشدا أبصرا
وفي كلام خالد إيماء للصب في قولك إن الماء
وليس مثل لغز إن هند فذا بمغني ابن هشام يبدو
وربما شارك أمرا أمرا في نسبة كضرب زيد عمرا
وما بكل أوجه معه اصطحب وما لباع قد يرى لنحو حب
فانتبهوا لنكتـــة حواها نظمي وسرّ اللغز قد طواها
وخط هذا أحمد نال المرام من زورة المختار والبيت الحرام
واللطف في الحال والمآل مصليا على النبي والآل
ما حنّ مشتاق إلى أوطانه وسلم الأمر إلى سلطانه

وقلت:

جزائر الغرب لا تطرقك أحزان يا بهجة الدّهر طابت منك أزمان
وزادك الله يا أرض الجهاد عُلى فكم علا فيك إسلام وإيمان
وصانك الله من كيد العدى وغدا للنصر والعز في مغناك إدمان
وزانك الله بالشيخ الذي بهرت علومه أوحد العليا سليمان
علامة العصر الأوراري من بنيت بفهمه لمغاني العلم أركان
يا بحر علما حبانا من جواهره فرائدا قد تحلت منهن أثمان
ما كان مني تأخير الجواب قلى ولا ازدراء وشرط الأمر إمكان
لكنني قصرت مني العبارة عن محاسن بحلاها المجد همان
وربما كان في التفسير نوع خفا كما يقال امترى الأقوام آن
يا ندا قد أقسمت بمعاليك الورى فلهم على انفرادك بالعلياء ابقان
وأنت نعم خليل المرء تعضده إذا تقاعس خلاّن وإخوان
فاعذر محبا قصير الباع مغتربا عن معهد الأنس والأحباب قد بانوا
واهنا ودم للمعالي مفردا علما ما هاج شوق الغريب الرّند والبان

سعيد قدّورة يكتب للمؤلف ملغزا في لفظ الصنّبر:

وكتب إلي الأخ في الله تلميذ مولاي العم وسميه الفقيه المفتي بالجزائر محروسة سيدي سعيد قدّورة حفظه الله ملغزا:

بحرا بدا من غربنا بجزائر	وبحرا عبابا من نفيس ذخائر
حاجيك يا فخر الزمان بلفظة	أتت في مقام الرّفع دون محاذر
فبدل بالخفض المغير وصفه	ولا سبب يبدو لرؤية ناظر
فليس مضافا أو بحرف يجره	ولا تابع المخفوض أو بمجاور
وليس للحكي فيه قبل جرّه فرد	فأنت اليــوم زين المحاجــــر

فأجبته في حال اشتغال فكرة غافلا عن قوله ولا بمجاور بقولي:

أتاني نظام من وحيد الجزائر	تعظمته إذ كان أكرم زائر
يشير به فيما أظن للفظة	عراها من الأتباع حكم مغاير
وذاك مثل الحمد لله دائما	فكسرك دال الحمد ليس بضائر
وما كان تأخيري جوابكم قلى	وقد يترك المطلوب عند الضرائر
وعذرا فإنّ الشجو شتت فكرتي	ولله أشكو ما تكن ضمائري

فراجعني بما نصه:

28/رأيت جواب الحبر خير مؤازر	وعيبة أسرار ومنية ناظري
ولكنه عن صوب تصدى مباين	لقولي في نظمي ولا بمجاور
ولا فرق بين تابع ومجاور	بنص الدّماميني صدر الأكابر
وحصرهم التحريك في عدّ ستة	يدل على الأرداف يا ذا المآثر

فراجعته بما نصه:

حبا بسلوك من نفيس الجواهر	إمام بدا من نظمه كل باهر
يومئ تجديد الجواب لأنه	تقدّم قول فيه ليس بظاهر
فقلنا اردت الصنّبر وهي لفظة أتت	بعد حين هاج في شعر ماهر
ومن يتوهم فليقف مع نقله	ويبدل بخفض الظرف رفع المظاهر
ونبه للتحقيق من كان ذاهلا	عن القصد حتى صار أوضح زاهر
فهذا جواب العبد واعذره إذ	غدا فؤاده وطرفه بين ساه ساهر

كتاب المؤلف إلى شريف مكة محسن بن الحسين

وممّا كتبت به لشريف مكة المشرفة، وقد وصلني منه كتاب، ما صورته: الحمد لله من جعل من يشاء من عباده محسنا، وحلاه بالعدل والإنصاف، وشاد به

للعدل أعظم البنا، وحباه أحسن الأوصاف، أسألك بأفئدة أنت أعلم بنيتها، ونمد إليك أيدي ضراعة أنت الكفيل ببلوغ أمنياتها، متوكلين عليك توكل المضطر العاني، متوصلين إليك بقولك "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"[1]، متوسلين إليك بنبيك عليه الصلاة والسلام الذي أتي جوامع الكلام، فتمت كل كلمة من كلماته ما لا يحضر من المعاني، أن تفرغ غمائم النصر وشأبيبه، وتسبغ عمائم الفخر وجلابيبه، على عبدك الذي استخلصته من أشرف العناصر، واستخلفته على من تثنى عليهم الخناصر، ومنحته النّصر الرّباني، ولن يخذل من أنت له ناصر، وزينت بطلعته الحسنية أقطار بيتك الحرام، وبلغته في(...)[2] السنية أوطار كل مرام، وبوّأته من المجد نواصيه، وملكته من السّعد قواصيه، واسطة عقد أبناء الرّسون على الحقيقة، جامع أشتات الكمال فما ترك منها دقيقة، حامي حمى الحجاز بعدله الوريف، ماحي آثار المكارم بنظره الشريف. الإمام الذي جعله الله محسنا باسمه وصيّر مناقب العلى والحلى من وسمه الهمام الذي عرف بحدّ الحسام، مآثر المنن الجسام، فوقف الكل عند حدّه ورسمه، سلطان الأقطار الحجازية، الذي البسه العقل والحجى زيه طراز العصابة العلوية، وفخر السلالة النبوية درّة الزين وقرة العين، سيدنا ومولانا الشريف محسن بن الحسين، جعل الله الأيام مقرونة بطول حياته والأنام معمورين برعاياته:

ودام ظلا على الزمان	ونـال ما شـاء من الأماني
وحـيث حـلت له ركاب	يصـحب بالنـصر والأمان

وكتب له عزّا لا تمطله الأيام في تقاضيه، ونصرا لا يزال مبنيا على الفتح ماضيه، أمين.

وينهي إلى حضرته الشريفة التي حباها الله بما حباها، وعتبته المنيفة التي تحل الأعاظم عندما تحل بها حباها، بعد أتم سلام لائق بذالكم المقام الأرقى، تقتبس أنواره من قوله: "وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى"[3]، ودعاء يأتي على مراد الناس طبقا وثناء يقصر عنه لسان الفصيح، ويضيق عن أقله كل طرف فسيح، إن العبد له من الشوق إلى جنابكم الكبير، الذي يستنشق من تلقائه ما يزري بالعبير، ما يقصر عنه التعبير، وقد ازداد الشوق ونما عند ورود المكتوب الشريف، الذي كان ورده على الفقير كنزا ومغنما، فقراه واقفا على قدم الإجلال منشدا في الحال وحيد أنسه قال:

لا زلت يا محسن الدنيا وسيدها	ونيل عدلك يروي كل من وردا

---

(1) سورة البقرة، الآية: 186.

(2) ما بين القوسين كلمة لم نهتد لقراءتها.

(3) سورة لقمان، الآية: 22.

لا برحت مدى الأيام تحكم في   سرح الحجاز موقى من عن وردا
في إقبالك مشرقة ببدر تمام، ولآلئ آمالك منظومة في سلك الدّوام، والله المسؤول في تيسير الوصول، والظفر من مشاهدة تلكم المشاهد الشريفة بالمنى والسؤل، والسلام.

المؤلف يجيز ابن القاضي

/29/الحمد لله وقلت: أحمد من زين بالرواية، صدور قوم جانبوا الغواية، وخصّ بالإسناد أهل الصدق، من الأئمة هداة الخلق، وأصل الصّلاة والسلاما على نبي أذهب الظلاما، بما أفاض الله من أنواره، على نجود الكون مع أنواره، من أمر الشاهد أن يبلغ من غاب، ولم يختص هذا بزمن، صلّى عليه الله مع عترته وصحبه الأعلام وأسرته، وبعد:

فالعلم شريف القدر، وليس من يدري كمن لا يدري، ومن يكن قد زان علمه بعمل، فقد حوى بذاك أشتات الأمل، وإنّ الإسناد لهاذي الأمة خصيصة خصت بها ونعمه، لو لم يكن لقال كل من شاء ما شاء، فاعرف أصله والمنشأ، وقيض الله له رجالا، قد وسعوا في أمره المجالا، وسافروا من أجله وارتحلوا، واتسموا بالصدق فيما انتحلوا. ولم يزل أهل النّهى كل زمن، يسعون في أخذ له عن مؤتمن، ليرغموا أنف ذوي العناد، بما رووا بصحة الإسناد.

وكان من جملة من في الفهم، فاز بحظ وافر وسهم، العالم المفرد في الفرائض، مذلّل الصعاب منها الرّائض، وفي الحساب والنجوم والفلك، قالت له بحاثهن هيت لك، مع السلامة في الاعتقاد، والأمن من حيف وانتقاد، ذي المشاركة في العلوم، والسبق في المنثور والمنظوم، محمد الشهير بابن القاضي[1]، من من وهي وانتقاض، وقد حدا به جميل الظنّة إلى اتسامه بالأخذ عنّي، إذ كان أيام طيب الأنفاس، حضر ما أمليته بفاس، في الفقه والحديث والكلام، وغيرها من جملة أعلام، حيث الزمان ثغره بسّام، والأمن بالتخويف لا يسام، والشمل مجموع، وأطيار الهنا صادحة والعيش وضاح السنى، سقى الإله نافع السحاب، معاهد الإخوان والصحاب.

فقلت مسعفا له بما نوى: أجازك المقري كل ما روى، وكل ما لفقه من نثره ونظمه من قلة وكثرة، فحدّثن عنه بذاك جملة، وكل ما صححت عنه حمله،

---

[1] أبو عبد الله بن قاسم ابن أبي العافية الشهير بابن القاضي من فقهاء فاس، وهو أحد ضحايا تسليم العرائش لإسبانيا سنة 1019هـ من قبل الأمير المأمون السعدي في مقابل مناصرته على أخيه زيدان، إذ أفتى ابن القاضي الأمير المأمون بجواز تمكين النصارى من ثغر العرائش، فقتلته العامة بالقرويين في 21 ذي الحجة سنة 1040هـ. وقد تأخر قتله عن الحادثة بسنين، ويظهر أن العامة كانت تحقد عليه فعلته وانتهزت فرصة الفتن التي توالت بعد ذلك بفاس فانتقمت منه. القادري محمد الطيب، نشر المثاني، فاس، ط حجرية، ج1، ص: 156.

بشرطه المعتبر المقرر، عند ذوي اتقانه المحرر، وقد رويت جامع البخاري عن عمي الشهير في الأقطار سعيد المقري مفتي الغرب، عن خروف الفذ الوحيد المؤتمن التونسي الطيب الأنفاس، نزيل حضرة الملوك فاس، عن الكمال الأوحد الطويل، عن الحجازي، عن الجليل نجل أبي المجد عن الحجّار، عن الزبيدي بنقل جار، عن مسند الأعلام عبد الأول، عن الشهير الدّاودي المعتد، عن السرخسي، عن الفربري، عن البخاري الإمام الحَبر، وصيته المعروف غير المنكر، وفضله أشهر من أن يذكر.

وهكذا قلتك ممن يعلم عني بما لي في صحيح مسلم كالسند الماضي إلى الكمال عن علم الدّين أخي الجلال البلقيني، عن التنوخي، عن ابن حمزة، عن الشيوخ كابن المقير، عن ابن ناصر، عن ابن مندة، عن المكاثر الجوزقي، وهو عن مكي عن مسلم ذي الأرج المسكي.

وقد روى عني بعض المختصر، قراءة يحمدها أهل البصر، أجزته به عن العم، عن التنسي اللوذعي المتقن، عن حافظ الغرب الرضى أبيه، عن ابن مرزوق، عن النبيه الناصر الشهير بالإسحاقي، عن المؤلف خليل الرّاقي، وخط هذا أحمد المقري عن خوف، ومن يضفه للرّجا يعن، وصلوات الله كل حين على النبي المصطفى الأمين، مع آله وصحبه ومن تلا فنال من حسن الختام أملا.

/30/ وقلت لأمر اقتضاه مضمنا:

تركت رسوم عزي في بلادي	وصرت بمصر منسي الرّسوم
ورضت النفس في حال اغترابي	على ذل الخمول وقلت لها صومي[1]
ولي أمن كصدر الرّمح ماض	ولكن اللّيـــــالي من خصومي

والبيت الثالث هو المضمن، وهو للرّضي الشريف.

المؤلف يمدح محسن بن الحسين

وقلت:

حيا غمام التهاني الرائح الغادي	مغاني السّعد بالبطحاء والواد روض
وباكرت نسمة البشرى بسوح صفا	المعالي فهزت كل قياد
وغردت ساجعات النص مطربــة	بعودها تـــزدري بالشادر الشادي
وامتد ظل غصون الأمن وابتسمت	زهور عدل بأغوار وأنجاد

---

[1] في خلاصة الأثر:

ونفســـي عفتها بالذل فيهـــا وقلت لها عـــن العلياء صومي

تـ- عيد المنى مع جيرة بمنى ... أوقاتهم للهنا تدعى بأعياد
- ـس عهدهم والدّهر جاد لنا ... بالقرب من غير أشجان وأنكاد
-ـ جررت أذيال السرور ولا ... حسود يخشى ولا واش بمرصاد
ـتـهم الله من عرب إذ ذكروا ... تنفي الغموم وتشفي غلة الصاد
ـبـ منى النفس لا أبغي بهم ... بدلا إني ونار هيامي ذات ايقاد
-ـ يا سائق الأظعان منحفزا ... أشنف بأخبارهم سمعي يا حاد
- ذوب على البيداء يعسفها ... وواصل السير تأويبا بأسئاد
ـ شئت حمد سرى من بعد حل ... عرى فأم أم القرى واحلل بأجياد
ـحـص القلب من كدّ ومن تعب ... وحي اشرف حي زينوا النادي
ـصـف لهم طول أشواقي وإني قد ... قصرت قلبي عليهم قصر إفراد
ـتـصـر مملكة الأشراف من حسن ... على علي محسن من دون أنداد
ـ الشريف الذي سرت لبيعته ... أهل الأقاليم من جمع واحاد
ـ دان وقاص بالدعاء له ... بطول عمر يرى خرقا لمعتاد
ـحـتز الملك باستحقاقه وبما ... بنى له خير آباء وأجداد
ـ ـي حديث صحيح الفضل عن ... حسن وعن حسين وهذا خير إسناد
ـحـض الحرب والأبطال هائبة ... الفائض السيب (....)[1] نهج إرشاد
ـحيي رسوم المعالي بعدما اندرست ... حامي حمى الدين من باغ ومن عاد
ـسـر الغطارفة الغر الذين سموا ... من هاشم وأنافوا فوق أطواد
ـبـ المرتضى ظل الإله على ... عباده كنز خير بحـــر أمداد
- جامع الفخر والعلياء معذرة ... عن القصور فمثلي عذره باد
ـ لم أوف بأوصاف خصصت بها ... فما نجوم السماء تحصى بتعداد
ـريك الحال لم يسمح بتقدمة ... فالنطق ذو العي أبدى بعض اسعاد
ـ زلت في دولة بالسعد غالبة ... تحطّ أمة طه جدك الهادي
عليه أزكى صلاة مع صحابته ... والآل طرا وقال طول أباد
ـ سار ركب إلى خير البقاع وما ... رام المشوق إليها طول ترداد
ـ حسن ابتداء قد أضيف إلى ... حسن الختام بإصدار وإيراد

---

[1] ما بين القوسين كلمة غير واضحة في النص..

اجتماع المؤلف بفتح الله الحلبي الشاعر

وقلت بديها:

قرأت لفتح الله[1] في النظم معجزا ... به الفتح جاءت من محاسنه زمر
فدام لأرباب البلاغة كعبة ... يؤدي بها في العمر من حقه عمر

وكان سبب ذلك أنه أنشدني لنفسه قوله حفظه الله:

وما رابني أن أمحض النصح لامرئ ... فألقاه ذا ذوق به استعذب الأمر
فكم قد عصى الإنسان أصدق ناصح ... بطاعة أعدى كاذب في الذي أمر

ولما أنشدته بيتي المذكورين أجابني بديهة بقوله:

تشرفت بالعلامة الجهبذ الذي له ... كل شهم بالتقدم قد أقر
واعني به المولى الشهابي أحمد ... المعنون بالمقري من فضله استقر
فشكرا على لقياه قصد ازدياده ... وحمدا لمن عيني برؤيته أقر

وكان هذا كله أول اجتماعي به بدار سيدي أبي الاسعاد بن وفا[2] حفظه الله.

وقال لي ذلك اليوم: تثبت فسور المؤمنين شفاء، فقلت مجيزا: وهذا جناب للسعود وفاء، مقام أبي الاسعاد دام علاؤه. وقال: فآب إليه العارفون وفاءوا. ثم بعد هذا الاجتماع تأكدت المودة والخلة وكثرت المخاطبات والله الموفق.

---

(1) فتح الله المعروف بابن النحاس الحلبي الشاعر المشهور، فرد وقته في رقة النظم والنثر وانسجام الألفاظ. ملّ الإقامة بين عشيرته فخرج من حلب وطاف البلاد وكان كثير التنقل لا يستقر بمكان. دخل دمشق مرّات وأقام بها مدة، ثم سافر إلى القاهرة وهاجر إلى الحرمين واستقر أخيرا بالمدينة المنورة، حيث كانت وفاته في صفر سنة 1052هـ، وله في مطافه القصائد والرسائل الرائقة يمدح بها أعيان عصره. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص ص: 257-266.

(2) يوسف بن عبد الرزاق بن وفاء المالكي، كان علامة زمانه في التحقيق وله الشعر الحسن والنثر الذي يعجز عن محاكاته أرباب الفصاحة، لبس الخرقة وتلقى الطريقة الوفائية الشاذلية عن عمّه محمد. وهو من بني الوفاء أصهار المقري، توفي سنة 1051هـ بالقاهرة.

إجازة المؤلف للشيخ حنيف الدين

/31/ الحمد لله، وقلت:

أحمد من أولى الهدى جنيفا ... وأسند العلم له منيفا
ومنح الأخذ بالرواية ... نورا أزاح غيهب الغواية
وصلوات زاكيات زاهرة ... على الذي حاز السجايا الطاهرة
وأمر الناس بنشر السنن ... وأرشد الخلق لأهدى السنن
وبعد، فالعلم كما لا يجهل ... أشرف ما يزين من تأهل
لا سيما علم الحديث والأثر ... إذ هو منسوب إلى خير البشر
وشرف المعلوم للمعلم سرى ... كما حكى معناه من قد فسرا
وإن الإسناد له قوام ... لولاه لم يرج له دوام
وخصص الله به هذه الأمة ... لما لها من المزايا الجمة
ولم يزل أهل النهى كل زمن ... يسعون في تحصيله عن مؤتمن
وكان من جملة من أراد أن ... ينظم في أسلاكه ذات الثمن
الكوكب الطالع في أفق العلى ... الوارث العلم عن القوم الآلي
الأوحد الفرد حنيف الدين[1] ... دام معززا بكل حين
نجل الإمام عابد الرحمن ... مفتي الورى في مذهب النعمان
من علمه أمطى الرواة العيسا. ... العالم العلامة ابن عيسى
خطيب سرح البلد الحرام ... لازال بالغا قصى المرام
وعندما عدت إلى أم القرى ... مؤملا من خالقي حسن القرى
شممت عرف الود من تلقائه ... وشمت برق المجد في لقائه
فكلف النجل بالأخذ عني ... لما اقتضاه من حسن الظن
أما درى دام بأني ذو خطل ... وإن أجبته فلست بالبطل
وقد روى عني موطأ مالك ... إمامنا منير كل حالك
مع الصحيحين اللذين حازا ... سبق العلى راويهما وفازا
وسائر الستة لما قرءا ... علي بعضها بوفق ما رءا
وقد أخذت الجامع الصحيح عن ... جماعة من يستعن بهم يعن
كعمي الإمام والقصار ... كل عن الرضى أخي الأنصار

---

[1] حنيف الدين بن عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد (1014-1067هـ) مفتي الحنفية بالديار الحجازية والمدينة وابن مفتيها العالم العلم الفقيه، كان عالما دينا عفيفا عابدا، أخذ عن والده والمقري والخياري وغيرهم، تولى بعد وفاة والده خطابة الجمعة بالمسجد الحرام والتدريس، وفي سنة 1044هـ تولى الإفتاء السلطاني بالديار الحجازية. صنف عدة كتب منها شرح مناسك الوسيط، وبغية السالك الناسك، وشفاء الصدر، والقول المحقق، والسيف الشهير، وغيرها. كانت وفاته بالمدينة المنورة ودفن ببقيع الغرقد. المحبي. خلاصة الاثر، ج2، ص ص: 126-128.

محمـــد ذي الـــرحلة المعـــروف التونســـي المرتضـــى خروف
عن الطويل القادري الأوحـــــد عن الحجازي الذي لا يجحـــد
عن الرضى نجل أبي المجد الذي يروي عن الحجّار في ذا المأخذ
عـــن الزبـــيدي عـــن المعـــول علـــيه فـــي ذا الفن عبد الأول
وهـــو أبـــو الوقـــت عن الجمال الـــداودي صـــاحب الكمـــال
عـــن السّرخسي عـــن الفربري عـــن البخاري الإمام الحبـــر
وقـــد أجـــزته بـــه مـــع كـــل ما قـــد صح عنّي بقصوري معلما
كمـــثل مـــا رويـــت عن شيوخ ذوي الهـــدى والعلـــم والرّسوخ
ومـــا جمعـــت فـــي الفنون جمله نظمـــا ونـــثرا أو سلكت سبله
وإن أكـــن فـــي كـــل ماصـــنفت مســـامع الصـــواب مـــا شنفت
فالمـــرء يـــنفق بقـــدر الوجـــد ما كل أرض مثل أرض نجـــد
وأحمـــد المقـــري قال عن عجل هـــذا وقد جرّر أذيال الخجـــل
عـــام ثلاثيـــن وألـــف وســـنة قـــد خطه أزاح ربي وسنـــه
بجـــاه خـــير العالمين المصطفى أرأف من أسدى الندى وأعطفا
صلى عليـــه الله ما بـــدر سمـــا وما روى النعمان عن ماء السّما
وآلـــــه وصـــــحبه الأبـــــرار ومـــن تلاهم من ذوي الأسرار

ويقول في نظم ما في شرح التوضيح في أفعال القلوب

دوات[1] لليقيـــن بغـــير شـــك وللـــرجحان قولـــك عـــزّ حجّه
وفي الوجهين رع[2] لكن يقين بـــه أولـــى ظحخ عكس نهجه
ورع لهمـــا ويغلب في يقين وظحخ عكس ذاك سلوك نهجه
وقلت:
العـــرض ضد الطول بالفـــــتح وســـــم
والعُـــرض بالضـــمّ لجانـــــب رســـــم

إجازة المؤلف لأحمد ابن القاضي

/32/ بســـم الله الرحمـــن الرحـــيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، الحمد لله أطلع في سماء الروايـــة شهابا، وحلّى بجـــواهر الدراية

---

(1) كتـــب تحـــتها: درى، وجـــد، ألفى، تعلّم، وهي من أفعال القلوب. كما كتب تحت كلمة عزّ حجّه الواردة في اخر الشطر الثاني: علم، زعم، حجا، جعل، هب. وهي من أفعال القلوب أيضا.

(2) كتـــب فوقهـــا: رءا، علم. وهي من أفعال القلوب. كما كتب تحت كلمة ظحخ الواردة في الشطر الثاني: ظنّ، حسب، خال. وهي من أفعال القلوب أيضا.

ـ ـــ وألــبابا، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي رفع الله به من حجب حجابا، وخفض بعوامل أسله هاما ورقابا، وبنى به للعز قبابا، والرّضى ... ه وأصحابه وعترته ومن تبعهم من العلماء العاملين الذين انتصبوا لتقرير ... الشرعية، وتحرير الفهوم المروية، ففتحوا من الأصول بابا، وبعد:

فقد أجزت الشاب النجيب الأريب المحصل الشيخ أحمد ابن القاضي شهاب ... العجمــي[1]، دامت معاليه، جميع ما تجوز لي وعني روايته بشرطه، وقد ... ني حفظ الله شبابه، ويسر الله للخير أسبابه، قطعة من شرح المحقق الجلال ... ي على جمع الجوامع، وحضرني في المنطق وغيره مما يسّر الله إلقاءه، ... ته المواهــب اللدنيّة، إذ جمعني وجملة من الأعلام بعض الدروس فيها، ... ي عني ذلك وغيره بشرطه، من كل ما تصح لي وعني روايته، وأنا أسأل ... يجعلــنا وإياه من أهل العلم والعمل، ويبلغنا من رضوانه الأمل، بجاه سيد ... يــن والاخرين، صلى الله عليه وسلم، وكتب عن عجل العبد الفقير أحمد بن ... المقري المالكي وفقه الله بجمادى الأخيرة سنة 1033هـ.

وقلت:

... ودت بالنصر في خــير الأقاليم	وعوذتـــك المعـــالي بالحواميم
... خبرت عنك بالمحيي رسوم هدى	ذوو العلــوم وأرباب التعالـــيم
... نــك المحسن المولي الورى مننا	مجموعهـــا ليس يدرى بالتقاسـيم
لازلت في العز والتمكين تجمع ما	أضيف عن عزك السامي إلى ميم

المؤلف يجيز الشيخ زين العابدين

وقلت:

جـــزت الشــيخ زيــن العابديــنا	وقـــــاه الله شـــر الحاســدينا
بما أرويه طرا عن شيوخ بمغربنا	زكـــــوا علــــما وديــــنا
ومنظومــي ومنثوري وإن لم أكن	للعـــــلم والتقـــوى خــدينا
ويســـأل أحمد المقري عـــفوا	وحفظـــا مـــن شرور الجاحدينا
ونيــل شفاعة الهادي المـــرجى	شـــفــيع الخلــق خير الحامدينا
علـــى علـــيائه أزكى صلاة مع	الصـــحــب الكـــرام المهــتدينا

---

[1] أحمد بن أحمد بن محمد العجمي المصري من بني الوفاء (1014-1086هـ)، كان من أجلاء علمــاء مصـــر، له الفضل الباهر، والحافظة القوية، والذهن الثاقب، وكان صدوقا حسن العشرة، وإلــيه النهاية في معرفة التاريخ وأيام العرب وأنسابهم، جمع من الكتب المؤلفة في سائر العلوم والفنون فأوعى وحصلها بسائر أقسامها فصلا وجنسا ونوعا. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص: 176. وهو نفسه الذي أجازه في ص: 89.

تقريظ المؤلف على إجازة الشيخ العلمي لبعض أهل مصر

وقلت إثر نثر لم يحضرني الآن:

محاسن ردت الأبصار من أمم — وأعجزت كل ذي نطق وذي كلم
كم رمت وصفا لبعض من بدائعها — وكنت أحسب أن يحظى بها قلمي
تشرفت بانتماء للذي ظهرت منه — المعالي الإمام المفرد العلم

وكان هذا مني في تقريظ على إجازة الشيخ العلمي حفظه الله لبعض الأصحاب من أهل مصر المحروسة بالله سبحانه.

قصيدة المؤلف بمناسبة ختم الشمائل النبوية

/33/ الحمد لله، ختمنا الشمائل النبوية بمصر المحروسة ليلة الإثنين الحادي والعشرون لرمضان سنة 1030هـ، وقلت تلك الليلة وأنشدتها عند الختم:

ما لقلبي يهفو لعهد المغاني — كلما شمت ضوء برق يمان
ما لطرفي ينزاح عنه كراه — وضلوعي شديدة الخفقان
ما لدمعي من المحاجر يجري — إن جرى ذكر حاجر والبان
وإذا ما سرى النسيم سحيرا — من ديار الحمى نمت أشجان
ما لصبري تنحل منه عراه — عند شدّ الرّحال في كل آن
ما لنار الأحشاء تزداد وقدا — عند سوق الحداة للأظعان
لست أنفك عن غرام وشوق — يا عذولي من ملام دعاني
أي شيء تجدي الملامة فيمن — ليس يثنيه في الصبابة ثان
لا تظنا أني همت بسلما — أو سعاد ما لي وللغواني
أو امالتني المناصب والجاه — غرورا بصحبة السّلطان
أو رياض مثل العروس تجلت — فتحلت من الندى بجمان
واكتست من خواتم الزهر حسنا — رائقا في أنامل الأغصان
وتغنت فيها قيان طيور — ببديع الأسجاع والألحان
وتثنت معاطف الدّوح لمّا — أطربتها ألحان تلك القيان
وجرى النهر فوق حصباء در — يبهر الطرف إن بدا للعيان
قد نبذت الجميع من خلف ظهري — كل شيء على البسيطة فان
إنما شاقني السرى مع ركب — أمّ أم القرى بغير توان
يا خليلي نجواي والشوق باد — علّلاني بذكرهم علّلاني
فمذ أبصرت عيسهم عيل صبري — واعتراني من الجوى ما اعتراني
ولم أقدر على التخلف رأسا — مع أني بالسير ما لي يدان

ــــ حـــداة المـــطي رفقا بصب ... حـاضــــر لشوق نـــازح الســلوان
حـ‍ن القلب بين شــــــرق وغرب ... عمـــــرك الله كـــيف يلتـــــقيان
شـرق أوطـــــــاره وبغرب هي ... أوطـــــــــانـــه بأقصى مكـــــان
حـــسبي الله مـــــن غريب كئيب ... ومعـــــــــنى مـــــوله حيــــران
لا معيـــن علـــى نوائـــب دهـــر ... بســـــهام النوى الفظـــيع رمـــاني
لا أنـــيس أبـــثــــــه بعض ما بي ... أو رئـــيس أشكوه صرف الزمان
غـــير أني أرجو نجسن خلاصي ... ســـيد الرســـل منـــجــأ وكـــفاني
فضـــل الأنـــــبياء دون ارتياب ... أشـــرف الأصـــفياء قـــاص ودان
عـــمدتـــي عمدتــي ملاذي معاذي ... مفـــزع الخلق صــاحب الفـــرقان
عـصــــر المكرمات غوث البرايا ... مظـــــهر الحق موضح البـــرهان
ــــنقذ الكل من كــــــروب شداد ... صـــاحـــب الجاه ملجأ اللهـــــفان
حمـــد المصطفى الشفيع المرجى ... لخطوب يـــــدهى بها الثـــــقلان
عــــندما يفـــزع الأنام إلى الرّسل ... وكل في غـــــــاية الإذعـــــــان
فـــيقولون مـــا لهـــا غـــــير طه ... صـــفوة الله مـــن بني عـــدنـــان
فـــنادي أنـــا لها ثم يدعـــــــو ... ربـــه ساجـــدا بخير بـــــــيـــان
فـــيقال اسأل ترض واشفع تشفع ... وارفـــع الرأس تعط كل الأمـــاني
هكـــذا هكـــذا تكون المـــــعالي ... هكـــــذا هكـــذا تشاد المبـــــاني
يـــا مطاعا ويا أجل مـــــــكين ... عـــند ذي العـــرش ربنا الديـــان
ن خـــير الآلاء مـــنك عـــلينا ... أن هديـــنا لأفـــــضل الأديــــان
وحبيـــنا بعلـــم بعض حــــلاك ... الغر يا داعــــــيا إلى الإيـــــمان
فحظيـــنا تـــبــــركا بســـــماع ... لأحاديـــثك الصـــحاح الحــــسان
ورويـــنا شــــــــمائلا لك منها ... فاح مسك الخـــــتام في رمـــضان
فأجرنا والحاضـــــــرين جميعا ... يا إلـــهي بـــــها من النـــــيران
وأجزنا بنضرة ومـــــــــرور في ... جـــــوار الرسول أعلى الجـــنان
وأنلـــنا معـــه قبولا وزلــــــفى ... ونعـــــــيما بالروح والريـــــحان
وبلـــوغ المـــنى ونيـــــــل مراد ... ونـــــجاة من طارق الحـــدثان
وعليك الصلاة ما ســـــار ركب ... ذو اشـــــتياق وقصده الحـــرمان
وســــلام يعم الـــــك والأصحاب ... والتـــابـــعيـــن بالإحســــــان
مـــا دعا مخلــــص فنال بفضل ... حســـن خـــــتم والفوز بالغفران

قصيدة المؤلف بمناسبة ختم صحيح البخاري

/34/ ولمـــا حللت طيبة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام، وقرأت بـ صـــحيح الـــبخاري بالروضة الشريفة في شعبان ورمضان، وفرقنا يوم الثلاثـ

التاسع والعشرين من رمضان المعظم سنة 1033هـ، قلت بذلك الملأ وقد أستعنت ببعض قصيدتي المتقدمة:

ما لقلبي يهفو لعهد المغاني ... كلما شمت ضوء برق يمان
ما لطرفي ينزاح عنه كراه ... إن جرى ذكر حاجر والبان
ما لعيني تذري الدموع غزارا ... وفؤادي يشب بالنيران
ما نصبري تحل منه عراه ... عند شد الرحال في كل آن
يرعى الله للغرام عهودا ... ذات حسن وبهجة وافتنان
في ليال مرت كطيف خيال ... باسمات ذكية الأردان
وحمى الله جيرة أزمعوا البين ... وأمّوا السرى مع الأظعان
يا حداة المطي رفقا بصب ... حاضر الشوق نازح السّلوان
حائر القلب بين شرق وغرب ... عمرك الله كيف يلتقيان
يا خليلي نجواي والشوق نام ... عللاني بذكرهم عللاني
وعذولي لا تلوما وكفى عن ... عتابي ومن ملامي دعاني
أي شيء تجد الملامة فيمن ... ليس يثنيه في الصبابة ثان
لا تظنا أنني أهيم بدعد ... أو بهند ما لي وما للغواني
أو بحسن الرياض ذات غصون ... قد تحلت من الندى بجمان
وتجلت أدواحها كعروس تبهر ... الطرف في ثياب الحسان
وتغنت أطيارها ساجعات ... بهدير يزري بشذو القيان
أو أمالتني المناصب والجاه ... اغترارا بصحبة السلطان
قد نبذت الجميع عن طيب نفس ... كل شيء سوى المهيمن فان
وفطمت الأطماع عنها بتركي ... وامتطيت الفلى بغير توان
داخلا في غمار أهل خمول ... لم يشر لي في غربتي ببنان
حسبي الله من غريب كئيب ... نازح هائم أسير عان
لا أنيس أبثه بعض ما بي ... لا رئيس أشكوه حال الزمان
إنما أرتجي لحسن خلاصي ... سيد الرسل ملجأ وكفاني
عدتي عمدتي غياثي ملاذي ... مذهب الكرب ملجأ اللهفان
خاتم الأنبياء شمس هداهم ... شافع العالمين قاص ودان
صاحب المجسد المؤسسن بالتقوى ... فأعظم بذلك البنيان
صاحب الروضة التي جاء فيها ... أنها من رياض خلد الجنان
صاحب الحجرة التي أفعمت ... أرجاؤها بالضياء واللمعان
يا محط الرجاء عبدك وافى ... زائرا والضلوع في خفقان
وتجرأ وأنت أعظم من أغضى ... بدرس الحديث في رمضان
في صحيح الحبر البخاري ذي ... القدح المعلى في الحفظ والاتقان

و مثلـــي يملـــي الحديث بمرأى | مـــنك والجهـــل ثوبه قد كساني
فاصـــفح اصـــفح فأنـــــت أكرم | مبعوث تحلى بالفضل والإحسان
مـــع أنـــي لـــم أملــــه لـــرياء | لا وحـــق المهيمـــن الديـــــان
إنمـــا قصـــدي التـــبرك لا غير | لعلـــي أفـــوز بالرضــــوان
فأنلنـــي والحاضـــــرين مرادي | وأجـــرنا مـــن موجبات الهوان
وحنـــيف الديـــن النجيب المرجى | قـــارئ الـــدرس ســـابق الميدان
ابـــن شـــيخ الإسلام مفتي البرايا | عـــالم العصـــر عـــابد الرحمن
ابـــن عيســـى ابن مرشد دام كل | مـــنهما فـــي علـــى ورفعة شان
فليحدث عنـــي بما صح له من | كـــل مـــا قـــد رويت طول أوان
وكـــذا ما صنفته بشروط حررت | فـــي إجـــازة ببيـــــان
ومـــن الله أرتجـــي نـــيل قـــرب | مـــنك يـــا مصطفى بني عدنان
ونـــك العـــذر في ارتحالي فأمري | لـــيس يخفـــى ومـــا حوأه جنان
إن يكـــن موطنـــي بغرب قصي | فمـــــرامي بهـــــذه الأوطـــان
ليـــت شـــعري وفي التمني تسل | هـــل يجـــود الزمان لي بالتداني
وأحوز الجواري في طيبة الغراء | كـــيما أحظـــى بنـــيل الأمانـــي
ويـــرى شـــملي الكثـــير نظـــيما | فـــي ســـلوك الهـــنا بخير مكان
وعلـــيك الصـــلاة أزكـــى صلاة | مـــع صـــحاب وغـــرة أعـــيان
مـــا أتـــيح الـــراجون حسن ختام | بالرضـــى والقـــبول والغفـــران

وقرأتها بالحضرة النبوية، وكان مفتي الحرم مولانا الشيخ عبد الرحمن المرشدي رحمه الله يحضرني في الدرس المذكور تواضعا منه، هو وأخوه مولانا الشيخ أحمد وجملة أعيان، وقارئ الدرس الشيخ حنيف الدين ابن المفتي المذكور، حفظ الله الجميع وأعاد علينا تلك الليالي، إنه قريب سميع، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين.

رسالة المؤلف إلى مفتي الحرم الشيخ عبد الرحمن المرشدي

/35/ الحمـــد لله، ومـــا كتبته صدر رسالة إلى مفتي الحرم المكي وخطيبه مولانا الشيخ عبد الرحمن المرشدي الحنفي[1] رحمه الله:

---

(1) عـــبد الرحمـــن بن عيسى بن مرشد المعروف بالمرشدي (975-1037هـ) مفتي الحرم المكي وعالم قطر الحجاز، وأوحد أهله في الفضل والمعرفة والأدب، وهو من بيت علم وفضل وديانة، نشـــأ بمكة وحفظ بها القرآن وأخذ عن شيوخ عصره، تعاطى الفتوى على مذهب أبي حنيفة، سنة 1012هـــ، وباشـــر إمامة المسجد الحرام وخطابته والإفتاء السلطاني في سنة 1020هـــ، وهو صـــاحب مؤلفـــات عديـــدة، قتله شريف مكة أحمد بن عبد المطلب، وفي هذا الكتاب مراسلات ومخاطبات عديدة بين المرشدي والمؤلف. المحبي، خلاصة الأثر، ج2 ص ص: 369-376.

مـا روضـة غنـاء حاكت	طـرزهـا أيدي الغمـائم
ولـوت رؤوس تلاعهـا من	نسـجها أبهى العمـائم
وتضمخت منـها الترائب	بالعبـير مـن اللطـائم
وافـى الربـيع بـها إلى	الـنعمان يسـأل أن ينـادم
فروى له النعـمان عن ماء	السّماء مـا هو كـاتم
وحـديـقة ممطـورة	أدواحهـا غيـر نـواعـم
لبسـت بديـع غلائـل	خضـر والأزرار الكمـائم
مالـت قـدود غصـونها	طـربا لـتغريد الحمـائم
والنـهر صـاف قلـبه	والزهر منه الثغر بـاسـم
والظـل ضاف والنسـيم	مبشـر بالبشـر قـادم
والدهر أتحف بالمنى صرفا	وطـرف الصـرف نـائم
بـأجل أو أبهـى سـنى من	مدحـة فـي خير عـالم
ريشـت لأجنحة العـلوم	بـه الخـوافـي والقـوادم
شـيخ المشائخ عـابـد	الرحمـن ذو الخلق المـلائم
اعني ابن عيـسى من تقـر	لـه الأعـارب والعـجائم
صفتي الأباطـح والمشاعر	والنـجـود مع التهـائم
فهو الوجيه ولا مجـاري	والجـواد ولا مصـادم
يـا كاملا بدت محـاسنه	المـقـاوي والمقـاوم
وافـى كتابـك منـبـئا	بخطـاب مـخدوم لخـادم
وهديـة من محـسن أحي	المـعـالي والمـعالم
قـدّاح زنـد المجـد	سـبّاق الملوك إلى المكارم
رب المـآثر والمفـاخر	صـدر أشـراف أعـاظم
أنـباء خيـر العالمـين	المنـتقى مـن نسل هـاشم
بيت عظيم سمكه سـامي	البـنـا ثبـت الدعـائم
لازال فـي أمـن	وتأيـيد وتمـكيـن ملازم
مـا أمّ ركـب طيـبة	أو مكـة ذات المـواسـم

ومن نثرها:

إن أوهـى درر زانت صدر الشريعة حليا، وأبهى غرر أبانت بدر الهداية جليا، حمد الرحمن الذي شرف عبده فاستنار به الوجود، وأسدى إليه من المآثر، مـا أفحم الناظم والناثر، وأفعم التهائم والنجود، وأرشد به إلى المعارف، وألبسه مـن العناية أجمل المطارف، وجمع له المجد التالد والطارف، وحلاّ جيده بالكرم والجـود، ومنّ على المسلمين بأعلام لم يحتج بين فضلهم إلى زيادة اعلام، فبهم

ـــحر الزمان، وتنتظم حلاهم في لبته نظم الجمان، ومن أجلهم افتخر بوجوده هذا العصر. الحائز للفضل بأدات الحصر. وهي طويلة لم يحضرني منها الآن سوى ـ هذه، ولعلّ الله ييسر فيها فاكتب جميعها، وقد أجابني عنها بما أثبته في غير هـ المحل.

كتبت إليه أيضا دام مجده بما نصه:

بـــأي لســـان أم بـــأي يـــراع	أوفـــي حقوقـــا والمقـــام أراعي
بأي خطاب أرتضيه لمدح من	أزاح عـــن الإشـــكال كـــل قناع
محـــرّر أنواع العلوم الذي سما	بـــأفق العلـــى بدرا عظيم شعاع
وحـــيد المعالـــي قدها وإمامها	خطيب الورى المفتي بخير بقاع
وإن لـــم أصرح باسمه لجلالة	فأوصـــافه ليســـت بـــذات نزاع
فلازال والنجل العزيز وصنوه	حلـــيف اعـــتزاز ظاهر ومذاع
بدولـــة مســـد للمواهب محسن	مجمـــع شـــمل العدل بعد ضياع
أدام الإلـــه العلمـــيـــن سموّه	ولـــبّى بـــه التأيـــيد دعـــوة داع
وحـــي بـــه شرع النبي محمد	مـــلاذ الـــبرايا خـــيرة ورعاع
عليه مع الأصحاب أزكى تحية	لهـــا فـــي قبول الأجر كل شياع

يـــا من إذا ذكر العلماء الأعلام، كانت حلاه لصدورهم قلادة، أو العظماء الأحـــلام الجامعـــي طراف الفضل كان الحائز طرافه وتلاده، أو افتخرت البقاع برجالها والرجال بأصقاعها فهو الذي شرف الله نفسه النفيسة وفضل بلاده، أهدي إلى عليائك سلاما، فقدرك في الجلال وصيتك في أقطار الأرض المعمورة شريفة الظلال، وأنهي إلى مقامك الكبير ثناء أذكى من العبير، أنبأ عنه خلوص الـــود ولا ينبئك مثل خبير، وإن بي من الشوق إلى لقياك ما لا يستوفيه التعبير، ويعجـــز عنه التحبير، وهي طويلة لم أثبت منها سوى هذا، وقد أجابني عنها بما هو مذكور في غير هذا.

إجازة المؤلف للشيخ أحمد ابن القاضي[1]

/36/ بســـم الله الرحمـــن الرحـــيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصـــحبه وسلم. الحمد لله الذي كسا العلماء من الرواية الحلل الضافية، وحلاهم جواهر الدراية التي المحاسن منها غير خافية، والصلاة والسلام على من خصّه الله بالكمالات الوافية، والرضى عن اله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان من الروّاة المهتدين العالمين العاملين المسندين، الذين مناقبهم وافرة وافية، وبعد:

---

(1) هو نفسه الذي أجازه في ص: 83.

فقـــد أجزت الشاب الموفق بفضل الله، الناشئ في حجر الطلب والتحصيل، الباني فروع فهمه على قواعد الأصول، فلله التفريع والتأصيل، الشهاب النجيب الشـــيخ أحمـــد ابن القاضي شهاب الدين الشهير بالعجمي، حفظ الله شبابه ويسر للخـــير أســـبابه، بكل ما تجوز لي وعني روايته من مؤلف ومجموع، ومقروء ومجاز ومسموع، على الشرط المعتبر عند أصحاب الأثر، وقد حضرني أنبته الله نـــباتا حســـنا في عدة دروس من المنطق والأصلين، والله يمنحني وإياه وجميع الإخـــوان مـــن رضوانه ما فيه قرة العين. وكتب الفقير أحمد بن محمد المقري المالكي عن عجل 1033هـــ.

إجازة المؤلف لخطيب الحرم

/37/ وقلت: أحمد من زين تاج الدين[1] بجوهر الرواية الثمين، وخص من بين الورى أعلاما بالعلم حتى أسندوا أعلى ما، وصلوات روحها موصول، على الـــذي زكت به الأصول، المرسل المرفوع قدره على سائر خلق الله جل وعلا، وفضـــله المشهور مقطوع به صلى عليه ربّنا مع آله وصحبه ومن تلا، من كل حبر أمره قد اعتلا، وبعد:

فالعلم كما لا يخفى أشرف ما يعنى به من وفى لا سيما علم الحديث النامي بنسبته لسيد الأنام، ولم يزل في كل عصر جلة تعنى به من أهل هاذي الملة إلى زماننا الذي قد ظهرت فيه أمور أدنفت وأسهرت، وكان من أعظم حبر طلعا بدرا بـــأفق مكـــة قد سطعا، العالم الفرد، الإمام الأوحد، حاوي المفاخر التي لا تجحد خطيـــب هـــذا البلد الأمين المالكي الصدر تاج الدّين، فهو الذي في البحث عنه ينتقي، لازال في أوج السعود يرتقي، وقد دعاه منه حسن الظن للاستجازة والأخذ عني، أمثله يطلب ذا من مثلي مع قصوري وعظيم جهلي، ولست أهلا أن أجاز فضلا عن أن أجيز من يحوز الخصلا، وإن أكن كمن إلى صنعا جلب وشيا، فقد أســـعفته بما طلب. وها أنا أجزته بكل ما رويته وبالقصور معلما على شروطه التي قد قررت لدى ذوي الفن وقد ما حررت مثل الموطأ الإمام مالك، عمدة كل مقـــتف وســـالك، فقـــد قـــرأ علي منه صدرا، وهو بما قد نال منّي أدرى، كذا الصـــحيحان وباقي الستة مع المسانيد التي في السنة، وكل ما صنفته من نثر مع الـــنظام قلـــه والكثر، وما رويت عن شيوخي طرا، والله أرجو أن ينيل الأجرا. وأحمد المقري خط عن عجل مفتقرا لربه عزّ وجل.

---

[1] تاج الدين بن احمد بن إبراهيم المالكي المكي، من صدور الخطباء والمدرسين، ومن أكابر العلماء المحققيـــن، وممـــن شيّد ربوع الأدب، ولد بمكة وبها نشأ وأخذ عن أكابر شيوخ عصره وأجازه عامـــتهم، تصدر للتدريس والخطابة بالمسجد الحرام، وله مؤلفات وأشعار كثيرة. توفي بمكة سنة 1066هـــ. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص ص: 457-464.

جواب ابن الناصر الفاسي على لغز المؤلف

ولمّا قلت ملغزا في كتاب:

يا فاضل العصـــر الذي علمـــه ... بمحكـــم التفصيل فاق العبـــاب

وإجـــازة الفقـــيه الشامي بما كتبته قبل غير هذا، أجاب عن اللغز صاحبنا الفقيه سيدي عبد السلام ابن الناصر الفاسي، فقال حفظه الله يخاطبني:

يـــا ثاقب الذهن الذي حفـــظه ... في العلم لا تحوي مداه العياب
وســـالب الحزن الذي وعـــظه ... أشـــهى لدينا من لذيذ الشراب
ومـــن إذا اســـتمليت من فـــكره ... فـــائدة جـــاد بمـــثل السّـــحاب
إن الرباعـــي الذي كنـــت قد ... ألغـــزت فـــيه ظاهر من كتاب
ونســـت بالتعريف يـــوما له ... مبيـــناً خـــوف لحـــوق العتاب
وذاك لمـــا لـــم أجد شـــرحه في ... خـــامد الفكـــر ولا في الجراب
لكـــن إذا الـــيا ألحقـــته غـــدا ... حيـــنا كفـــورا إن هذا عجاب
مهمـــا تشـــأ فـــوزا بإدراكـــه ... فاســـمع مقالي إن فيه الجواب

كتاب المؤلف إلى مفتي الحرم الشريف وخطيبه

وكتبت إلى مفتي الحرم الشريف وخطيبه ومعتمد سلطانه بما صورته:

يـــا مبلغ النفوس ما تنـــويه ... من رتـــب التشريف والتنويه
أدم توالي السعود والعلى لأوحد ... الدّهـــر الرّضى السامي الحلى
مـــن شنفـــت علومه الآذانـــا ... وعطـــرت فهومـــه الأردانا
وســـارت الأمـــثال فـــي الآفاق ... بعلـــمه وجـــوده الدفـــاق
مـــن صار مفردا وجيها عـــلما ... يعيـــي لســـانه مدحـــه وقلمـــا
خطيـــب مكـــة إمام الحـــرم ... مفتي الورى إنسان عين الكرم
صـــدر الصـــدور عابد الرحمن ... لازال يحيي مذهب النـــعمان
ودام فـــي الناس ولـــيا مرشـــدا ... للنظـــيم مصـــغيا إذا ما أنشدا
يقضـــي حقـــوق الوافد المعظم ... انـــس المعالـــي درها المنظم
/38/ من شهدت بفضله الموالي ... واعترف البـــعيد والمـــوالي
فـــيا محـــط رحل كل عـــالم ... يـــا محيي الآثار والمـــعالم
يهنـــيك أنـــس حلّ في ساحاتك ... وبشـــره يزيد في راحـــاتك
ودام عـــــزك المنيف باقـــيا ... ونجلـــك الحنـــيف راقـــــيا
فـــي ظل دولة الإمام المرتضى ... أجل من شام حساما وانتـــضى
وارد مـــنهل الرشـــاد الصـــافي ... حامي حمى الحجاز بالإنصاف

ملاذ كل حاضر وباد	ذو العدل ظل الله في العباد
المحسن الشريف ذو السيادة	لا زال في نصر وفي زيادة
يحكم بالشريعة المطهره	ويحكم العدل الذي قد أظهره
بجاه جده الشفيع المجتبى	طه الذي أبدى الهدى مرتبا
صلى الله عليه ما ترنما	بذكره الحادي فنال مغنما
وما سرى الركب وجاب الظلما	لمكة وطيبة وسلما
مع آله وصحبه وعترته	السابقين غيرهم لنصرته

لا غرو أن تقصر العبارة عن مخاطبة تلكم الخلال، وتتلاشى قوى الأقلام ويظهر عليها أثر الانحلال، فهي معذورة معترفة بالصدق في التقليل حين تزور. وإن لم تنل أن تنشد بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلاة فزور. فيكفيها امتثال قوله صلى الله عليه وسلم: "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور"[1]. وحيث اعترفت بالتقصير، عن حقوق الناقد البصير، فلتذكر ما في نفسها، ولتعلم بما هو وسيلة إلى تمام انسها، فتقول بعد إهداء أزكى سلام على تلكم المشاهد المبجلة، والمعاهد التي فوائدها معجلة ومؤجلة، وإبداء أذكى شوق يزيده الذكر أوارا، وحب يقول لسان حاله إني ظاهر فأنّى أوارى.

إنه يصل مقام الإمام أمام المقام، حامل هذه العبودية الذي يقصر ابن البرقام، أوحد الدهر فضلا وأدبا، وحائز السبق بين الأعلام عجما وعربا، المفتي في العلوم على اختلاف أجناسها، سيما علم الفلك والهيئة والجفر والانشا، الذي يجذب القلوب إن شا، الجالب أنسه للنفوس، ما يقضي بإيناسها، صدر الصدور العظام، واسطة عقد النظام، قاضي المحمل الشريف، مولانا الأفندي عبد اللطيف الشهير بأنسي[2] حفظه الله وأيده وأعلى يده، وهذا الفاضل إن أطنبت في أمره وأطلت، فقد لويت طالب دين الإنصاف ومطلت، وإن أوجزت واقتصرت وما أسهبت واختصرت فما امتضعت للحق ولا لأهله انتصرت، فالتقصير والإطناب في حق من هو عين الأعيان سيان، سيما وقد انطوى ضميره على ودكم قبل المشاهدة والعيان، فكيف به حين يشاهد تلكم المحاسن التي لا يستوفيها البنان والبيان.

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب العدة، رقم الحديث 4976.

(2) عبد اللطيف أنسي، قاض مستعرب، متأدب جيد الإنشاء له شعر، أصله من موالي الروم ومولده في كوتاهية، دخل دمشق سنة 1012هـ وتعلم فيها، ورحل إلى مصر فولي قضاء الركب المصري. ومحاسبة الأوقاف سنة 1028هـ. وعاد إلى الروم فولي قضاء طرابلس الشام سنة 1048هـ، ثم قضاء كوتاهية، فمرعش، فالجيزة بمصر، فطرابلس الشام، فمكة، فبغداد فدمشق وبها توفي سنة 1075هـ. أثبت له المحبي رسالة من إنشائه تدل على أدب وفضل. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص ص: 23-36.

فإن طلبت من الجناب ملاحظته بعين الاعتبار، بعد أو قبل الاختبار، فهذا ـــر لا يليق في الأدب أن يقتضى، إذ من شأنكم مراعاة كل وافد لا سيما من ـرتضـــى، كهـــذا المولـــى الذي تأصل مجده وتحرر، وتوصل وده إلى المسامع ـقـــرر، وهـــو ينشـــد تلكم الهمم، إن المعارف في أهل النهى ذمم، وإنما ينبغي ـنبيه في شأن هذا النبيه، على أمور أخر مطلوبة، منها إيصال هديته المجلوبة، ـــى حضرة السيد الشريف الذي جعل الله كلمة فضله عالية غالبة، وقضية عدله ـوجـبة للمنح محصلة للمدح، وهي من غيره معدولة سالبة، فإذا تلقيت مقدمات ـدمـــته بالقبول، وأنتجت بنوغ المأمول، واتفق فيه الخبر والخبر، وعرف صحة ـشيمه وسبره من اختبر وسبر، وتحقق خلوصه للجناب، وفا به من التقريب خير ـــناب، لـــم يســـتغرب أن يعيـــن للأبواب رسولا، ويبلغ من أربه أملا وسولا، ـصـــحوبا بهدية الجمعة المعروفة، وذلك عنده أجل أرب تكون إليه الهمة العلية ـصـــروفة، ويـــتوجه على طريق الشام أو مصر، منتظما في سلك خدام الدولة ـشـــريفة التي رفع الله بها الأصر، وجاهكم كفيل بهذا الغرض وتحصيله، وبليغ ـمذكـــور لذلـــك وتوصيله، والفتى إن اراد نفع صديق هو يدري في أمره كيف ـسعى، لازلتم باذلين في حق من ينتمي إليكم طاقة ووسعا، امين امين امين.

المؤلف يقرأ تلخيص المفتاح بالمغرب مع علي الشامي

/39/ ولمـــا قـــرأنا تلخيص المفتاح[1] بالمغرب ووصلنا إلى تمثيله في باب ـقصر بقوله: أنا كفيت مهمك، قلت لسيدي علي الشامي: هذا متزن من المجتث، ـأشار إلي بالتوطية له، فقلت بديهة:

يـــا أفضل الخلق طرا ... الله أنفـــذ حكمـــك
وقـــد أهمت ذنـــوب ... عـــبدا ذلـــيلا فأمـــك
فوقعـــن في جـــوابي ... أنـــا كفيـــت مهمـــك

ولما كان الغد كتب إلى المذكور بما نصه:

يا أوحد العصـــر علما ... زاد المهيـــمـــن عنـــك
كـــرر على الصب نظما ... كفيـــت ما قد أهمـــك
أممـــت فـــيه كـــريما ... والله يقـــبل أمـــك

(1) كـــتاب في المعاني والبيان لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني خطيب دمشق (ت 739 هـــ)، لخص فيه القسم الثالث الخاص بالبلاغة من كتاب مفتاح العلوم للعلامة أبي يعقوب يوسف السكاكي (ت 626هـــ). وقد جاء هذا التلخيص، وهو متن مشهور، في مقدمة وثلاثة فنون. أما المفتاح فيقع في ثلاثة أقسام هي: الصرف والنحو والبلاغة. كشف الظنون، ج1، ص: 473.

إذ قلـــت قولا سلـــيما | والســعد يرقب نجمـــك
ثم قال مذيلا لها:
وانظـــر لما قد جرى بي | شـــوقا لقبـــر أضمـــك
واشـــف نبـــيل اقترابي | مقـــبـــــلا رام لثمـــك
ولا تغب عن مصابي ما | دمـــت أرمـــق حلمـــك
علـــيك منـــــي سلام ما | خـــص فضـــل وعمـــك
والآل والصحب طرا ما | ردد المغـــــرم اسمـــك

وقلت أخاطبه:

ســحب البلاغة والبيان قد نشأت | مـــن بحر فكر علي ماجد سام
أضحى سنا برقه للحائزين هدي | وغيـــثه بالمعالـــي هـــامع هام
يـــا حائرين وليل الجهل معتكر | هذا العماد فشيموا برقه الشامي

فأجابني بما نصه:

بلاغتـــي مـــن ســـنا تبيانكم لمعت | وفكرتـــي نبعـــت من بحرك الطامي
وعين مدحي علاك الدهر قد غدقت | من غيث وصفي علاك الهامع الهامي
هـــذا وإن كنت في شأو البيان كما | ظننـــتم حلـــف أفهـــام والهـــام
فـــان أوصـــافك الغر التي تركت | إفصـــاح شـــكري عليها حلف أفحام

وفي قراءة التلخيص قلت مضمنا:

يـــا حائـــزا خصل سباق العلى | فهومـــــكم للعلـــم تتمـــــيم
مـــن ذا يباري شأوكم في الدنى | يكـــــفـــيه إذعـــان وتســـليم
والله يبـــــقيك لـــــنا ســـالما | بـــــــرداك تبجـــيل وتعـــظيم

المؤلف يجيب على سؤال حول الطلاق

وكتب إليّ بعض المصرين العصريين بقوله:

بعد حمد الإله ما قول شيخي في | فـــتى قـــال إن تزوجـــت هـــندا
فهي إذ ذاك طالق أصحيح | مـــنه تطلـــيقها إذا حـــاز عقـــدا
أو اذا قال من عقدت عليها | زوجـــة طـــالق ثلاثـــا لا هـــدا
هـــل بعقد على فتاة طلاق منه | أم لا فاذكـــــر جوابـــك بـــيدا
وعلى ما ترى يكون اعتمادي | ولربـــي أديـــم للمرشـــد حمـــدا

زادك الله في علومك علما　　شافيا نافعا مالا ومبدا
ولك السعد لا يزال خديما　　قائما قد أقامه الدهر عبدا

فأجبته بما صورته بعد الحمد لله سبحانه:

ن أزهى زهر تأرجح يندى　　حمد من منّ بالنوال وأسدى
وصلاة الصلاة معها سلام　　لرسول فاق الخلائق مجدا
ولالي الرضى لآل وصحب في　　صدور الأعمال تنظم عقدا
ومزيد الدعاء لأعلام دين　　أوضحوا من معالم العلم رشدا
ولأشياخ عصرنا إذا جادوا في　　انتقاء الأبحاث بدءا وردا
وخصوصا جرى بمصر حبانا　　بنظام كسا المحاسن بردا
عن فتى علق الطلاق بعقد　　عم فيه النساء أو خص دعدا
وجوابي عنه وقوع طلاق إثر　　عقد إن خص لبني و سعدى
وإذا عم مثل من أو ككل　　فسقوط الطلاق عنه تبدى
حرج في العموم دون خصوص　　ليس يخفى على فقيه تصدى
ولهم فيه ضابط اصلوه أنت　　أدرى مني به دمت فردا
وامنح المقري خير دعاء　　ببلوغ المرام بلغت قصدا

فراجعني بما نصه:

أجبتني بجواب　　أصبت فيه الصوابا
لكن بخط خفي　　فما اكتملت الجوابا
فانعم بعود جواب　　وأحسنن الكتابا
فما يكرر حلوا　　يستعملون شرابا
وقد تثاقلت لكن　　بالعفو تلقى الثوابا

40/ فقلت:

يا واردا صفو علم　　حلا مذاقا وطابا
وباعثا خير نظم　　أبان للفهم بابا
فهمت ما قد أشرتم　　ومن عن الحق يأبى
وقد أعدت جوابي　　جهد المقل اكتسابا
لا زلت كفء فهوم　　تحط عنها نقابا

فكتب لي بما نصه[1]:

أفـــدى الشـــهابي شيخي — مـــن كـــل ما منه يبعد
مـــن قد حوى العلم كنزا — بـــه الظـــوهر تشهد
وطالـــب الفضل أضحى — يـــرويه لمـــن فيه مسند
ســـألته عـــن ســـؤال — أجـــاب مـــا فـــيه يعمد
فصـــرت بالصـــدق مني — لـــذاك أحمـــد أحمـــد

هدية محمد المنوفي إلى المؤلف

ولما أهداني مولانا الأفندي محمد المنوفي[2]، توضيح ابن مالك على صحيح البخاري، وهي النسخة التي وهبتها لبعض أكابر المغاربة، قلت بديهة:

يـــا قاضـــيا نالت منوف باسمه — شـــرفا قضى بالسبق والترجيح
أوضـــحتم ســـبل الهدى فلأجل — ذا جدتم على الحيران بالتوضيح
فـــالله يبقـــيكم ويســـمي قدركم — فـــي جمع شمل دائم التصحيح

جواب المؤلف على سؤال حول كتابة الأحرف مقلوبة

وكتب إلي بعض العلماء ونحن بالغرب سائلا بما نصه: سيدنا جوابكم فيما إذا تكتب الأحرف بقلب، هل الجواز حكمه أو ممتنع، وهل بنص أو قياس يمتنع، بيّن لنا ذاك البيان الشافي، ولكم الأجر الصّميم الضافي.فأجبته بقولي:

يـــا أيهـــا الحبر الذي قد أعربا — عـــن قـــوة الفهم بما قد أغربا
قـــرأت مـــا سطـــرتموه فوقه — والحســـن قـــد ألبستموه طوقه
وقـــد طلبـــت حكمـــــه مجدا — والـــباع فـــي العلم قصير جدا
فلـــم أجـــد في ذاك نص يعتبر — سوى حديث الخاتم الذي صدر
بنـــــقشـــه من الرسول الأمر — محمـــد سطر رســـــول سطر
والله ســـطر ثالـــــث والقلب — بدونـــه لـــيس يـــتم الكـــتب
حســـبما نـــص عليه من غبر — كالعســـقلاني الشهاب ابن حجر

---

(1) كتبت هذه المقطوعة على هامش الورقة.

(2) محمـــد بـــن أحمد المنوفي المصري الشافعي نزيل مكة، أحد الفضلاء الأعيان، كان فاضلا أديبا وصـــاحب ثـــروة، وكان له إيثار وبسطة يد، ورد دمشق وعقد حلقة تدريس في جامعها الاموي. أخـــذ عنه فيها خلق كبير صحيح مسلم. رحل إلى ناحية الروم ثم عاد إلى دمشق فأصيب بمرض الأمعاء الذي كان سبب موته سنة 1044هـــ. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص ص: 359-361.

وشـــارح الشـــمائل التي ذكت بوصف خيرالخلق عرفا وزكت
فهـــو دنـــيل للجـــواز واضح لا ســـيما ان كان عذر واضح
فاقلـــبه فهـــو لـــيس بالمحتقر وخطـــه أحمـــد نجـــل المقري
مصـــليا علـــى شـــفيع الأمـــم هـــادي العـــباد للصراط الأعم
وآله وصحـــــبه الأبــــــرار والعلماء الســــادة الأخـــيار

استعارة المؤلف لشرح البردة والشقراطسية من علي الشامي

وكتبت لسيدي علي الشامي بفاس المحروسة، استعير منه شرح البردة لابن مرزوق أو للأليري، وشرح التوزري للشقراطسية[1] بما نصه:

يـــا أوحـــد الزمـــــن الـــذي فخـــرت به فاس وتاهـــت
أمنـــن بشـــــــرح بـــــردة بمديـــح خـــير الخلق باهـــت
وبـــتوزري واعـــذرن فـــيما بـــه الأقـــــــلام فاهـــت
واهـــنأ وحـــز صـــب العلى بمآثـــر مـــــا ان تناهـــت

وبعده نثر نصه:

الأخ الـــذي رفل من المجد في ثوبه الكامل، والفذ الذي تعقد على فضائله الأنـــامل، ذو المحاســـن التـــي اعترف بها النبيه والخامل، والمآثر التي هي في زماننا مدونة مبسوطة يسر كل خليل بجواهرها الثمينة الواضحة وبرها الشامل، ذو القدر العلي السامي، سيدي أبو الحسن علي بن أحمد الشامي.

فراجعني بما نصه:

يا من مطالع مجده تاهت بهـــا الجـــــوزا وباهـــت
أهديـــــت روض بدائـــــع نعبـــيره الأزهـــــار فاهـــت
فاليك ما أملـــت من كتب بهـــا علـــيـــــاك فاهـــت
دامت وجـــــوه عــــداك أمـــا لحت في الهيجاء شاهت

السيد الذي أزرى بالجواهر الحسان دره المنثور، والماجد الذي جرى على كـــل لســـان حديث مجده المشهور وخبره المأثور، العالم العلامة، الممتع المقنع المفيد، السيد العبقري، الحافظ الفهامة، أبو العباس سيدي احمد بن محمد المقري

---

[1] نسبة الى أبي محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي، وهو من قلعة شقرطس قرب قفصة (ت 466 هـــ)، اشتهر ذكره في الافاق بقصيدة مدح فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهي المعروفة بالشقراطسية. الرّصاع، الفهرسة، تونس: 1967، الهامش رقم: 06. ص: 124.

أبقاه الله يستمد من مشارق أنوار علمه الشريفين اشراق البدر وإشرافه، وتسند إلى خوافق نشر علميه المنيفين أعلام المجد واشرافه. انتهى.

ولما وقف على ما كتبته صاحب القلم الأعلى المكلاتي كتب بديهة:

روض تفتح زهره فتراه   ينظر مثل باهت
فكأنها طرق الشذى من   أحمد الزاكي المنابت

المؤلف يقول عند ضيق صدر

/41/ الحمد لله، وقلت عند ضيق صدر:

إلى متى هذا الجوى والولوع   وكم أوارى كامنا في الضلوع
لابد أن يظهر مضمونه   ويفشي الأسرار جفن هموع
لا دردر البين فهو الذي أضاع   در الدمع بين الربوع
وصير الصب مثنى الضنى   فردا غريبا ما له من جموع
لله أشكو لا إلى غيره سبحانه   شجوا أفاض الدموع
فيا عذولي لا تلم إنه يكفيك   ما قد حل بي من صدوع
كشح على جمر الغضى منطو   ومقلة قرحا وفكر مروع
سقى الحيا عهدا بمغنى الحمى   لم يلف لي عن ذكره من نزوع
فليت شعري هل يزاح العنى   وهل لأيام الهنا من رجوع
استغفر الله فكم عسرة قد   أبدلت باليسر إثر الوقوع
فاستنشق الألطاف يا قلب من   روح الرضى واترك سبيل الهلوع
واصبر فصنع الله رحب الفضا   وألبس من التسليم أوقى الدروع
وفوض الأمر لمن شاءه واقنع   فما المغبوط إلا القنوع
وأم باب الله مسدي الندى   ولا يكن منك لعبد خشوع
فإنه مثلك في العجز عن نفع   وعن دفع ففيم الخضوع
واخلص المدح لمن نوره ازوى   بشمس الأفق عند الطلوع
فهو ملاذ الخلق في كربهم من   جاءت بالآيات ذات السطوع
طه الذي وافاه من ربه وحي   بتكليم ونفث بروع
محمد المختار كنز الهدى   الطيب الأصل الزكي الفروع
من أشبع الالف بصاع وقد   أودى بهم لولاه ضر وجوع
من سبح الحصباء في كفه   وحن حبا فيه خير الجذوع
وما عسى أثني على قدره   ومدحه في الذكر بادي الشيوع
فمن يرم حصرا لأمداحه   يعد إلى التقصير بعد الشروع
يا ملجأ اللهفان عن أزمة   جرت برسل الهم منها الفروع

المقــري العبد يرجوك في تفريج	خطــب قــد أطـــــار الهجوع
وإنـــك الســـيد غــوث الــورى	وإنـــه العــبد الضــعيف الجزوع
صــلى علــيك الله مــع عــترة	وصـــحبك الأخــيار أهل الرّكوع
وتابعــيهم مــا ســـــرت نسمة	بالبشــر مــن مسك ختام تضوع

المؤلف يكتب عن بعض خديم الأكابر

ومما كتبته عن بعض خديم الأكابر وأنا بمكة المعظمة: إن أحسن دعاء مزج بتسنيم البيت الحرام طيبه، وأبين ثناء لهج بتسليم نيل المرام خطيبه، حمد من زان أجياد الزمان بدرة المعالي، وأبان أعياد الأوان بغرة الأعالي، حضرة الأمير الكبير، صاحب المدائح التي خجل من نشرها العبير، عين أعيان الكبراء، زين الصدور والأمراء، من لا يستوفي مآثره الحسان، القلم ولا اللسان، صدر المواكب والجحافل، نور حدقة المحافل، أمير اللواء الشريف، لازال حائزا من المجد التليد والطريف، ينهى إليه بعد تقبيل الأرض، وأداء ما يجب من حقه الذي هو كالفرض، إعلامه بأن العبد وصل في خدقه ركاب النجل العزيز، إلى البقاع الشريفة التي لها على الأقطار التبريز، فأول ما بدأ به الدعاء لمقامكم الأسمى، في هذه المشاهد العظيمة المسميات والأسما، إلخ.

وكتبــت أيضـــا: إن أحسن دعاء مزج بتسنيم زمزم طيبه، وأبين ثناء لهج بحطيم من هنيم خطيبه، حمد من زان جيد الزمان بجواهر الأمير الكبير، وأبان عين الأعيان بمظاهره التي خجل منها العبير.

وكتبــت أيضا على لسان المذكور ما صورته: حمد من زان جبهة الزمان بغــرة المعالي، وأبان بهجة الأوان بدرة الأعالي، حضرة الأمير الكبير، صاحب الخصـــائل التي خجل من نشرها العبير، عين أمراء اللّواء السلطاني، زين كبراء الســـناء العثمانـــي، أســـمى من ضمته المحافل، وأسنى من ازدانت به المواكب والجحافل.

بعض المغاربة يرفعون سؤالا وجوابا إلى المؤلف

عن إعراب آية لابن عطية

/42/ الحمد لله، رفع إلي بعض المغاربة سؤالا وجوابا لبعض أهل المغرب، بقصد أن أكتب ما يظهر لي فيه، ونص السؤال[1]: "الحمد لله، سيدي. بلغكم الله الآمال، ونفعكم بصالح الأعمال، وأذهب عنكم ما تجدونه في أنفسكم من الآلام، وعافاكم من جميع الأسقام، المقصود منكم الإفادة فيما عرض لنا من الإشكال في مسألة، وهي ما أعربه الشيخ ابن عطية في قوله تعالى: (وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ)[2] ونصه: ولأتمّ، عطف على قوله لئلا، وقيل هو مقطوع في موضع رفع بالابتداء والخبر المضمر بعد ذلك، التقدير لأتم نعمتي عليكم عرفتكم قبلتي ونحوه، هذا إعرابه، وتبعه عليه صاحب الجواهر[3].

والإعراب[4] الثاني لم يظهر لنا من وجوه، أما أوّلا فإنه يلزم عليه زيادة اللاّم وليس هذا من مواضع زيادتها على ما ذكره المغني، وأما ثانيا فإنه يلزم عليه تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه كما هو في قول القائل زيدا ضربت، فإنه لا يجوز رفع زيد للعلة المذكورة. وأما ثالثا فإنه يلزم عليه حذف العائد من الجملة الخبرية، وهذا كما في كريم علمكم، لا يجوز إلاّ في ضرورة الشعر أو نادر كلام، وإن خرِّج على مثل هذا فإنما يكون ذلك حيث لا مندوحة، وأما مع الإمكان فلا داعية إلى ارتكابه. نعم أعربه الصفاقصي أنّ لأتمّ متعلق بمحذوف تقديره عرفتكم، وهذا الإعراب مع ما أعربه به ابن عطية أولا من أنه معطوف لا إشكال عليهما.

ويظهر في إعرابه وجه آخر لا أدري هل تجيزه لي أم لا، وهو أن يكون متعلقا بتهتدون، فإن اقتضاه المعنى فهو صحيح من جهة التعلق على ما يظهر لي بفهمي القاصر، جوابكم الكافي ونقلكم الوافي، والله الشافي، تؤجرون وترحمون، والسلام عليكم ورحمة الله"، انتهى السؤال بحروفه.

ونص الجواب[5]: "وعليكم السلام ورحمة الله، الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه وسلم تسليما. تأملت سؤالكم، أصلح الله

---

(1) صاحب السؤال هو أبو عبد الله محمد بن باديس.

(2) سورة البقرة، الآية: 150.

(3) صاحب الجواهر هو الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، والعنوان الكامل للكتاب هو الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حققه عمّار طالبي، ونشر سنة 1985.

(4) في منشور الهداية: الجواب الثاني.

(5) لقد أورد عبد الكريم الفكون في كتابه منشور الهداية، نص سؤال ابن باديس وجوابه على ذلك ومعهما جواب المقري على نفس السؤال في ص ص: 227-232.

ـ ـــتقوى حالي وحالكم، فاعلم أن ظاهر ما نقلتموه عن ابن عطية وتابعه مقتض
ـــ فهمـــتموه وهو غير جار على القواعد إذ المبتدأ هو الاسم أو ما في تأويله
ـعرّى عن العوامل اللفظية غير الزائدة إلى آخر ما رسموه به، وهذا وإن صحت
ـــميته بالتأويل فهو معمول لعامل لفظي وادعاء زيادته غير صحيح، ثم تقدير
حـــبر عنه بما قدره لا يلائم المبتدأ بعد السّبك لنبوّه عنه، والظن بابن عطية أنه
ـ يرـد هذا الظاهر من الكلام، وإنما التأويل فيه أنه قصد بالابتدائية ابتداء الكلام
عـــي معنى أنه لا تعلق له بما قبله كالإعراب الأول، وقصد بالخبر خبر الكلام
ـي المعنى، بمعنى أن تمام فائدته هو ذاك، والتقدير فيه أن الواو للاستئناف وما
بعـد كلام مستأنف، وجملة عرفتكم سماها خبرا لأنه تمت به فائدة المجرور الذي
هو لأتمّ، وبفعلها يتعلق إذ لم تتضح فائدة معناه عند السّبك وقبله إذن إلا بالمقدّر.

ويؤيـــد هـــذا الـــتأويل نقـــل مـــثله في إعراب الآية، ويرشد إليه سكوت
صفاقصـــي عن البحث معه فيه مع ما عُلِمَ من مناقشته لابن عطية في أقل من
هـــذا، وحمـــل كلام الإمام على ما هو جار على القواعد ولو بتأويل خفي أولى
ـ حق /43/ من ظاهر ملغى اعتباره فيما بين أهله، [ويعكر عليه جعله له للرفع
ـوضعا إلا أن يُتأوّل على تقدير لو كان مبتدأ][1]، ويحتمل في إعرابه وجها آخر،
ـ هـــو أن يكون ولأتمّ معطوفا على محذوف هو علة للخشية، والتقدير فاخشوني
لأوفقكـــم وأتم عليكم نعمتي، كذا ذكره بعضهم، وفيه بحث عندي. وما ذكرتموه
ـن تضعيف أوجه الابتداء بما حصلتم صحيح في أولها من حيثية عدم زيادة اللام
غـــير صـــحيح فيما بعده، إذ لا محل لها هنا ولا تعلق لها بالمسألة في ورْدٍ ولا
صدر [إلا مع تحقيق السبك بالمبتدأ][2]، وما ظهر لكم في إعرابها يبطله ان تهتدون
هـــنا لا يصـــح عمله فيما قبل لعلّ، والمعنى يأباه لمن تأمّل وفهم. وهذا بحسب
طاقة وملازمة المرض المانع إلا ما سبق في خزانة الحفظ، والله المسؤول في
الشـــفاء والتوفيق، والهادي إلى سواء الطريق، ولا تنسوني من إخلاص الدعاء،
ـ ختم كتابي بالصلاة على أفضل الرّسل والأنبياء، وآله وصحبه وسلم تسليما.قاله
فقـــر العـــباد لرحمة الله، عبد الكريم بن محمد الفكون غفر الله له وأصلح قوله
ـ عمله، انتهى الجواب.".

جواب المؤلف عن نفس السؤال:

وكتبـــت بالموافقة عليه ما صورته: "بعد الحمد لله وحده، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم، لما دخلت من أبواب، ما بمحوّله من

---

[1] الزيادة من منشور الهداية، ص: 229.
[2] الزيادة من نفس المصدر والصفحة.

الجواب[1]، وأمعنت النظر في وصف بانيه الرافل في أثواب الصوّاب، ألفيته والله مبنيا على قواعد التحرير، منميا إلى مقاصد النحرير، دالا على تبحر صاحبه في الفنون، وتصديقه في علماء قطر المغرب الظنون، فلو رآه ابن قنبر والخليل، لاعترفا بان فيه شفاء الغليل، أو الأخفش لأبصر، ونكص عن معارضته وأقصر، أو الجرمي والفرّا، لتكعكعا من مباراته وفرّا، أو الزجّاج لكسر قوارير تحقيقه، أو الفارسي لترجل عن أفراس تدقيقه، أو المازني لعثر به على خبايا الكتاب ولم يكن بالملوم، وتخلص من قصة مصاب ظلوم، أو أبو علي الشلوبين لاكتسى بسببه حلل الفراسة، أو ابن خروف لأطاب وما أطال في الشرح مراسه، أو أبو موسى نوشح به الكراسة، أو الآبدي لتأبد له ما خشي اندراسه، أو ابن الضائع لوجد لقطة البضائع، أو ابن عطية لقضى من أسرار العربية أوطاره، أو ابن عصفور لفاز بالحظ الموفور الذي أعطي مطاره، أو ابن الحاجب لكانت أبحاثه له شافية، أو ابن مالك لقال فيها هذه الخلاصة عن التسهيل كافية، او ابن النحاس لما شك أنها العسجد الذائب الخالص من كل شائب، أو أبو حيان لغرق في نهره، وامسك[2] عن الاعتراض في سره وجهره، أو ناظر الجيش لجعلها لدفتره[3] عنوانا، وألبس أجناد الحلقة العلمية منها ألوانا، أو ابن هشام لغدا برفع الخصاصة مغنيا، ولتوضيح المسالك مدنيا، أو الدماميني لأدمن مطالعتها وارتحل إلى الغرب بدلا عن الهند، وأنشد لأخيه في حب أهل تلك الناحية:

يقولون هذا ليس بالأمر عندنا ومن أنتم حتى يكن لكم عند

أو الشمني لشمّ عرف عبيره، واقتفى اثره في تعبيره، أو الجلال السيوطي لحلي بجواهرها الفريدة، وأنشأ في جمع الجوامع من الأشباه والنظائر كل شريدة، أو الأزهري خالد، لقال هذا جامع الطارف من النحو والتالد.

وبالجملة فهو العالم الذي ورث المجد لا غن كلالة، وتحقق الكل أن بيته شهير الجلالة، بيت بني الفكون، هضاب العلم والوقار والسكون، لا زال الخلف منهم يحيون مآثر السلف:

ودام عبد الكريم فردا	في العلم والزهد والولاية
فهو الذي حاز خصل سبق	وصار في ذا الزمان آية
والله يبقيه ذا سموّ	يفوق في الحفظ والدراية[4]
بجاه خير الورى المرجّى	من خصه الله بالعناية

---

(1) يقصد أن الجواب كان على نفس الورقة التي أجاب فيها عبد الكريم الفكون عن سؤال ابن باديس؛ لأن الأخير هو الذي رفع السؤال والجواب إلى المقري عندما التقى به في الحج.

(2) في منشور الهداية: أقلع.

(3) في منشور الهداية: دفاتره.

(4) في منشور الهداية الشطر الثاني من البيت هو: مخلد الفضل والدراية.

عنـيه أزكـى الصـلاة تترى / لـدى ابـتداء وفـي نهايـة

قـال هـذا وكتبه عجلا خجلا مرتجلا العبد الفقير أحمد بن محمد المقري ـكـي التلمساني المولد والمنشأ والقراءة، نزيل فاس ثم القاهرة، اخذ الله بيده، ـذا الجواب منّي وإن كان كالصدى، فلا مندوحة عنه لمن بلغ من الإنصاف ـصدا، فحسب الواقف على جواب العالم المذكور اقتفاء أثره، والاستضاءة بنور ـه وقمره. وقد خططت هذه الحروف عند قدومي من قطر الحجاز أمّنه الله ـن الصـروف، مع اشتغال بأحوال السلام، وأمور يرتفع بها عني إن أخطأت ـلام، والله يجعلنا ممن نظر إليه الواقف عليه بالعين الكليلة، وجعل تقوى الملك ـعلام فـي البدء والختام دليله، أمين آمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد ـلم[1].

سؤال محمد بن باديس للمؤلف

/44/ الحمـد لله، وسـألني سلالة الأخيار، ذو البيت الشهير في الأقطار. ـي الشيخ محمد بن باديس القسمطيني[2] حفظه الله بما صورته:

أيـا عالمـا ورعـا قد نشا	بقطـر من الغرب فيه فشا
وهاجـر مـنه اختيارا إلى	معـالم حلـت بوسط الحشا
وآلـى علـى نفسـه ذروة	مجـددة كـل عـام يشـا
إلـى أكـرم العالمين جميعا	وأشرف من في المعالي نشا
فهمـته فـي العلى قد سمت	وإظهـاره العلـم منذ انتشا
وجـرثومة من ذوي حرمة	وجفـن لعلـم فلـن يعمشا
أجـب سـائلا وجلا قاصدا	ونـادي الديـار بقول فشا
أفـي شـرف الأم إثـباته	بمـنزلة الأم لـن يخدشـا
أم النفـي فـيه لهـم مبحثه	فـرجح من أقوالهم ما تشا
فقـد حـرت في أيها أقتفي	وكـل قـوي مـزيل الغشا
وصل على المصطفى أحمد	شفيع الورى خير من جيشا

---

[1] عبد الكريم الفكون في منشور الهداية ص ص: 232-238، نقد لطريقة المقري في الإجابة ورد عليه، لأنه فهم أن في جواب المقري عن المسألة تهكّما به، رغم أنّ ظاهر اللفظ الإشادة به.

[2] هو أبو عبدالله محمد بن أبي زكرياء يحي بن باديس أحد أفراد العائلة الباديسية وهي من العائلات الشهيرة في قسنطينة، قال عنه صاحب منشور الهداية: كان يقرأ معنا على الشيخ التواتي اخر عمره، بعد ارتحالـه استقل بالقراءة علي وهو من موثقي البلدة (يريد قسنطينة) وممن يشار إليه، وله نية في صـحبة حسـنة وخلق حسن، سافر معي مرة أو مرتين فلم أر منه من لين الجانب وبساطة النفس والمساعفة الأمر إلا خيرا، وحق له ذلك، وهو من دار العلم والصلاح.
عبدالكريم الفكون، منشور الهداية، ص ص:209-210.

مع الآل والصحب طرا ومن | تلاهم لله رب اختشى

فأجبته بما نصه: الحمد لله وحده، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه:

أركن العلى نلت خيرا قشا | ووقيت من كل ما يختشى
ولازلت في ظل عز ضفا | بروض اهتدى دوحه عرشا
سألت عن الشخص ان أمه | حوت شرفا نوره أدهشا
ايسري له وله والد بعيد | عن الصدر طاوي الحشا
وإني مجيب بما فيه من | خلاف بأقطار غرب نشا
وجمع بما صنفوا وانتقوا دليلا | عن العين يجلو الغشا
وأهل تلمسان قد اثبتوا وجدي | له فيه قول فشا
كذاك ابن مرزوق المعتني بعلم | الهدى لا يلحظ الرشا
ولابن العقاب انتقاد له | أبى رده هو إذ شوشا
وأهل بجاية ممن نفى | وأدلى بغير اعتراض رشا
ومنع الدليل بعيسى بدا | لفقد أب عنه عيسى انتشا
أقول و عطف للوط وفى | برد لما حق أن يخدشا
فليسوا بذرية للذي بجر | يال خلة ربي انتشا
وشيخ ابن ناجي الإمام انتحى | من الطرق وسطى عليها مشا
بأن له شرفا لا كمن | خلا بيته منه مذ أوحشا
ولا كالذي لأبيه انتما | إليه على رغم لاح وشا
وتلخيص مختارنا أنه | شريف وربي حبا من يشا
وكاتبه المقري أحمد | يؤمل عفوا لما أفحشا
وشربا بكوثر طه ومن | أتيح الروا منه لن يعطشا
عليه صلاة كذا صحبه | وتال من الخوف قد أجهشا

سؤال الشيخ أبي بكر السّوسي للمؤلف

وكتب إلي الفقيه العلامة، سيدي الشيخ أبو بكر السوسي[1] ثم المراكشي، عند قدومه علينا بمكة في الحجة الحرام سنة 1036هـ، يسألني بما صورته، وهو نظم فقيه:

---

(1) هو إبراهيم بن محمد السوسي من أكابر الأفاضل، اشتغل ببلاد السوس ثمّ انتقل إلى مراكش وأخذ عن علمائها، ودخل فاس وأخذ بها عن جمع من العلماء، وأقام في الزاوية الدلائية مدّة، ثم توجه إلى المشرق، كان مشاركا في العلوم والفنون، أدركته الوفاة بمكة المكرمة سنة 1077هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص: 44.

سلام يحاكي المسك بالطيب يعبق | على السادة النقاد بالحلم ترفق
مرامي لديكم سادتي أن تبينوا | مداحض جهلي والبيان ينمق
بنص صريح أو جلي قياسهم | يريح قلوبا من حزاز يضيق
فمن ذاك أجرة الدليل فهل | على رؤوس أناس أو جمال تفرق
أو السعة المرعى فاجلوا صداها | حباكم إله العرش فيما يدقق
ملائكة الرحمن حب جميعهم | علينا يحق والفناء محقق
ذالك فيهم كالعوالم حيها | بآجالهم والسن وصف مطبق
و الكل بالتأجيل والسن واحد | وما لسؤالي من جناح يفوهق
ومنكر أحكام الأداء فهل له | نصيب من الكفران بالنار يحرق
و الوزر يكفي أو يخفف أمره | وحكم صلاة من بتركها ينطق
وهل رفع اليتي مصلي جالسا | تمام ركوع مع جثوه يرشق
ومن يعتقد قبر نبيّه قبلة | فصلى فهل تقضى أو النفي يصدق
ومالكنا هل حج والكيف تابع | وميقاته تجدى فضائل تنفق
وما فيه من إجمال بحث فافصلوا | جزيتم جزيل الشكر والأجر مغدق

استدعاء أمير دمياط ورشيد للمؤلف

وكتب إلي يستدعيني أمير دمياط ورشيد، القبودان قاسم باي ابن الخواجا حـ أمراء الطبلخاناة بمصر المحروسة، من نظمه بقوله:

أيا قطب الوجود وخير حبر | لخدمته سعت كل البرايا
للثم الأخصمين اشتاق عبد | فجد بهما تعوضنا الرّزايا

.. ـز بقوله: تعوضنا الرزايا، إلى ما حصل له من هرب مماليكه النصارى عـ به وفيه له قريب من ثلاثمائة مملوك بين مسلم وكافر، ومن الأموال له .غيره ما يجل حصره، فأجبته بما صورته:

أيا صدر الأكابر لا تبالي | وأمل فضل من يسدي العطايا
فكم فرج أتى من بعد عسر | وكم بين الزّوايا من خبايا

المؤلف يكتب على لسان بعض أصحابه لشريف مكة

/45/ وسألني بعض الأصحاب من أهل مصر، إنشاء كتاب على لسانه. ـريف مكة[1]، فأمليت عليه وأنا مستوفز ما صورته:

---

[1] هو محسن بن الحسين بن الحسن.

اللهــم أدم سوامي البشائر والتهاني، وتمم نوامي المفاخر والأماني، وأفض من النصر والتمكين سجالا، وافسح من الفتح المبين مجالا، لعبدك الذي أصبحت ثغــور الأيام بوجوده مبتسمة، وأمور الأنام لعرف جوده متنسمة، وروضة السعد بخلالــه يانعــة، وحضــرة المجــد لجلاله خانعة، والمآرب من عدله مقضية. والمشــارب بفضله عذبة مرضية، وآداب الدين والدنيا مجموعة، ودعوى الحق والعلــيا مســموعة، وهيبة الرياسة العلوية وافرة، وهيئة السياسة النبوية ظافرة، الإمــام الأوحــد، والهمام الذي لا تنكر فضائله ولا تجحد، واسطة عقد السلوك. بهجــة الخلفاء والملوك، أوج الشرف العالي، سجدة فرقان المعالي، طراز الأيام والليالي:

أيــا محسن الدنيا ويا زين ملكها ... ويــا مــن بــه أحيا الإله معالمه
ليهــنك ملــك أنــت بدر سمائه ... ودولــة اقــبال مــن الشين سالمه
لئــن جمحت فيما مضى فهي قد ... أتت على قدر منقادة وهي راغمه
بقيــت بقاء الدهر في ظل عزة ... ونــيل مســرات وعلــياء دائمــه

وقلت من جملة رسالة على لسانه لبعض الوزراء:

أوحــد الدهــر من غدا بعلاه ... كــل خطــب عن الورى بتلاشي
ذو المعالي العظام خير وزير ... لإمــام الرحمــن أحمــد باشــا

وقلت:

شــوقي إلى التاج تاج العارفين[1] ... غدت آثاره بي لعمر الله محسوسة
لله أشــكو الــذي ألقاه من حرق ... قلــب بتونس والجثمان في سوسة

ويقول في إخراج قريش صبيانها للإرضاع في البادية

وقلت:

كانت قريش تخرج الصبيانا ... للبدو في الارضاع خذ تبيانا
لذاك خير الرسل طه رضعا ... حليمة والضرّ عنها وضعا
وفيه أسرار لمن تدبرا ... وبعضهم عنها بسبع عبرا
إما تنزها عن الرضاع ... لكون قدر الأم ذا ارتفاع
أو لاشتغالها بحق الزوج أو ... لغربة كي ينجبوا إذا نأوا
أو لكمال حسن أمه إذا ... تركت الإرضاع إثر الأذى
فلا يقر بإرضاع الولد ... أو ليغيب عن حسود في البلد
أو رخم أو خوف من المرض ... فتعتري الأشجان ما قد عرض

---

(1) أنظر الهامش رقم 1، ص: 153

ويخوض في شأن انحطاط رتبة العلم

ولما رأى الشيخ فتح الله بعض القرمانيين، ونحن في الطريق قرب المؤيدية، وكنا نخوض في شأن انحطاط رتبة أهل العلم، وميل الناس إلى الجاهلين، أنشدني لغيره:

ليتنـــي كـــنـــت مـــن التـــرك   جهـــــولا قـــرمـــانـــي

وسألني التوطئة له فقلت واستغفر الله:

إن عـــلـــمـــي وذكـــائـــي   مـــن مـــرامـــي حرماني

ليتنـــــي إلخ

وهذا على سبيل الاسترسال، وإلا فالعلم لا يعدله شيء، نسال الله أن يجعل سعينا لوجهه الكريم.

قصيدة المؤلف بمناسبة المولد النبوي الشريف

وقلت في بعض الموالد الشريفة، على لسان بعض الناس، يخاطب صاحب مصر سنة 1029هـــ :

أقـــبل السعد بالمحيا المنير باسما   مـــا لحســـنه من نظير وبشير
الهـــنـــاء جـــر ذيـــولا مـــن   نســـيم قـــد ضـــمخت بعبـــير
وطـــيور الســـرور غنـــت بلحن   مطـــربات بســـجعها والهديـــر
وغصـــون الأفراح أصغت إليها   فتثنـــت مـــن كـــل قـــد نضير
وبطـــاح الأزهـــار مذ طرزتها   كف سحب قد ازدرى بالحرير
وجمـــيع الأكـــوان أبدت سرورا   بربـــيع خـــير الشهور الشهير
فلـــه الفضـــل فـــي الشهور بطه   خـــاتم الأنبـــياء البشير النذير
أفضـــل العالميـــن عرب وعجم   حجـــة الله ذو الســـنا المستطير
ســـيد المرســـلين دون مجـــار   عـــدة الكـــل عمـــدة المستجير
مـــن بمـــيلاده خـــوارق بانـــت   شـــاهدات له بقـــدر كبـــير
كارتجـــاج الإيوان إيوان كسرى   وخمـــود النـــيران ذات السعير
وانـــتكاس الأصنام في كل قطر   ورجـــوع الشـــيطان بالتدمـــير
وظهـــور القصـــور مـــن أرض   بصرى مع هتف للجن بالتبشير
/46/ وبـــدو الأنوار ذات ائتلاق   باهـــرات عـــناية مـــن قديـــر
وســـوى ذلـــك من أمور عظام   وشـــؤون تجـــل عـــن تقديـــر
يـــا له مولـــدا ذكـــا وتســـامى   أخلـــص الفعـــل خـــير وزير
مـــن بـــه أشـــرقت أقاليم مصر   إذ تولـــى القـــيام بالتدبـــير
مصـــطفى صاحب السعادة باشا   دام فـــي عـــزة وملـــك كبـــير

برضى أوحد السلاطين عثمان إمام الأنام زين السرير
زاده الله رفعة وسموا وحمى جمعه من التكسير
وأنال الوزير منه قبولا وافيا صافيا بلا تكدير
وجزاه الرحمن خير جزاء عن عطاء جم وفضل غزير
واعتناء بمولد رسول مخلصا في بذل الندى الضهير
وعلى خيرة الأنام صلاة وسلام تجل عن تعبير
وكذا الآل والصحابة طرا مع تال بمدة التعمير

قصيدة المؤلف عند حلوله المدينة المنورة

ولما حللت طيبة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام، سادس المرات من دخولي لها، وذلك يوم الأحد سابع المحرم سنة 1034هـ، قلت أكثر هذه القصيدة عند رؤية الأعلام النبوية، ثم أتممتها بعد الدخول، وقرأتها بحضرته صلى الله عليه وسلم، إلا ثلاثة أبيات زدتها بعد:

أذكرني بالبان طير صدوح معاهدي بالجزع قبل النزوح
وشوقتني للحمى نسمة عاطرة الأنفاس طيبا تفوح
وهاجت أجشاني حداة السرى والقلب للقرب شديد الطموح
فيرعى الله زمانا مضى بالسفح من ذكراه دمعي لفوح
إن لم أجد بالنفس في حبه فلست في حكم الهوى بالسموح
وحبذا عيش نعمنا به سحت به الآمال في خير سوح
يا ليت شعري والمنى حسرة هل لي غبوق وبعد ذاك الصبوح
أيام جررت ذيول المنى وقد جرى بي الحب جري الجموح
يا عاذري له في ذكر عهدي اتئد وارفق بصب ما له من جنوح
أضلاعه مكلومة بالنوى ما هن أضلاعا ولكن جروح
فالجسم في باطنه حرقة والدمع قد أفعم منه السطوح
ماء ونار فيه قد ألفا وذلك التأليف أعي الشروح
وطالما أخفى اللسان الجوى فما لإنسان بسر يبوح
والطرف يفشي بالبكا سره بالله يا طرفي إلى كم تنوح
ويا فؤادي ان تدم مخلصا من شجن يغدو وهمّ يروح
فحط رحل القصد في طيبة فهذه قبة طه تلوح
وهذه الروضة ذات السنى ومسجد التقوى العلي الصروح
وهذه أنوار خير الورى وهذه الآثار ذات الوضوح
ومهبط الوحي الذي لم تزل به من الوهاب تأتي الفتوح
وتلك أرض كان يمشي بها فعرفها في كل وقت نفوح

... ...الرحمن يا مجتبى	وآدم ما بين جسم وروح
... ...يا من له على	جميع الخلق فضل الرجوح
... ... قدما نجا إذ دعا	أبوه إبراهيم حقا ونوح
... من أنبياء الهدى	سادات أرباب الحلى والمسوح
... من علا أنوارهم نوره	والبدر يخفى عند إشراق يوح
... المقري وافى إلى علياك	إذ أنت الكريم الصفوح
... مغرب أقصى أتى راجيا	يفلي فلي البيداء ذات الطموح
... ربى على غيره وقد	عصى بالذنب قول النصوح
... بما يرجوه من مطلب	يركبه طرف النجاة السبوح
... من من زمان غدت	أمواج الأهوال به في طفوح
... عليك الله ما غردت ورقاء	أيك فوق غصن مروح
... والأصحاب أهل التقى	ومن تلاهم حائزا للمنوح

كتاب من الشيخ ابن جلال البكري إلى ابن عمه

يشيد فيه بالمؤلف

/47/ الحمد لله، لما قدمنا من الحجاز الشريف، جاءت الملاقات المصرية ... توجه، جاء صحبتها مكتوب من مولانا العلامة الشيخ محمد ابن الشيخ ... الدين البكري، أبقى الله علاه، وزان جيد الدهر بحلاه، وكان الكتاب إلى ... عمه سيدنا ومولانا الشيخ أبي الفضل الصديقي الوارثي المالكي، وألمّ فيه ...ذكري، وهذه صورته:

ورد الكتاب فكان أشرف قادم	وافى وأحسن ما رأته عيوني
أهدى لنا عرف الجنان سلامه	وأزال عني وحشتي وغبوني
لله ما اشتملت عليه حروفه	ونظام در لؤلؤ مكنون
حاز الفصاحة والبلاغة والحماسة	والتغزل بل وكل فنون
وبديع معناه أجل مقامه عن	أن ينال بفكرة وظنون
قد جاءني ممن حشاي ومقلتي	محشوة بوداده وشجوني
العالم النحرير ذو التحرير من	قالت فضائله الورى من دوني
الله يحفظه ويجمع شملنا	بجمالـــه وبوجهـــه الميمون

أدام الله جمال العصابة الصديقية، وكمال العصبة العتيقية، وأطلع في سماء الفضائل شمس المعارف، وسخر سحائب الفواضل والعوارف، وارسل غيث العطايا، ومزن المزايا، ببقاء من طلعته تربو على الشمس وقت الظهيرة،

وفضائله لا تضاهى، وفواضله لا تتناهى، فلهذا الوصف البديع عزت مراعات النظير فلن ترى نظيره، إن جئت إلى الكرم فالسيل الخضم، وإن جئت إلى العلوم والمسائل فالبحر السائل، وإن جئت إلى اللطافة والرقة فسل عنه من النسيم أرقه.
فمن ثم أقول:

وماذا عسى جهدي وماذا أسطره وماذا عسى يحوي من الوصف أسطر
قصاراي أني أن أرم بعض وصفه وإن كنت منطبق الزمان مقصر

وأقول:

لقد خطبت أهل المعالي جميعهم وقد أصدقوا أرواحهم ذروة الفضل
وكل يرى استحقاقها دون غيره ويطلبها بالمال والروح والأهل
ولما فشا هذا التنازع بينهم أبى الفضل إلا أن يكون أبا الفضل

هذا وإني أبث إليك شوقا، ساقني إلى السهاد، وشاقني إلى الرقاد، يسلمني شوق مقلق إلى دمع مغرق، ويدفعني شغف محرق إلى وجد مفلق، إلا في سبيل الله ما صنع الهوى، وفي جنب حب الظاعنين لطنى الجوى، قرب الله بكم الاجتماع، وشنف ببقاء غريب ألفاظكم الأسماع، وبالغ في مد سرادقات عنايته، ونشر ألوية ولائه وولايته، على عين المحاسن الإنسانية، وإنسان عين العلماء الربانية، شيخنا وشيخ العالم، وبركة أبناء آدم، شيخ مادري وشيخ ماقري، سيدنا ومولانا الشيخ أحمد المقري، متع الله أبصارنا برؤيته، كما متع بصائرنا بمحبته، ولقد تجملت بشفة سلامه التي رقت حواشيها، وتمتعت بأبكار معاني نظامه لما غاب واشيها، وأنشدت:

جاء السلام من الحبيب بشارة بالوصل صافية وليست بها شيه
بتحية رقت بحاشية له روحي الفدا لك يا رقيق الحاشيه

وبلغوا سلامنا لعزيزنا سيدي وابن سيدي الشيخ عبد الرحمن الصديقي. وكل من يلوذ بجنابكم غفر الله لنا وله ما جنى بكم، دمتم في العز والإكرام واستبطان ديار الهنا والسلام والدعاء باقي، تحريرا في حادي عشر المحرم الحرام افتتاح سنة 1034هـ، محبكم بلا مرا أو نكرى، محمد وابن الجلال البكري، ونص العنوان يتشرف بلثم أنامل مولانا الشيخ الإمام العالم العلامة سليل آل الصديق الكرام الشيخ أبي الفضل البكري. انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

أحمد بن عبد الرحمن الصديقي يجيز المؤلف[1]

/50/ لك أحمد المدائح يا مولى المحامد وأمجدها، وأمدح المنائح يا مانح المقاصد وأسعدها، أن اطلعت شوارق اياتك وخوارق عاداتك من الجانب الغربي، ولمعت بوارق بيناتك ونواطق فيوضاتك بسرك القدسي الوهبي، وشرفت بما شرفت من شموس الفضائل، وأسعفت بما شنفت به مسماع الجهابذ الأفاضل، ولاحت لمشاهد بصائرنا بدور الكمال، وألمحت لمعاهد أبصارنا كواكب التعريف والأفضال، فشهادة لك اللهم بمالك من القدر، واعترافا بما تعجز عن اكتناهه الفكر، ويقصر عن اكتسابه النظر، وشهادة لنبيك المخصوص بعموم الرسالة، الجامع لفنون الاداب وأفنان البسالة، بأنه المفرد العلم بيد أنه المسند إليه كل الفعل، والمصدر المجرد لا غرو أنه المزيد بتمييز الأحوال وتخصيص الأفعال، مستزيدا صلات صلواتك وتسليما بك، ومستجيدا نوامي بركاتك وتحياتك على حضرته الشريفة الشامخة الذرا، المرفوع مقام مجدها على جميع الورى، وايم الله ما بينها /51/ فوق ما بين الأثير والثرا، وعلى آله الأعلام الخيرة، وصحابته الكرام البررة امين، أما بعد:

فلله ضنائن من خلقه اصطفاهم، ومظاهر في صنعه ارتضاهم، أهلّهم إذ طلعهم في سماء الوجود الإنساني بدورا، وأهّلهم إذ أطلعهم على بديع حكمته منظوما ومنثورا، مطويا ومنشورا، ما طويت آية اونة إلا وقد نشرت، ولا نظمت في الخفى خارقة إلا وأمثالها قد نثرت، فله الحمد في الأولى والاخرة، وله الشكر على تلك الالاء باطنة وظاهرة، فلم تزل ايات الله في خلقه متوالية، وبيناته في سرد متتالية، ولم تفتأ عجائب صنعه من توارد مصادرها، وترادف شواردها.

وكان من أولى تلك النعم شكرا وأعلاها منة وقدرا، أن أدار فلك العناية فطلع بمشرقنا شمسا كان بالمغرب مدارها، وبسرح ذلك الجانب الغربي زوايا نورها وأقطارها، فكاد الليل أن يكون عندنا أبدا فجرا، والأغلاس ما أخالها إلا أضحت لدينا ظهرا،/52/ فيا نعم هذا الزمان الذي عاد غصن دوحه يانعا، وروض سوحه رائعا، وسوق فضله نافقا، وطلع وصله باسقا:

فكم لله من نعم	يعم الكون ماطرها
تذكـــــرنا أوائــــــلها	بما تولي أواخرها

[1] إن جمـــيع الإجـــازات الـــواردة في هذا الكتاب وعددها بضع وعشرين إجازة، كانت من المؤلف لعلمـــاء وتلاميذ عصره ممّن طلبوا منه ذلك، باستثناء هاته التي نحن فيها هو الاجازة من أحمد الصديقي المصري.

بيد أنها شمس إشراق لا شمس إحراق، وعين إغلاق لا عين إغراق، تلألا ضياؤها، وتوهج أوجها وعلاها، نجدها أحمد ويا نعم ذاك الأوحد، والطالع الأسعد، والنير المفرد، الشيخ الإمام علامة الأعلام، قدوة علماء الإسلام، لوذعي عصره، وألمعي دهره، فاتق رتق البلاغة، وفائق ذوي البيان الذي لم يبلغ أحد بلاغه، ألا وهو العالم الكبير، والهمام الشهير، الشهاب الأرفع، والبحر الخضم الأجمع، أحمد المقري المغربي المالكي. فحين قدم لمصرنا قاصداً أم القرى، والاستمساك بتلك العرى، والمثول بأعتاب خير الورى، هنيئا للأنفس بما قرت به العيون، واستبشرت /53/ الخواطر بما سرت به الظنون، ونادي لسان التقدير وهو على جمعهم إذا يشاء قدير، فما تشنف سمعي بجواهر ألفاظه، إلا أخذت من القلوب بالمجامع، وما تأمل فكري لبديع حفظه، إلا قضيت بالعجب من همع الهوامع في جمع الجوامع، قد عقد سحر بلاغته لسان كل منطيق، وهيج بلبل فصاحته بلابل كل ذي تصور وتصديق، فكم اشتملت قواعد فضله على فوائد يرحل إليها، وفرائد يعول في الإفصاح والإيضاح عليها، فما أشك أن قوله المفرد مغني اللبيب عن التوضيح والإعلام والإيضاح، وما أظن إلا أن بديع عقد بيانه تنضد عجسده بقلائد العقيان وجواهر العقود وأنوار المصباح دلائل إعجازه، كم لها برهان ومحامل إيجازه كم عليها من الإطناب، عنوان حور معانيه مقصورات في خيام فضائله، ودرر مثانيه محصورات في قلائد دلائله، لم تر فصلا من بيانه إلا حسبته برهانا يقينا، ولم تسمع قولا من تبيانه إلا رأيت حلال السحر بعزائم سره يقينا، والعجب أنه مهما جالت الفكر في ميادين براعته، وصال النظر في مهامه، عباراته لم تجد إلا السوابق /54/ الجياد والعواتق، بيد أنها جدد تكر في تلك السلاهب خاضعة بالانقياد، تصاريف تصانيفه لم ينحها مصقع إلا تعلل عن إدراك ذلك المبنى، وتعاريف تواضعه لم ير شرحها جهبذ إلا اعترف بالثنيا في أثناء ذلك المثنى، فأنشدت عجلا وقلت في وصفه مرتجلا:

نقط الروض بالحيا والولي	تهادي بثوبه السندسي
وتناغت أطياره وتباهت	حين حامت بحليه العبقري
وبدا الصبح في رداء سرور	ووشاح من إليها وحليّ
وترى الشمس قد زهت تترامى	لبزوغ بأفقنا المصري
جين وافاه ربه بإمام	عالم العصر أحمد المقري
واحد الدهر ماجد في علاه	جامع الفخر في نظام سني
ما تحلت عصورنا بجمان	من نظام كلفظه الجوهري
لا ولا الدهر كان يسمح أصلا	بهمام في علمه الأوحدي
فهو بحر العلوم بر كمال	سر صديق أحمد وعلي
ما رأينا بمشرق وحجاز مثل	هذا الإمام من لوذعي

/55/ فسبحان من منّ وأفضل، وأوسع وأوصل، ولما منّ الله علينا بذلك سعد الطالع والبدر الساطع، خررنا سجداً لله شاكرينا، وقمنا في محراب التوجه رب العالمين صاغرين، غير أنه لم تقابلت الصور وتحاذى العين والأثر، فراي معناه في صورة هذا الرسم مرسوما، وقضى على هذا الأثر بأنه العين قضا حرما مجزوما، فطلب مني إجازة حق المطلوب بها أن يكون طالبا، والمرغوب منه أن يكون في مثلها راغبا، فقدمت عزمي وأخرت، وطويت بساط حكمي عجزي ونشرت، وقلت يا سبحان الله ما بال بحر يستفيض غديرا، وما بال بلبل يستزيد من الرّخم هديرا، وعلمت أن شوامخ الشجر إذا مدت غصون أوراقها، وتصل ثمرها شجرها بساقها، ليس إلا لتكرم وفادها، وتقرب من نفعها قاصدها، ووالله لولا أن امتثال الأمر من أول المراسم وأولى المواجب، واحرى اللوازم في حق اللازب، لا سيما ممن إشادته تعين الفرض لفرض العين، وبنحوي إمارته تشرح الصدور وتتسع القلوب وتقد العين، فعين الله على /56/ ذلك المقدم في العصر التالي، وحفظ الله محفوف بذلك الفرد الاسمي والجنس العالي، لم اكن مقدما على ذلك الأمر الخطير، ولا مستشرفا على هضبات ذلك العلم الكبير، لكن ليس بالبدع إن الجاذب العلوي إذا أدرك السافل اسماه، والشهاب النوري إذ قابل النازل أناره وأسناه.

فاستخرت الله الذي لم يخب مستخيره، ولم ينحس مستجيره، وأجزت له بما رويته وأخذته، واستندت اليه واعتمدته، عن السلف العظام والسادة الأعلام، مشايخ الإسلام، من مرويات ومسموعات، ومصنفات ومجموعات، اجمالا وتفصيلا، فروعا وأصولا، معقولا ومنقولا، عموما وخصوصا، وكان أول من عنه رويت، وأعظم من اليه استندت وأسندت، وعلى ركن علمه بنيت، استاذي الأعظم وملاذي الأفخم، خال هذا الفقير، شيخ مشايخ الإسلام، علامة علماء الأنام، من لم يسمح الزمان بمثله، ولم ينسج احد على منواله في علمه وفضله، الإمام ابن الإمام، والهمام ابن الهمام، حبر هذه الأمة وبحرها /57/ الزاخر، وغوث هذه العصور وغيثها الماطر، شمس الملة والدين محمد الصديقي[1] شافعي زمانه، واشعري أوانه، عن والده جدي لأمي وهو الإمام المجتهد المطلق،

---

[1] هو شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن عبدالرحمن البكري الصديقي(930ــ994هــ)مولده ووفاته بمصر، من علماء المتصوفة. وحيثما اطلق في كتب التاريخ او المناقب او الطبقات اسم القطب البكري او البكري الكبير او سيدي محمد البكري فهو المعني. له كتب منها: شرح مختصر ابي شجاع في فقه الشافعية، ، وترجمان الأسرار وديوان الابرار، والفتح المبين، ورسائل في التصوف والعبادات وغيرها. العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 4، ص:431.

والعارف القطب المحقق، علم أعلام الأئمة، وسراج هذه الأمة، قطب الأولياء وخلاصة الأصفياء، شيخ مشايخ الإسلام أبي الحسن الصديقي[1] رضي الله عنه وأرضاه. وجعل الجنة متقلّبه ومثواه، بسنده المتصل المعلوم، وطريقه الموصول المفهوم، فقد حضرت مجالسه العظام، في الإفادة على الوجه الخاص والعام. وأجازني بما أجيز له على الوجه المعروف، والوضع المألوف.ثم الشيخ الأكبر،والإمام الأفخر، شافعي هذا العصر بلا خلاف، ومعتمد هذا القرن حتى عند من لم يعرف بالإنصاف، شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين محمد الرّملي الشافعي[2]، قرأت عليه طائفة من صحيحي الإمامين الأعظمين، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري،/58/ وأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. تغمدهما الله تعالى برحمته وقد أجازني بذلك مع باقي الكتابين وسائر مروياته، وما يجوز له وعنه روايته، بحق روايته لذلك جميعا بالإجازة العامة الجامعة لشيخ الإسلام زكرياء الأنصاري الشافعي، بحق روايته لذلك، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، وبحق روايته عن والده الشهاب الرملي عن الحافظ شيخ الإسلام عثمان الديمي والحافظ الشمس السخاوي. ثم عن شيخ الإسلام جامع الفنون فريد عصره ووحيد دهره، الهمام المحقق والإمام المدقق. جمال مذهب النعمان، وجمان عقد الأوان، علي بن غانم المقدسي الحنفي[3]، قرأت عليه طائفة من صحيح الإمام مسلم وأجازني به وبباقي الكتاب وغيره من مروياته. ثم عن الإمام الزاهد العالم الكبير. المُجمع على جلالته، والمتفق على علمه وولايته، شيخ الإسلام محمد البنوفري المالكي[4]، لزمت مجالسه فقها ونحوا وغيرها من العلوم/59/ سنين عديدة.

ثم عن شيخ مشايخ الإسلام، الإمام الحبر الهمام، حافظ العصر، بقية السلف، وشرف الخلف، برهان الدين إبراهيم العلقمي الشافعي، قرأت عليه وسمعت منه طائفة من صحيح البخاري، وكتاب الشفا للقاضي عياض وغير ذلك. وأقرأني جملة من مصنفات في علم الحديث، وأجازني بكل ذلك. ثم عن

---

(1) أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالرحمن البكري الصديقي (899ــ952هــ) متصوف مصري، من علماء الشافعية، مولده ووفاته بالقاهرة. كان يقيم عاما بمصر وعاما بمكة. من كتبه: تسهيل السبيل في التفسير، وشرح العباب، وشرح منهاج النووي، وتحفة واهب المواهب، وغيرها. العماد الحنبلي. شذرات الذهب، ج 4، ص:292.

(2) محمـــد بن أحمد بن حمزة الملقب شمس الدين بن شهاب الدين الرّملي المنوفي المصري الشهير بالشافعي الصغير (919-1004هــ). المحبي خلاصة الأثر، ج3، ص ص: 342-348.

(3) علـــي بـــن محمد بن علي بن غانم المقدسي الأصل، القاهري المولد والسكن، الملقب نور الدين الحنفي من كبار العلماء (920-1004هــ). المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص ص: 180-185.

(4) أبـــو عـــبد الله محمـــد بن سلامة البنوفري، مصري من أعيان فقهائها وفضلائها، وأحد رؤساء المذهب المالكي بها. محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 281.

ــــخ الثقة، الحافظ الرحلة الحجة الأوحد، عمر الشهير بابن الجاي الحنفي.
ــ عليه طائفة من الجامع الصغير وأجازني به وبمروياته، بحق رواياته لذلك
ـ .جازة عن حافظ العصر إمام العلماء الجلال السيوطي. ثم عن جمع من علماء
ـعصر الأعلام، والقادة العظام، كالشمس المأموني، والشهاب السنهوري،
ـ حسن الطناني، والشمسين الخفاجي والوسيمي، قرأت على الأخير منهما كتاب
ـمـ هب للقسطلاني. هذا ولي طريقة عالية الإسناد، رفيعة العماد، عن والدي
ـــخ الأعلم عبد الرحمن البكري المالكي[1]، عن جده لأمه عالم الإسلام بدر
ـــن./60/ قال: قرأت أنا والحافظ ابن حجر العسقلاني على والدي شيخ الإسلام
ـحي الدين قاضي القضاة عبد القادر بن عبد الوارث البكري المالكي.

وكنت حال ريعان الشباب، وخلو البال من الأوصاب، كتبت بعض
ـرسائل على بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: "إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ"[2]
ـسميته بفيض الرحمن، وكذا على خواتيم سورة البقرة، وسميته الرياض
ـضرة، وكتبت على سورة القدر جزءا لطيفا سميته بأسفار البدر في ليلة القدر،
ـ عنقت شرحا لطيفا من الإيجاز والإطناب على تهذيب المنطق. وشرحا على
ـنـمة جدّي شيخ الإسلام أبي الحسن البكري، المسماة بالنبذة في فضائل ليلة
ـصف شعبان، وسميته بالغيث الهتان في فضل ليله نصف شعبان، وشرحا لطيفا
عـى مختصره للأجرومية، ورسالة على أوائل سورة الدخان، وسميتها النور
ـ برهان في أوائل سورة الدخان. وإنما لم أكن معنيا بالتصنيف لتوارد /61/
ـأكدار، وطرو ضروب صوارف الأقدار، وغير ذلك مما شغلني من إلقاء
ـدروس، لا سيما تفسير الكتاب المجيد، وإنه لخليق بان تصرف فيه الأعمار،
ـ يعنى به أولو الهمم والأقدار، وما يحتاج لذلك من العلوم الشرعية والعقلية،
ـ لمقاصد الآلية والآليّة. ووالله إني لمعترف بالعجز عن مدارك مبادئ السابقين،
ـ مقر بالتصديق بالقصور عن تصورات اللاحقين، واقترافي لزلات يهيض منها
ـعلم وثبين، ولكني غير آيس ولا بائس معتمد على من يعلم السرائر والهواجس،
ـ الحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله وسلم على الفاتح الخاتم محمد المصطفى أبي
ـقاسم وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، ما كرّ ليل ونهار، امين، تحريرا في
ـاني عشر شهر ربيع الأول، تسع وعشرين وألف 1029هـــ، أعان الله على
ـقضيها ولطف، قال ذلك ورقمه العبد الفقير أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن

(1) كان من المتصوفة، توفي بمكة سنة 1007هـــ. المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص: 377.
(2) سورة النمل، الاية: 90.

عبد الوارث الصديقي المالكي[1]، عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلين. آمين.

كتاب محمد الغرسي إلى المقري

/62/ الحمد لله، كتب إلي بعض الأعيان ما صورته: سيدنا ومولانا شيخ الإسلام عمدة العلماء الأعلام، محيي سنة سيد الأنام، عليه الصلاة والسلام. مجلي ألفاظ أحاديثه على المنهج التام، موضح ما أشكل من المسائل الدينية على وفق المرام، مولانا الشيخ أحمد المقري المغربي عين المحدثين والأئمة الكرام. لازال مفيدا على الدوام، آمين.

نهدي إليه سلاما أزكى من زهر رياض باكر الغيث رباها، وأشهى من ند غياض فتح النوء كمائمه فتاه على نجوم الأفلاك وباها، سلام يجر ذيل فصاحته على مفرق العليا، ويثني على حسن بلاغته بلغاء الدنيا:

سلام لو تمثل كان درا ... وياقوتا يقلب باليدين
إلى من عنده روحي وقلبي ... ومسكنه سواد المقلتين

وننهي شدة شوق شديد في الفؤاد لابث، وتوق إليك داخل الحشا عائث، إلى مشاهدة الذات البهية، والصفات المرضية، من ترنم بمدحتها كل حادي، وأشرقت أنوار علومها على كل حاضر وبادي، وتركت الأمصار بعدها مقفرة، والأقطار التي حلت بها مقمرة، فأعاد الله على الأحباب رؤية تلك الطلعة المزهرة. وجمعهم بها في الدنيا والآخرة، وإن تفضل مولانا بالسؤال عن المحبين والأحوال، فبحمد الملك المتعال في غاية الصحة والكمال، غير أن الشوق القتال بلغ منا ما بلغ في سورة القتال، ونسأل ذا الجلال أن يجمع الشمل ويحسن المآل. والحبيب ابن الحبيب، النجل السعيد، الولد العزيز بألف خير[2]، أزال الله عنه وعنكم الضير، وكذلك والدته ومن يليها، ومن خلفتموه قيما عليها، لا يفترون عن الدعاء والتشوق والثناء، والله تعالى بالإجابة جدير، وعلى الجمع بعد التفريق قدير.

ونهنيكم بما بلغكم الله تعالى من المقام الأرقى، والمحل الأسنى، بحضوركم ليلة معراج المصطفى، وقراءتكم أحاديثه الشريفة بين يديه بروضة الصفا، فهذه هي الغبطة الوافرة، والدوحة الفاخرة، في الدنيا والآخرة، وتوجهكم بعد ذلك إلى مكة المشرفة، ومشاهدتكم الكعبة الشريفة المعرفة، ونشركم ما انطوى من العلوم

---

(1) كان قاضي القضاة بمصر، ومن العارفين بالتفسير والأدب والحديث، مولده ووفاته بالقاهرة سنة 1045هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص ص : 234-236.

(2) عن ولد المؤلف أنظر ص:187 وص: 224.

في تلك الأماكن، المروضة لروع القلب الظاعن والساكن، فهذا هو المجد المجد لمثله، وهذا هو السعي الذي ظل يشكر، جعله الله حجا مبرورا، وسعيا مشكورا، وقلبا مجبورا، وأعادك مسرورا محبورا، فالسعد اسعد والعود أحمد. وقد جهزنا لكم من متاعكم صحبة الحاج أحمد الجزائري المكاملي ما يعدل من الفضة ألفي نصف تنقص عشرة أنصاف، وقد خلصنا لكم من معلوم شهر الجلوس الذي قطع سابقا بعناية مولانا حسن أفندي جزاه الله خيرا، وفي رابع عشر من شوال سنة 1033هـ، من المحب الكثير الأشواق محمد الغرسي يشهر بابن غرس الدين[1].
ونص العنوان يصل إن شاء الله إلى مكة المعظمة المشرفة شرفها الله تعالى وعظمها، يسلم ليد سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد السري شيخنا وسيدنا ومولانا الشيخ أحمد المغربي المقري المالكي، كان الله له حيثما توجه، وأبان له من الهدى نهجه، وزاده بهاء وبهجة، آمين.

كتاب أحمد النوبي إلى مفتي الحرم المكي

ابن مرشد في شأن المؤلف

/63/ الحمد لله، ومن إنشاء سيدي القاضي أحمد النوبي حفظه الله مما صحبه معي لمكة المشرفة ما نصه:

"يا من طلعت شموس سعادته في آفاق الكمال، وانتشرت ألوية سعادته في مقام القبول والأفلال، خلد الله غرائس عنايتك، وأدام أسانيد سيادتك، وشيد أركان سعادتك، فسلامي إليك يتهادى لديك ويهدى، وثنائي عليك يتوالى بين يديك ويبدى، ثم المعروض على تلك المسامع المعظمة، وفي هاتيك الحضرة المكرمة، ورود مكتوبكم العالي، ومثالكم الغالي، فكان والله أعز وارد، وأجل قاصد، فقمت إجلالا لرؤيته، وتبركت ببهاء طلعته، ورفعته فوق العمائم، موضع التمائم، وحمدت الله تعالى حيث أنبأ عن صحة مزاج مولانا وذويه، وجملة أحبابه وبنيه، والله المسؤول في جمع الشمل برؤية ذاتكم، والتحلي بمحاسن صفاتكم، وأن يعيد لنا تلك الساعات، التي هي مواقيت السعادات، ثم لا يخفى أن للدهر تنفسات، ولله تعالى خوارق العادات.

وممن تنفس بوجوده الدهر، وأشرف بظهوره هذا العصر، العالم الذي لا يماري، والفاهم الذي لا يجارى، مركز العلوم، المنطوق منها والمفهوم، من لو

---

[1] محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري الخليلي ثم المدني، فاضل له شعر وعلم بالأدب والحديث. أصله من الخليل بفلسطين، تنقل بين القدس ومصر وبلاد الروم، وسكن المدينة وتولى فيها الخطابة والإمامة والتدريس، توفي بها سنة 1057هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص ص: 246-254.

وقع بصر غبي عليه لنطق بالفصاحة، ولو رءاه الجوهري لصحح في حفظه صحاحه، كيف لا وهو شهاب الملة والدين، أحمد الموجودين، قد تشرف بقدمه المبارك القطر المصري، وتعطر بقدومه الأفق النصري، وقد وفد لبيت الله الحرام في هذا العام، وهو واصل لذلك المقام، فهنيئا لعين تراه، وسرورا لقلب يحبه ويتولاه، فقد أتحفك الله بتحفة الزمان، ونادرة الأوان، ولا بدع فإنه عين الأعيان، وإنسان عين الملوان، فيا مولانا يا غرة جبهة الدهر، ويا عزة علماء العصر، إحسانك غني عن الوصية عليه، والنظر بعين العناية إليه، فمثوله لديكم إنما هو من محض فضل الله عليكم، ولا أحسبه إلا منكم ولو تناءت دياره، وأكرم عندكم ولو تباعدت أقطاره، فبرق وجودكم ليس الخلب بل الماطر، وروض إحسانكم ليس الماحل بل العاطر، ومن أعظم رجائي عندكم أن اذكر ولو بلسان الخاطر. خصوصا في ذلك المقام الزاهي الزاهر، وأنتم ومن تحبون في حفظ الله وعنايته ولحظه ورعايته، آمين، وفي 22 رمضان سنة 1028هـ، الحقير أحمد النوبي، انتهى، ونص العنوان، يتشرف بتقبيل أيادي العالم المكين، مفتي بلد الله الأمين، بركة الإسلام والمسلمين، مولانا الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن مرشد الحنفي، دام ملحوظا، آمين".

كتاب أحمد النوبي إلى الشيخ حسين أغا في شأن المؤلف

وكتب أيضا حفظه الله في شأني ما صورته:

"فخر أرباب الإقبال وعمدة ذوات السعادة والإجلال، مولانا شيخ الحرم الشريف المكي، حضرة حسين أغا، بلغه الله المراد والمرام والمبتغى آمين، نبدي لعلمه الكريم كثرة الثناء والتعظيم، ومزيد الشوق العظيم، وإنا على ما تعهدون من دوام المحبة والوداد، داعون لمقامكم الشريف في كل ناد، سائلون الله أن يجمع شملنا بحضرتكم في أشرف البلاد، على طبق المرام والمراد، وإن سألتم عن الأخبار المصرية والرومية، فتفصيل ذلك واصل إليكم صحبة الوافدين لبيت الله الأمين.

ثم المعروض على حضرتكم، أن المتفضل بحمل هذه العبودية إلى مقاماتكم العلية هو العالم العلامة، القدوة الفهامة، مركز دائرة العلوم، ونقطة إحاطة الفهوم، مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد المغربي، من أكابر العلماء العاملين. وأماثل الأولياء الصالحين، وقد وفد لذلك المقام المكين، ليتملى ببيت رب العالمين، فمولانا من فيض فضله وإحسانه وجوده وامتنانه، يتلقاه بالبشر والقبول، ويشمله لحظ عنايتكم فيما يروم من المطلوب والمأمول، وتتبركون ببهاء طلعته المأنوسة، وتستمدون من مدد ذاته المحروسة، فإنه نادرة الزمان، وبهجة الأوان، أمدنا الله تعالى ببركاته في الدارين، وأقر برؤيتكم العين، آمين، وفي

آخر رمضان سنة 1028هـ. انتهى ونص العنوان إلى مولانا فخار ذوات السعادة، وعمدة أرباب السيادة، حضرة مولانا حسين أغا شيخ الحرم المكي بلغه الله مراده، آمين".

[حلقه صلى الله عليه وسلم رأسه ومن حلَقَه]

/64/ الحمد لله، سئل الشيخ المتبولي الحافظ رحمه الله عن عدد حلقه صلى الله عليه وسلم رأسه بعد البعثة، فأجاب بقوله:

الحمد لله، قال في زاد المعاد كغيره، لم يحفظ أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه الشريف إلا في النسك، انتهى. وقد حلق رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم بعد البعثة أربع مرات، الأولى والثانية في عمرتي الحديبية والقضاء عند المروة، والمباشر لذلك معمر بن نافع بن عوف القرشي العدوي على الصحيح المشهور، وقيل خراش بن أمية بن ربيعة بن الفضل الخزاعي، وروي عند ابن السكن أن ذلك في عمرة القضاء. والثالثة حلق رأسه الشريف في عمرة الجعرانة[1] عند المروة ايضا والذي حلقه أبو هند الحجام مولى بني بياضة. والرابعة في حجة الوداع بمنى بعد نحره صلى الله عليه وسلم الهدي، والذي حلقه معمر بن عبد الله كما رواه أحمد والطبراني والحاكم في الكنى وغيرهم، والله أعلم، كتبه احمد بن محمد بن احمد المتبولي[2]، انتهى.

ونحوه للشامي في سيرته، ونقل ابن سيد الناس في سيرته عن ابن إسحاق في الحديبية ما نصه: وكان الذي حلقه فيما بلغني ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي، انتهى. فتحصل من ذلك، أنه لم يقصر مع أنه في كلام بعضهم ما يقتضي أنه قصّر مرّة، واستدل بذلك بما في صحيح مسلم من إطلاق لفظ التقصير حسبما فسره به النووي، وقد قال خطيب بمكة عند ذكره صلى الله عليه وسلم أفضل من حلق وقصّر، فأنكر عليه بعضهم اعتمادا على أنه لم يقصر، وانتصر النويري للخطيب، وألف في المسألة رسالة ملخصها أنه جاء التقصير كما في صحيح مسلم وفيه للنظر مجال. وقد رأيت أن أنظم ما ذكر لكثرة السؤال قديما وحديثا فقلت وبالله المستعان:

لم يأت عن طه شفيع الخلق   في غير نسك فعله للحلق
كما حكى ابن قيم في الزاد   وغير واحد من النقاد

---

[1] هي ما بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب، وبها قسم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غنائم حنين، ومنها أحرم بعمرته في وجهته تلك. الحميري، الروض المعطار، ص: 177.

[2] من أهل القاهرة، فقيه شافعي، ومن العلماء بالحديث، له شرح الجامع الصغير في الحديث، توفي سنة 1003هـ. المحبي. خلاصة الأثر، ج1، ص ص: 274-277.

والحلق كان في مرار أربع للنسك بعد بعثة فلتتبع
أولها في عمرة الحديبية إذ صد عن بيت مجيب التلبية
والمرة الأخرى بعمرة القضا في مروة والنسك بالحلق انقضى
ومعمر باشر حلق المصطفى في ذين عند الجل ممن يقتفى
وهو ابن عبد الله نجل فضله القرشي فاعرفن فضله
وفضلة بن نافع بن عوف العدوي نلت أمن الخوف
وقيل بل خراش الخزاعي باشر ذين وهو ذو نزاع
وعن الحبر الإمام ابن السكن في عمرة القضاء خراشا إذ زكن
واقتصر الحبر ابن اسحاق على ذا في الحديبية فيما نقلا
وثالث المرات في الجعرانة وحلقه بمروة أبانه
وذا على يدي أبي هند وقع مولى بني بياضة الذي ارتفع
مع كونه حرفته الحجامة بخيرة العباد ذي الامامة
وحلق أزكى ذاكر وداع لدى منى بحجة الوداع
من بعد نحر أربع المرار ومعمر عين في الأخبار
كما رواه أحمد والحاكم لدى الكنى والطبراني العالم
قلت وما حكوه عن خطيب في وصفه للمصطفى الحبيب
بكونه أفضل من قد قصرا في حين المنع لدى من أبصرا
لأنه صلى عليه الله ما قصر فالخطيب جاء توهما
لكنني رأيت للنويري رسالة نمى بها لغير
إذا ارتضى فيها صواب ما انتحى ذاك الخطيب نابذا لمن لحى
وقال في صحيح مسلم روي ذاك وفي شرح الإمام النويري
ثم أتى بما به استدلا فانظره واحذر أن تكون كلا
على المجازفين في النقول واختم بذكر الواهب العقول
وبالصلاة الناميات الذاكية على الذي حاز السجايا الزاكية
وآله وصحبه ومن تبع من كاتب وقارئ ومستمع

المؤلف يكتب للشيخ البيلوني

/65/ وكتبت إلى صاحبنا العلامة الشيخ فتح الله البيلوني[1] وهو في القدس الشريف ما صدره: أتوسل إلى من شرف المواطن القدسية، وخصها بالتجليات الرحمانية الإنسية، أن يعمر بيوت العلوم المبنية أفعالها على الفتح، ويفيض

---

(1) أنظر الهامش رقم:1، ص:62.

غيوث الفهوم اللدنية المتحلية صدورها القاضية بالمن والمنح، على حضرة علامة الوقت بلا مكابر، وارث الفضل كابرا عن كابر، مالك أعنة البراعة مجريها كيف شاء في ميدان البراعة، بديع العصر بل الدنيا، وحائز قصب السبق بلا ثنيا، مولانا فلان حرس الله ساحته من الأغيار، وأحي به مآثر سلفه الأخيار، وانهي إليه بعد السلام اللائق بالمقام، والدعاء الشافي من السقام، الدخول في سلك من قال ربي الله ثم استقام، وهي طويلة.

ويكتب لرجل اسمه نوح

وكتبت إلى من اسمه نوح في بعض الإجازات، الحمد لله الذي جعل سفينة الرواية لنوح الهداية نجاه، وبلغ طالب الحديث في القديم والحديث ما أمله ورجاه، والصلاة والسلام على ذي الخلق الحسن العظيم المرسل المرفوع قدره على كل ذي قدر وجاه، والرضى عن آله وأصحابه الذين كانوا ملجأ المنكر والمشهور، والخاصة والجمهور والقوي والضعيف ذي البضاعة المزجاة وبعد، إلخ.

المؤلف يجيز الشيخ أبا بكر السوسي المراكشي

وكتبت لصاحبنا عالم مراكش المحروسة، الصالح البركة سيدي الشيخ أبو بكر السوسي[1] حفظه الله: أحمد من أيد بالرواية قوما أزاحوا غيهب الغواية، وكشفوا عن مشكلاتها الغطا، واسندوا حديث فضل وعطا، واصل الصلاة ذات الأرج، للمصطفى الراقي لأعلى درج، المرسل المشهور ذو الخلق الحسن، مفحم أرباب الكلام واللسن، محمد المرفوع قدره على سائر خلق الله جل وعلا، وصلى عليه الله مع صحبه ومن تلاهم من كل حبر مؤتمن، وبعد:

فالعلم متيح للأمل، لاسيما إن زانه حسن العمل، ولم يزل أهل النهى يسعون في قرب إلى غريبه المصنف، وإن من أجل أهل العصر الوافدين لنواحي مصر، الفاضل المحصل النحرير، المقرئ الذي له التحرير، المغربي المراكشي السوسي ذو المبحث المعقول والمحسوس الصالح الفرد، أبو بكر الرضى لازال عما لا يليق معرضا، ورام مني مع ظهور جهلي إجازة لست لها بأهل إذ هو أولى أن يجيز مثلي، والنخل لا يحكيه دوح الأفل، وقد أجبته لحسن نيته، بلغه الله أقصى أمنيته، جميع ما ألفت أو رويت، وكل ما ابتدرت أو رويت بشرطه المعروف عند من نقد، وأسأل الله السعادة فقط بجاه طه سيد الأنام، عليه نافع

---

[1] أبـو بكـر بـن مسعود المراكشي المالكي مفتي المالكية بدمشق (984-1032هـ)، ولد بمدينة مـراكش وبها نشأ. انتقل إلى مصر ومنها إلى دمشق، ثم رجع إلى مصر وأقام بها مدّة، وأخيرا ألقى عصا الترحال بدمشق. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص: 97.

الصلاة نامي وآله وصحبه الكرام، ومن تلاهم طالب المرام، فنال ما ابتغى بلا اكتتام، ونال حسن البدء والختام.

وكتب إلى ابن شاهين

وكتبت إلى المولى الأفندي الشاهيني حفظه الله صدر رسالة: يا سيدي وأخي وافضل من عذر، ووفى بعهد الأصدقاء وما غدر، ولا زلت محروسا بعين عناية مما اعترى العبد الضعيف من الكدر، لكنني من حسن ربي ارتجى حسن العواقب في الورود وفي الصدر.

كتاب المؤلف إلى رئيس الدولة الزيدانية

وكتبت إلى أمير الأمراء صاحبنا القائم محمد بن الزبير رئيس الدولة الزيدانية رحم الله الجميع: أنجز الله لكم الوعد، وجعل مقاصدكم الدينية منسوبة للسعد، عضد الدولة الزيدانية، و(....)[1]الحلبة الميدانية، فلان، لازالت سور مجده متلوة، وصور فضله على منصة العز مجلوة، آمين وبعد:

فإني بعثت بها ذكرى على ثقة إلى مؤمل وعد من وفائك مرقوب، فما زلت فذا في رؤوس ذوي العلى وما وعد راس مثل موعد مرقوب، وقد طال عهدي بما بقي من هذا الكتاب.

وقلت:

ولما قال بعض أهل مصر بحضرتي: حرك ترى، يشير إلى قضية أبي حيان وقصد التورية بالعذرة، قلت:

من قال حرك لمغربي ... يراه بالنقص ذا تحلي

فذاك بلا شرق شافعي ... يعجبه البحث في المحل

وقلت:

قسما بأعـــلام ... حوتهم جلـــق

وبدور علـــم ... نورهم متألـــق

إني إلى تلك ... المحاسن تسيق

وبفهـــم إخوان ... الصفا متخلـــق

وبذيـــل أرباب ... الوفا متعلـــق

---

(1) ما بين القوسين كلمة غير واضحة في النص.

.قت مضمنا:

يها الراجعان للحي فورا	ينعتان الأخبار أو يشكران
ن تناسيتما عهود أناس	فاجعلاني من بعض من تذكران

علي بن أبي بكر الحضيري يبعث بأسئلة فقهية إلى المؤلف

وكتب إلي من بلاد فزان سليل الصالحين البركة العارف سيدي علي بن ـي بكر الحضيري حفظه الله بقوله:

الحمد لله الموفق لما شاء	بمحض فضله للعلماء
مفسرين لكلام المصطفى	وصحبه المكرمين الخلفاء
من واحد لواحد مفصلا	من الأئمة بهم متصلا
فبعضهم أوضحها مجتهدا	والبعض يقتدي بهم مقلدا
بعلمهم ونظمهم قد أرشدوا	أهل زمانهم بهم ليسعدوا
سعادة تنفع في دنياهم	وتدخل الجنة في أخراهم
فكلنا لأمرهـــم يمتثل	وينتهي عما نهوا إذ نسأل
عما جهلناه من المسائل	والعلماء هم لنا ـ الوسائل
ليرشدونا للطريق القيم	بالعلم والنصح لكل مسلم
وها أنا مخاطب لشيخنا	المقـري أحمـــد قدوتنـــا
عساه أن يجيبنا في أسئلة	فقهية أضحت لدينا مشكلة

ـم سرد الأسئلة نثرا.

فأجبته في صدرها بما نصه:

الحمد لله الذي قد رفعا	مزية الطالب عام نفعا
وأرشد الناس إلى المنهاج	بنور طه ذي السنى الوهاج
صلى عليه الله طول الزمن	مع صحبه والتابع المؤتمن
وبعد فالعبد الفقير المقري	المغربي المالكي الأشعري
وفقه الله إلى السداد	لطرق من أعين بالإمداد
يقول إني قد أتتني كتب	ممن له بين الصحاب قرب
الصالح الهادي لفعل الخير	سيدنا علي الحضيري
ودام محييا رسوم السلف	وصار في الزمان خير الخلف
يسألني عن بعض ما عليه	أشكل من مسائل لديه
ظنا بأني كاشف قناعها	وأنني سين امتناعها

ولست من رجال ذا المجال — وقد أجبته على استعجال
معترفا بالجهل والقصور — مفوضا للرب في الأمور
فليغض عما لم يكن صوابا — فليس مثلي يحسن الجوابا
لا سيما وذا عام غم — وهو اعتذار رافع للذم
والله يختم لنا بالحسنى — بجاه صاحب المقام الأسنى
عليه أزكى صلوات الله — في البدء والختم بلا تناهي

الفقيه الرجراجي يطلب الإجازة من المؤلف

/66/ وكتب إلي الفقيه النجيب العفيف سيدي محمد ابن الفقيه سيدي عبد الواحد بن أبي عبد الله الرجراجي المراكشي، وكان عمه قاضي القضاة أيام المنصور بالله وهو ممن لقيته[1]:

يا نخبة الفقهاء والفضلا — ونتيجة الأعلام والكبراء
وهو الوسيلة لي المعظم قدرها — إنسان عين السادة العلماء
هذا محبكم العفيف ببابكم — إذ أنت حقا ملجأ الضعفاء
جودوا بحقكم له برجائه — لا زلتم في الخير والنعماء

وكتب بعدها نثرا يطلب به الإجازة مني حفظه الله.

بعض الأصحاب ينشد المؤلف لابن أبي اللطف المقدسي

وأنشدني بعض الأصحاب، لصاحبنا الحسيب الأصيل الشيخ كمال الدين المقدسي ابن أبي اللطف[2]، وهو ممن لازمني نحو السنتين في الدرس العام وقرأ علي بالبيت دروسا وحده:

جسـمي المعـنى الـذي — أعـياه حمـل القمـص
قـد صـار مـوطى — المناسم في الثرى والخمص
وأضـحـت شـواهـين — (......)[3] الضواري قنص

---

[1] التقي المؤلف في رحلته الأولى إلى المغرب الأقصى بوالد طالب الإجازة عبد الواحد الرجراجي في مدينة مراكش وعمه (عم عبد الواحد) أبي عبد الله محمد بن أبي عبد الله الرجراجي قاضي المنصور السعدي. وأثناء لقائه به وهبه حواشي اللقاني على توضيح خليل، فكان المقري أول من أدخل هذه الحواشي إلى مدينة تلمسان بعد عودته إليها. المقري، أزهار الرياض، ص: 315.

[2] محمد بن عبد الحق بن أبي اللطف الملقب كمال الدين المقدسي الحنفي، فاضل كثير الأسفار، قلما يقيم ببلده، رحل إلى القاهرة وأقام بها سنين عدة واشتغل على علمائها، وسافر إلى الروم، توفي ببيت المقدس سنة 1033هـ. المحبي، خلاصة الأثر. ج3، ص: 482.

[3] ما بين القوسين كلمة غير واضحة في النص.

وأغـــصـــان وصـــلو الشوا مخ في الروابي قنص

ولابن أبي اللطف مخمسا أبيات الشيخ عبد الهادي السودي:

بدا بكأس مدام والدجى حلكـــا
وغرة الحسن[1] أرخت فوقه شبكا
فقلـــت لما أتى ما يختشي دركا
يا بدر تمّ غدا قلبي لـــه فلكا إن كنت أحول[2] روحي في الهوى فلكا
سفائن الحب في بحر الهوى رست
وأسهم الشوق في أحشائي قد نشبت
قد قالت النفس لمـــا للهوى انتسبت
كيف التخلص والالحاظ قد نصبت لطائر في طرقــــه الهوى شركا
روحي الفداء لمن وفى بموعده
وجاءني راحما ليـــــلا بمفرده
وصرت أنشد مذ أحي بمورده
لم أنس إذ زارني والكأس في يده كأنـــه ذهـــب في فضـــة سبكـــا
لدن القوام بعطف منـــه أدركـــني
من بعد ما كان في النيران أسلكني
وقال هل جائز في الروح تشركني
ملكته مهجتي والوصــــل ملكني وكل شخـــص يهنأ بالـــذي ملكا
قد حل لي منزل في ظلمة السدف
وصار معتنقي كالدر في الصدف
وقـــد بقينـــا معا كالـــلام والألف
نلنا المراد وبتنـــا في المسرة في حمى الخليل ونمرود العدى هلكا

وله:

لما جلسنا وضمتنا طوال القصر وأمست طوال الليالي بالتواصل قصر
وقد بقينا وتحسدنا مواضي العصر وأعين الكاس تجري للندامى عصر

وله غير ذلك مما لا محل لذكره هنا.

---

(1) في خلاصة الأثر: عزة النفس.
(2) في خلاصة الأثر: أبدل.

يوسف الزرقاني ينشد المؤلف لنفسه

وأنشدني لنفسه عالم المالكية بمصر الشيخ يوسف الزرقاني بداره يوم الخميس خامس رمضان المعظم سنة 1028هـ[1]:

يقول كتابي عندما قد أعرته ... مخافة أن يغتالني فيه غائل
جزى الله من أدى الأمانة حقها ... من الخير أضعاف الذي هو آمل
ولا كان من قد خان فيها مضيعا ... لها أو بتفريط ولا رد حاصل
ولا تتبع من قال إن إعارتي ... كتابي عار فهو بالقطع باطل
فإن رسول الله والصحب بعده[2] ... استعاروا وفي القرآن أيضا دلائل
وما عاذل ذكرت سوى امرئ له ... عن طريق الخير والعرف عادل

وقال لي أردت بذلك الرد على من قال:

ألا يا مستعير الكتب دعني[3] ... فإن إعارتي للكتب عار
فمحبوبي من الدنيا كتابي ... وهل أبصرت محبوبا يعار

قال: وقلت أيضا:

إن الإعارة معروف وفاعلها ... عند الإله وعند الناس محمود
ومن يقل هي عار فهو ذو ( ) ... إذ خالف النص فيها فهو مطرود

وقال زهير بن محمد:

مــا هــذه أول ما مر بي، كم مثلها مر على رأسي. فقلت أنا مضمنا له: واسـتغفر الله من قول لا يرضيه، وعمل لا يمنح أجره ولا يمضيه، وشامت من خطب دهر عرا وطود أشجان علا رأسي، ما هذه أول ...إلخ.

---

(1) في الأصل: 4028 هـ.

(2) في الأصل: بعدها.

(3) البيتان لأبي العباس أحمد بن حسن ابن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ(740-810هـ).

المؤلف يداعب أحمد باشا مرعش

ومما خاطبت به صاحبنا جاحظ أوانه أحمد باشا مرعش[1] حفظه الله مداعبا، ...ت لي أولها:

يا صاحب السعاده	واليمن والسياده
أهدي لكم خروفا	منكرا معروفا
يأكل كل ما وجد وإن	رأى الأكل سجد

ولما خاطبته بقولي: يا صاحب السعادة، في البدء والإعادة، صرح بمدح ...نهوة، بالحق لا بالشهوة، في روضة الأنس، بل حضرة للقدس، حل بها أعيان، ...لهم تبيان، فبعضهم من مصر، جاء لدفع الأصر، والبعض من دمشق، مغني ...دى والعشق، لمسجد مقدس، على التقى مؤسس، ورأيهم جميل، وكلهم يميل، ...نهوة التي سمت، وبالمديح اتسمت، فكم إمام صرحا، بفضلها إذ مدحا، فلا تكن ...معرضا، في تركها محرضا، فإنها حلال، ليس بها ملال، وحسنها لا يخفى، عمن ...ح سخفا، وقد بدت أبيات، منكم لها غايات، تحتمل المديحا، وغيره تلويحا، ...ك لا يرضينا، إذ شربها يحظينا، فعن قريب، يأتيك بالغريب، محبوبك ...مشهور، معتمد الجمهور، من صار ذا وجهين، وقرة للعين، من ضوءه أنارا، ...ي به الدينارا، فإن أتاكم فورا، ولم يفارف جورا، فابذل له المعروفا، واذبح لنا ...خروفا، فالدهر ذو ألوان، فلا تكن بالواني، واغنم مع الإخوان، وصلا بلا ...ي، وانتهز الفرصة في أوقاتها، واسمح تفي، فالعمر مثل الكاس، فرب عار ...، ورب كاس عار، وكل خلق فاني، ومدحكم كفاني.

أجابني بقوله: طبتم وطاب الشعر، منكم حلا لي المر، قرب كاس عاري، ...رق العواري، يرى القهاوي حلوة، في ظاهر وخلوة، ورب عار كاس، حلواه ... الكاس، دع عنك ذا الخروفا، أو بعضه والصوفا، من جوز المحالا، على ... أحالا، المدح للقهاوي، كبذلي الشهاوي، كبعرة الخروف، الطبع منه عوفي، ... المحال، صفر بلا مجال، كطالب بيض الأنوق، محلل كل الفسوق، فمثل هذا ...ي. قمحا وضانا مقلي، أو نيه أو ميتا، فللسهى أو ميتا، طلبت مني منا، من ... ماء يمنى، لكنني أجيب، بأنني غريب، عن خلق الإنسان، والبذل للإحسان. ...عذر عنكم قبل، يا من على التقوى جبل، يريد مني الكذبا، والهزل ثم اللعبا.

---

[1] ...حد المغربي القيرواني الحنفي المعروف بصاحب السعادة، أحد أعاجيب الزمان ونوادره، خرج ...ن بلاده وهو يتقن معارف وفنون كثيرة، ودخل بلاد اليمن وبلاد الروم حيث تولى حكومة مدينة ...رعش، وبعدما صرف عنها حط به الدّهر، ولم يصبح يملك شيئا، فرحل إلى دمشق حيث التقى ...نفري الذي أصبحت له معه صحبة أكيدة وكان لا يفارقه، وبسببه اتحد مع علماء دمشق منهم ...حد بن شاهين، توفي سنة 1045هـ المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص ص: 375-380.

فما الفت البذلا، إلا لمن تجلى، وعوني الإخوانا، من الذي أغنانا، بدعوة مجابة.
إن قارنت إجابه، والعذر أصل الرفق، لعالمي دمشق، والحق بالحق صدع.
والعذر في ذلك اتسع، والله أرجو أن يقي من مغرب ومشرق أحبابنا خروفي.
فالدهر ذو صروف، وتمنع الضيافة، بالرغم والمخافة، فإنها حرام، وفعلها ملام.
مصليا على النبي، وصاحب مقرب، وآله والعترة، ومن يقيل العثرة، عن
الخروف جزما، وما السحاب أهمى، من الخروف ظله، إن رمت من أحله، لأنه
سيف الحيا، أتى به بلا ريا، فكيف أن يحله، من أهل هاذي الملة، عالمها التقي.
فإنه النقي، عن أن يريد هذا، فليس هو من أذى، انتهى، وهو مما يسمح به.

ولما تذاكرنا ما قيل إذا احب الله عبدا علمه من غير علم، وأعزه من غير عشيرة، وأغناه من غير مال، نظمت ذلك بديهة بقولي:

إذا أحب الله عبدا علمه	من غير علم وأبان معلمه
وجعل العز له مؤبدا	دون عشيرة دفاعها بدا
ونال ما يغني بغير مال	بفضل ربي مبلغ الآمال

فقال هو حفظه الله حين سمع ما نظمت: إذا احب الله عبدا، علمه من غير علم.
وأعز علمه من غير ما عشيرة، وأغنى من غير مال عبده المعنى، انتهى.

وكتبت إليه:

سرى منك طيف بالجفاء طروق	ولاحت بآفاق الوفاء بروق
وكدر صفو الود شوب توهم	وما كفرت للمنعمين حقوق
وما كان تركي للكتابة عن قلى	وما خالط البر الصريح عقوق
ولكنني أخبرت أن ركابكم إلى	الروم يحدوها السرى ويسوق
وناقل هذا الأمر صحح نقله	وقال أناس إنه لصدوق
فخفت على السر الذي لا أبثه	لغيرك أن يفشى ويكسد سوق
/67/ وما حلت عن عهد قديم حديثه	بحسن انتساب للعلاء يروق
وإني أجازي ذلك الفضل بالجفاء	وهذا فؤادي للقاء خفوق
وإن قلت يا صـــدر الزمـــان	وزينه ومفرده فالمكرمات تفوق
وأدرك أن يطلع بارجاء مرعش[1]	ففي سائر البلدان منه شروق
يمينا بما ضم الحلى وما حوت	رحاب مني إني إليك مشوق
فدم وابق واسلم وارق أوج	سعادة إليها نفوس الماجدين تتوق

---

[1] مدينة تقع جنوب تركيا، كانت من ثغور أرمينية، بينها وبين زبطرة تسعة فراسخ، فتحها خالد بن الوليد، وجّهه إليها أبو عبيدة بن الجراح. الحميري، الرّوض المعطار، ص: 541.

.قلت قديما: شجني فما لم أستطع بتصبري أن أدفعه، والموت خير من حياة ـ فيها منفعة، اللهم أحينا لمنفعتنا في طاعتك يا كريم يا رحمن يا رحيم.

العفيف المراكشي يمدح المؤلف

وكتب إلي العفيف المراكشي:

يا خير من أمه عاف ومختار	وكفه بسحاب الجود مدرار
أندى وأكرم من حطت بساحته	لطالب العرف أقتاب واكوار
المقري الذي شاعت مكارمه	وخلدت مجده في الدهر آثار
يا ابن الذين أبانوا العلم إن لكم	قدرا كبيرا وما للناس إنكار
أبى الزمان سوى تعظيم مجدكم	وفي البلاد لكم فضل وإكبار
هب للعفيف من المنظوم بغيته	فما له غير أبيات لكم دار
دامت تسح بروض العلم واحتكم	وانهل منها على الأقطار أمطار

.قلت:

يــا سيـــدي وولـــي	ومــن لشاهيـــن ينمـــى
وعمدتــــي وسمـــي	لا زلــت تمنــح غنمـــا

.قلت:

قلبي رهن بنهر في جلق راق	مرأى من بعدها زاد سقما
يا رب فامنحه برءا وقرب	البعد ممن عن المعاهد ينأى

.قلت مضمنا:ولما تذكرت المعاهد قال لي أناس، بتحسين القبيح تنصحوا، أمّا ـت في مصر عزيز مبجل، فأنشدتهم بيتا:

.رحلي أفصح إذا كان في الدنيا فراق وغربة وبعد عن الأوطان فالأمر واضح

.قلت:

أغيــث الشــام فضلا عن	ســواها الــنافع الســقيا
حــباك الله مـــا تــنوي	ويســر لـــي بــك اللقيا

.ر تقول:

أيـــا غوثـــا همـــا بالجود	غيـــثا نـــافع الســـقيا
أدام الله عـــــــــزتكـــم	ويســـر لـــي بكـــم لقـــيا

سـيدي الـذي تشنفت بأمداحه الأسماع، وسيدي الذي لم تخفق عند التعلق بأذيال أسبابه، وقصد عتبة بابه الأطماع، فرد الدهر الذي تمالأ في ولائه وعلائه الإجمـاع، وفـرد العصـر الذي يدعو بطول بقائه من له في لقائه عن صادق إزمـاع، لازال مقامـه محـط رجاء البادي والحاضر، ومجلسه الروض اليانع والناضـر، ورحـم الله القـائل: يا موسعي من بره ووفائه، مرءاك في عيني. وجـودك في يدي، وهواك في قلبي، وذكرك في فمي، ثم أضربت عن هذا النثر وكتبت بدله ما صورته:

سيدي الذي تشنفت بما له من المدائح من الغادي والرائح الأسماع، وسندي الذي لم تخفق عند قصد بابه والاعتلاق بأسبابه الآمال والأطماع، فذ العصر الذي مـد على متن الجوزاء رواقا، ونفق للأصفياء أسواقا، وإن ملكهم أشواقا، فتمالأ على ولائه وعلائه الإجماع، وواحد الدهر الذي يدعو بزيادة ارتقائه وطول بقائه من سمع بأنبائه، فكيف بمثلي ممن له على لقائه عزم وازماع، صاحب المجالسة التـي تذكر الأريب مشاهده، والمؤانسة التي تنسي الغريب معاهده فتصرف عنه الأشجان وتتماع، انتهى ما حضرني ونسيت ما عداه.

نظم محمد المنوفي

وأنشدني صاحبنا متنبئ عصره في النظم محمد أفندي المنوفي[1] حفظه الله مما قاله بقسطنطينية المحروسة حضرة الخلافة الحارسة:

ومن تمسح الأيام رأس شبابه	براحة بلواها يشب قبل مسها
ومن يدع سمعا للنصيحة من عدى	يجد ما تحامي في أسرة نصحها

وله أيضا لما مات أستاذه الأفندي ابن عبد الجبار رحمه الله:

ساورتني الهموم والحزن ممن	كان يرعى على البعاد جواري
كنت أبكي بعد الديار اشتياقا	فدهاني بكاء قرب المزار
أي قلب يقوى على فقد الفين	رهين الثرى ونادي الدار

وله أيضا أعلى الله قدره:

---

[1] انظر الهامش رقم: 2، ص: 96.

[illegible] من [illegible] النوى بيد   الجوى في عارضيه وقلبه بهموم
ففؤاده في أرض مصر وجسمه   شابت مفارقه بأرض الرّوم

ومنه أيضا:

وأظنها وهي التي لم يعيها   حمل السلام كليلة عن حمله
ضعفت خوافيها بما حملتها إذ   كان يضعف مثلها عن مثله

وكتب إلي وأنا بمصر بعض الأعيان:

يا من له رسائل   تزري بإخوان الصفا
طبع الذي لا يرتضى   منك السجايا كالصفا
ما مثل من قال لكم   محاجيا احفظ صفا

وقلت:

وما لي إن كتبت لكم بود   يحرفه الضمير لأجل بعدي
نعم هذا وأكثر منه يجري   إذا كان المحب قليل سعد

وذلك لما سمعت قول الأول:

وما لي إن لفظت لكم بمدح   يحرفه العذول بضد لفظي
نعم هذا وأكثر منه يجري   إذا كان المحب قليل حظ

وقلت أيضا مضمنا:

يا بدورا عاملوه بالجفا   كل شيء منكم عندي جميل
وعلى الجملة ما لي غيركم إن   أردتم أن تملوا أو تميلوا

وهو من قول الأول[1]:

هل إلى ذاك الحمى من رجعة   أو إلى تلك الليبلات سبيل
وعلى الجملة ...إلخ.

---

[1] يقصد محمد بن غازي الموصلي المعروف بالفقاعي (ت 629هـ)، شاعر دمشقي ينسب إلى الفقاع وهو نوع من الشراب تعلوه فقاقيع من الزبد. الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 324.

وكتبت من رأس القلم إثر بعض الإجازات

أيا ماجدا برا رضى فاضلا حوى خلالا بها نيل المرام أم استوى
ويا شمس دين أنت لازلت هاديا لمن ضل عن نهج الرشاد ومن غوى
سألت رعاك الله مني إجازة ومثلي على جهل وعيّ قد انطوى
ومع ذا فإني قد أجبتك راجيا بهذا الجواب القاصر البرء من جوى
فحدث بما استدعيت مني إجازة على شرطها المعروف عند الذي روى
وكن واثقا بالله في كل مسألة ورافق فريقا خالفوا النفس والهوى
وقد خط هذا المقري أتاحه إله الورى من سوله ما له نوى
وتاريخه غمّ[1] ومن فضل خالقي ننال لأمراض القلوب به دوا
بجاه رسول الله ملجأ حائر ومنقذ ملهوف ببير التوى
توى عليه مع الأصحاب أزكى تحية ونال بإحسان لدى القرب والنوى

وصف المؤلف لكتاب بدائع البداية

/68/ ولما وقفت على كتاب الوزير القاضي جمال الدين علي بن أبي المنصور ظافر[2]، المسمّى ببدائع البداية، ولم أر في كتب الأدب في فنه أحسن منه، على كثرة ما رأيت في المغرب والمشرق من ذلك، قلت في وصفه وأكثره بديهة على الطريقة التي سلكها صاحب الكتاب المذكور فيه:

ما روضة باسمة الثغور ناعمة الأغصان والزهور
صافية الأنهار كالبلور حالية بالنور أو بالنّور
لـدى دمشـق جنـــة أمنها الله من الشرور
وعرفها كالمسك والكافور إذ زارها النسيم في البكور
يدعو ذوي الأشجان في الصدور إلى الهوى الممدود والمقصور
وغنت الورقا مع الشحرور فيها بلحن جالب السرور
وما إلى السلك ذي الشذور تروق حسنا في نحور الحور
وما بهاء غداة الخدور مخجلة الشموس والبدور
بالوجه والأرداف والخصور في وصفها المطيل ذو قصور

---

(1) أي: سنة 1040هـ بحساب الجمّل على طريق المغاربة؛ لأن غ=1000 و م=40.

(2) وزيـر مصري (567-613هـ) من الشعراء الأدباء المؤرخين، مولده ووفاته في القاهرة، تولى وزارة الملـك الأشـرف مـدّة، ثم اعتزل الأعمال. له عدة مؤلفات منها: بدائع البداية المذكور. والـدول المـنقطعة، وذيـل المناقب النورية، وشفاء الغليل، وأساس السياسة، وأخبار الشجعان. وغيرها. ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص: 51.

أبهج مما خط في السطور	من كتب تجمع المعمور
بدائـــع البدايـــة المشهـــور	بدائع ما صنف في الدهور
في الأدب المنظوم والمنثور	والنعت المستحسن في العصور
من الإناث ومن الذكور	ومجلس الأنس أو الحبور
وما سوى ذلك من أمور	تليق بالخصوص والجمهور
جمع علي بن أبي المنصور	فوزي من الهنا الغفور
بالجنـــة العاليـــة القصـــــور	والفوز في الورود والصدور

وقلت:

محاسن الشام أجلى	عن أن تسام بحد
لولا التأدب قلت	ما فيه بعض تعدي[1]
كأنهـــا معجـــزات	مقرونـــــة بالتحــدي

وقلت:

قال لي ما تقول في الشام حبر	شام من بارق العلى ما شامه
قلت ما أقول في وصف قطر[2]	هو في وجنة المحاسن شامه

وقلت بديها:

لا كان يوم فراق ساق	الشجون إلينا وسام ذل نفوس
يا من يعز علينا أن نفارقهم	

وهو تضمين لقول أبي الطيب: يا من يعز علينا أن نفارقهم[3].

---

[1] في خلاصة الأثر، البيتان الأول والثاني:

محاسن الشام جــلت	عن أن تقاس بحـــد
لولا حمى الشرع قلنا	ولم نقف عند حـــد

[2] في خلاصة الأثر: أرض.

[3] البيت هو:

يا من يعز علينا أن نفارقهم	وجداننا كل شيء بعدكم عدم

كما أورد المؤلف في نفح الطيب ج1، ص: 91، بيتين مضمنا قول المتنبي:

لا كان يوم فراق	ساق الشجون إلينا
فكـــم أذلّ نفوسا	يا من يعـــز علينا

مدح محمد المنوفي للمؤلف

وكتب إلي الأفندي الشهير شاعر هذا العصر، الشيخ محمد بن ياسين المنوفي قاضي النحارية وغيرها حفظه الله وأسماه:

مركز العلمِ أحمد المشهور — لاحَ في الغرب من سناه بدور
وعلى الشرق مسحة من — حلاه جللته فاشرق الديجور
كل وصف إذا تقصاه مطر — غير ما جاز حازه التحبير
جمعت ذاته الخلافين حتى — قيل هذا المؤمن المذعور
هو في مهجة الأعادي كنار — وهو في مقلة الأحبة نور
لفظه جوهر البقاء فمن — ذا قلدتـــه لباتهن الحور
أيها المقري قرت عيون بك — وارتاضت النهى والدهور
أخذ الشرق من يد الغرب ثأرا — أنت فيه الحكم المأجور
مربع لم تطا ركابك جدب — ومحــــل ترتاده ممظـــــور
أن أنسي به تفرد أنسي — فجناني في حبه المعذور
أنزلته بمصر دارة فضل — وله في ولاية الروم دور
حصنت مجده تمائم سعد — أعين الحاسدين عنهن عور
فيداه على المعارف حصن — ونداه على المكارم سور
سور النظم إن تلاه بنثر — راق منها المنظوم والمنثور
طائش الراحتين يوم عطاء — وهو في ذاته المهيب الوقور
أنت يا مسند الزمان سماء — القصد سمكا وبحره المسجور
ما هرقت المداد في السطر إلا — ورقاب الإعجاز نحوك صور
إن تكن في الوجود فذا غريبا — لا عجيب أم المعالي نزور
كن بعيدا فوق البروج ارتفاعا — أو قريب المدى فإنا نزور
إن تحل القصور في النثر والنظم — فنظم المحب فيه قصور

المحب الحقير، المعترف بالتقصير، محمد المنوفي، انتهى.

وكتب إلي ايضا ما نصه:

يا عالم الدنيا وقرة عينها — وحياة أنفسنا وجامع شملها
إن شرفت قدماك مجلس أنسنا — ومديم راحتنا وطارد جهلها
أنقذت من أسر التطلع مقلة — ترنوا إليك وعدتها في أهلها
يا روضة الاداب هجر وقتنا — فاذن لنا كي نستظل بظلها
لا تعدم اللذات إن وافيتنا — من طعمها أو ريحها أوحملها

المؤلف يخاطب أحد الإخوان واسمه عبد العزيز

وقلت أخاطب أحد الإخوان واسمه عبد العزيز

يا من لمصر المجد هو العزيز   وفاتحا حصن المعالي الحريز
وحائز السبق بشأو الندى   ومن بغايات الآماني يجيز
يا كنز إرشاد لأهل النهى   ومطمح الأنفس ممن يميز
لازلت تسمو في مراقي الهدى   مطول السعد تفوق الوجيز

المنوفي ينشد المؤلف لنفسه

وأنشدني لنفسه الأفندي المنوفي المذكور أعلاه حفظه الله

لا تزدني عن نسبة شرفتي   بعدما أصبحت علي شعارا
واتخذنـــي صنيعـــة لأياديك   التي سيبها يباري البحارا
واغرس الجود في أراضي لهاتي   تجن قبل الإثمار منها الثمارا

والمذكور الباع المديد الطويل في النظم، وقد ذكرت من كلامه في هذا الكتاب، جملة متفرقة[1].

تقريظ أحمد الصديقي على كتاب الشرنبلالي

/69/ بالحظ الوافر[2]، ولحظ من الله بمزيد اللحظ الباهر، اللوذعي الفاضل، والنحرير الألمعي الكامل، الشيخ العمدة، والهمام العدة، المشهور بالفقاهة والفطن، والمعروف بالنباهة واللسن، الشيخ حسن الشرنبلالي الحنفي[3]، عامله الله بلطفه الخفي الوفي، فقد وفقت للوقوف على ما أبرزه في هذه الحاشية الموشحة أردانها، بأنواع البدائع المطرزة برودها، بأصناف الصنائع النصائع، من الحكم الزواهر، والبدور السوافر، والفوائد المهمة، والفرائد التي أزالت من الشك مدلهمه، فقلت سبحان الملهم، وأمعنت النظر فقلت الحمد لله المنعم، وأجلت الفكر

---

[1] في ص: 130 ، وص: 134، وص: 148.

[2] بداية مبتورة وهو ما يتضح من سياق الكلام، سواء فيما يتعلق بإشارة المؤلف إلى الموضوع كما دأب على ذلك أو تقديم المقرظ نفسه لصاحب الكتاب.

[3] حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي (994-1069هـ) من بيت من بني الوفاء المصريين أصيل المقـري، مـن أعـيان الفقهاء وفضلاء عصره، ومن أحسن المتأخرين ملكة في الفقه وأعرفهم بنصوصه وقواعد. صنف كتبا كثيرة في المذهب الحنفي، من أجلها هذا الكتاب موضوع التقريظ وهـو حاشـيته على كتاب الدرر والغرر لمنلاخسرو، اشتهرت في حياته وانتفع الناس بها وهي أكـبر دلـيل على ملكته الراسخة. وله أيضا شرح منظومة ابن وهبان، ومتن في الفقه، ورسائل وتحريرات. المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص ص: 38-39.

فقلت سبحان الرزاق، وأطلت النظر فقلت تبارك الخلاق، فعوذتها برب الفلق من شر ما خلق، ودعوت لمؤلفها بالقبول فيما إليه تفوق، وأن يزيده الله علما وعملا. سائلا منه دعوة صدق وإخلاص، بأن يجعل الله لي وله من عقبات العوائق الخلاص، بمنه وكرمه، والصلاة والسلام على من به الفتاح والختام محمد سيد الأنام، وعلى اله وصحبه الكرام على الدوام، والسلام. قال ذلك وكتبه الفقير أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوارث الصديقي[1] المالكي الأشعري سبط أبي الحسن غفر الله له امين، تحريرا في السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة 1036هـ، انتهى.

[تقريظ شيخ الإسلام مولانا الغنيمي حفظه الله]

وكتب في ذلك مولانا علامة العصر، ومحقق مصر، الشيخ سيدي احمد الغنيمي[2] حفظه الله ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، منه الإمداد وإليه الاستناد، الحمد لله المفيض على من شاء من بحر فيضه الدرر، فحلاه بها وزاده بعنايته خلاصة المعارف الوافية الغرر، فجاز بعد أن حاز البداية، حتى وصل إلى غاية النهاية، والصلاة والسلام على سر أسرار الحقائق الإلهية، المبعوث لعامة البرية، محمد المصطفى ذي الأخلاق الفائقة السنية، وعلى اله وصحبه ذوي الهمم العلية، وبعد:

فقد وقفت على هذه الحواشي الرقيقة، الجامعة لتلك المعاني في ضمن تلك الألفاظ الحسنة الرشيقة، فرأيتها قد نظم فيها درر النقول، وما خلت عن المعقول. فأبدى فيها من التراكيب ما انتظم كماله، وارتسم في وجه الدهر جماله، ومد فيها بالنقل الصحيح باعه، وصاغها أحسن صياغة، فهي صنع من حسن حسن زهي بهي بين أهاليه، قرب به المراد الأصلي و[illegible] الكمل من أهل الفضل وذويه، ووضع لم يسبق مثله إليه، وجمع مع فرق ظهر به التمييز فكان تأكيد للاقبال والعطف عليه، وهكذا التأليف في الفقهيات، لا كمن يمحص نظره في العقليات، ولقد أحسن منشيها فيها واستعطف، وأتى بما يستحق أن يحمد عليه بألسن اللسن ويوصف، كيف وقد بذل نفيس عمره في تحصيل العلوم، والاجتماع على مشائخ الإسلام المحررين للمنطوق والمفهوم، حتى زكت معالمه، وطابت شمائله:

---

(1) انظر الهامش رقم: 1، ص: 116.

(2) أحمد بن محمد شهاب الدين الغنيمي المصري (964-1044هـ)، الإمام العلامة، الحجة خاتمة المحققين. انفرد في عصره بعلم المعقول والمنقول، وتبحر في العلوم الدقيقة والفنون العويصة. له عدة مؤلفات منها: حاشية على مقدمة أم البراهين للسنوسي، وشرح مقدمة الشعراوي في علم العربية، ورسالة في تحرير النسب، وغيرها. المحبي. خلاصة الاثر، ج1، ص ص: 312-315

ن عمرا قضي في العلم مع العمل   نعم الزمان ونعم الفعل من عمل

وبالجملة فهي حسنة من حسنات مؤلفها المشار إليه مولانا الشيخ الإمام العامل، الهمام الفاضل الواصل، سليل أولي النباهة والتحرير، مجمع فضلاء النحارير، كنز الطالبين، فخر المدرسين، المتصدي لنفع الطلاب وإفتاء ـمين، الأخ الأعز في الله، المستغنى به عمن سواه، حسن الشرنبلالي الحنفي ـفني، أحسن الله إلينا وإليه، وأدام النفع به، وأجرى الخير على يديه، وجزاه ـه أوفى الجزاء وشكر ووالى لديه نعمه، وغمر وأبقى له ذكرا حسنا وحمدا ـء، سائلا منه ألا يخليني وأولادي من دعواته وقت تضرعاته وإفاداته، قاله ـبه العبد الضعيف وإن لم يكن أهلا لهذا التشريف،أحمد بن محمد الغنيمي ـزرجي الأنصاري الحنفي لطف الله به والمسلمين آمين آمين، انتهى ومن خطه ـه الله، نقلت والله الموفق.

[إنشاد وإنشاء لي]

/70/وقلت أخاطب سلطان الحجاز أيده الله:

من له دولة بالعدل مودودة   أحكامها في الورى ليست بمردودة

ـ مليكا بأقطار الحجاز به   ظلال أمن على الآفاق ممدودة

زين مملكة الأشراف من حسن   يا محسنا ذا عطايا غير معدودة

ـيت تحيي رسوما للعلى درست   وتقتفي سنة للخير محدودة

ـمت في عزة قعساء سامية   ما حركت نسمة في الروض أملودة

اللهم أسل بطاح الكمال بأمطار المنن الربانية، وصل متاح الآمال بأوطار ـح الصمدانية، ونوع مكارم المظهر الكبير، وضوع نعائم العنبر والعبير، وأدم ـ المذاهب السنية بالسنة الزمان متلوة، وأقم صور المواهب اللدنية بمنصة ـن مجلوة، ومشارق الأنافة بالسعود محفوفة، ونمارق الخلافة بإنجاز الوعود ـفة، وأكواب مدام المدائح لأهلها مرفوعة، وأثواب مدام المنائح بمثلها ـوعة، وعرائس التهاني بنيل الأماني مزفوفة، إلى الحضرة السنية الشريفة. ـدة الحسنية المنيفة، والدوحة الشماء التي ظلالها وريفة، والسرحة الغناء التي ـب التفيؤ بها الخطوب العنيفة.

حضرة سلطان الحرمين وأقطار الحجاز، المخصوص بالإكبار والإعزاز. ـ هالة السادة الأشراف، طراز العصابة من بني عبد مناف، سيدنا ومولانا زين ـيضة مولانا الشريف السيد المحسن بن الحسين، دامت دولته بتعاقب الملوين. معروض على مسامعه الساميه، بعد إهداء السلام الذي غيوثه هاميه، أن العبد ـير على العهد مقيم، وأن أشواقه إلى المثول بتلكم الأماكن لا يستوفيها الرقيم.

وقد صدته عن الحج في هذا العام أمور[1]، وفكره بمدح مقامكم السامي معمور. فلا تغفلوه من الدعاء ببلوغ الأمل، وصلاح القول والعمل، وقد سر أهل هـ الأوطان، ما بلغهم من قطعكم جرثومة الظلم التي لا يثبت ببقائها سلطان، فزال ما كان يهجس في النفوس، وانزاح بحمد الله البؤس، وحق لدولة تزينت صدور مجالسها بالعلماء الأعلام، والعظماء الكرام، أن تكون أيامها بالعدل ملتحفة وصروف الدهر بها منكشفة، وما أحق خلافة الأمة بحسن الرعاية، وجميل العناية، هذا وقد حمد الخاص والعام كون نظركم الشريف ملاحظا في المشورة أمر جدكم المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقد حبا الله لدولتكم شيخ الإسلام الناصح في النقض والإبرام، مفتي بلد الله الحرام، الشيخ عبد الرحمن بن عيسى الخطيب الإمام، فهنيئا لها بالخلوص في خدمة ذلكم المقام، والله يحرسكم بعينه التي لا تنام، كتب عن عجل يوم الخميس الثامن والعشرين من شوال سنة 1035 هـ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله و صحبه وسلم تسليما كثيرا.

رسالة أخرى إلى سلطان الحجاز من المؤلف

وكتبت إلى المذكور صدر رسالة لم تحضرني الآن ما صورته:

ان لاح برق من نواحي نجد — لم استطع كتمان سر الوجد
وإن جرى ذكر الحمى وحاجر — جرى عباب الدمع من محاجر
وانتقضت من صبري المباني — عند ادكار المنحنى والبان
وإن تغنى بالحجاز الحادي — أضرم زند الشوق في فؤاد
يا من لصب يشتكي طول النوى — يرجو سماح دهره بما نوى
قد شاقه الحادي إلى أم القرى — يزجي المطايا غير وان في السرى
يعتسف البيداء والمهامه — مستيقظا بالعزم من اوهامه
سقى الغمام معهد البطحاء — وكعبة الآمال والأنحاء
والركن والحطيم والمقاما — وزمزم الذي شفى السقاما
والمروتين مع منى وعرفه — والمشعر الذي اهتدى من عرفه
والزاهر المزهر بالأماني — والحجر مأوى الحر والأمان
يا ليت شعري والمنى وعود — هل يرجع الوصل وهل يعود
واغتدى فيها كحالي الماضي إذ — طرف صرف الدهر ذو اغتماض
وثغر إقبالي ذو ابتسام — وقد حظيت بالمنى الجسام
أيام أسحب ذيول الطرب — مبلغا من كل قصد اربي
مؤمنا من سائر النوائب — وقد تخلصت من الشوائب

[1] أنظر ص: 244.

ضير فكري قد غدا مغردا | بمدح من حاز العلى منفردا
ـنين طـــه خاتم الرسالـــه | رب الندى والباس والبساله
ضـــوء الهـــدى السامـــي | على اعلى شرف نيل الندى الطامي
فمن شاء اغترف السيدالهمام حامي | الحرم المحسن المفضال طود الكرم
ابن الحسين الهاشمي ابن الحسن | من عدله اوى الى الجفن الوسن
ـسان عين المجد منصور العلم | ممدوح أرباب السيوف والقلم
ـكره قد طابت الأرداف | ومدحه وجه الدنى يزدان
ـ واحدا زكا به فخر العرب | وملجأ اللهفان في نيل الأرب
ـ طيب الأخلاق والعناصر | عذرا فباعي في المديح قاصر
وما تركت باختياري لثما | بساطك السامي المزيح اثما
لكنها الاقدار في ذا العام | قد حكمت بما اقتضى مقامي
ومذ تأخرت عن الأعتاب | وجهت عذري راجي الإعتاب
وليس يا هدية غير الثنا | على حلى علاكم البادي السنا
وما بغيره يدي استقلت | ولو بذلت مهجتي لقلت
لازلت سامي الذرى طول المدى | ونلت أنواع الأماني سرمدا
بجاه جدك الرسول المرتقى | افضل من جاء بوحي واتقى
عليه أزكى صلوات طيبة | غيوثها بكل خير صيبة
وآله وصحبه ذوي العلى | ومن تلا ممن زكت منه الحلى
ما سار نحو مكة ركب وما | أيقظ حاد بالحجاز نوما

المؤلف في غزّة

وقلت بغزة المحروسة سنة 1029هـ

اقبل السعد في جيوش التهاني | بلواء البشرى ونيل الاماني
واتى غزة وخيم فيها حيث | مغني الندى وثيق المباني
اذ للوز الرياض بيض قباب | وبساط الأزهار ذو الوان
وخيول السرور ذات مراح | واستباق في حلبة الميدان
ودروع الأنهار قد زردتها | كف ريح في غاية الإتقان
ورؤوس الهضاب قد عممتها | يد سحب فحسنها ذو افتنان
وقيان الأطيـــار غنت بسجع | هاج شوق العشاق من أصبهان
وغواني الغصون ذات تثن | ولآلي الانداء حلي الغواني
وثغور الاقاح ذات ابتسام | لقدوم الربيع خير زمان
أذكرتني عهودها ارض غرب | والمغاني للصب فيها معاني

وهي طويلة

من أوليات نظم المؤلف

وقلت من قصيدة:

لاح برق من جنب الأبرقين	فجرت أدمعي من المقلتين
وتغنى الحادي بأخبار نجد	فذكرت العهود بالرقمتين
وسرى الركب يعسف البيـــد	فازددت اشتياقا للبيت والمروتين

ولم يحضرني منها سوى ما ذكر، وهي من أوليات نظمي ومما لا أستجيده والأعمال بالنيات والله يبلغ القصود والأمنيات.

المؤلف يزور مدرسة أولاد الإمام بتلمسان

ولما قدم علينا حضرة تلمسان، الفقيه سيدي علي بن محمد بن علي ابهلول[1] في حدود سنة 1010هـ، ذهب معنا في جملة من العلماء والأعيان من أشياخنا وأصحابنا إلى المدرسة الشهيرة الصيت بالمغرب المعروفة بمدرسة أولاد الإمام[2] فسرحنا النواظر في محاسن المدرسة المذكورة، وطفنا على رسومها الباقية حتى وصلنا خزانة الكتب المشهورة فألفيناها بيابا خاوية على عروشها وقد ملئت بالزبل. فقال سيدي علي المذكور مستجيزا للجماعة:

خزانـــة للكتب مملوءة	بالزبل في مدرسة ابن الإمام

فقلت مجيزا له بديهة وأنا إذ ذاك صغير السن:

---

(1) مـــن فقهـــاء الجزائر العثمانية، وصفه الفكون بأنه من أحبابه، وله معه أخوة صادقة ومراسلات كثـــيرة، وأنه فطن لقن، وصاحب شعر كثير وفصاحة وفهم، وله إنشاءات شعر كثير. ولم يذكر تـــاريخ وفاته، وقد رثاه بقصيدة بعث بها إلى أخيه عبد الرحمن، أما والده محمد بن علي أبهلول المجاجـــي (ت 1002) فهـــو صاحب زاوية مجاجة المشهورة، وهو الذي ألف في شأنه العربي المشـــرفي كـــتاب ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة. عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ج1، ص ص: 440-449.

(2) أول مدرســـة تأسســـت بتلمسان الزيانية على عهد أبي حمّو موسى الأول (707-718هـ) أمر ببنائها في أول عهده وعيّن للتدريس فيها الأخوين عبد الرحمن وعيسى ابني الإمام. ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ج7، ص: 463.

وذلك يقضي أن أرجعها ... لم يبق غير فضل ...

فلما انصرفنا إلى المحل الذي كان به، كتب إلي قصيدة طويلة في البحر ... وأجبته عنها، ولم يحضرني الآن شيء منها، لأن ذلك كله تركته ...المغرب، والله المستعان.

رسالة المؤلف إلى المقدم أحمد النقسيس

/72/الحمد لله، ومما كتبته بالمغرب إلى المجاهد المقدم أحمد النقسيس[1] بما ... لي من الغرض، ما صورته:

الحمد لله وحده، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. المقام ... أينعت غصون جهاده وأورقت، وأضاءت شموس رباطه وأشرقت، ... اضطرمت نيران باسه على أعداء الدين فأحرقت، النبيه الأنجد، الوجيه الأمجد، ... ثغر المرابط الرئيس، إنسان عين الزمان المقدم أحمد بن عيسى النقسيس، ... الله لجلالكم من السعود ما لا يخالطه تدليس، وأدام للمسلمين وجودكم ... على إعلاء كلمة الله في الارتحال والتعريس. سلام عليكم واضح ... نسمات، مشفوع بالرحمة والبركات، متأرج النسمات، أوجبه إليكم بعد السؤال ... جملة أحوالكم السنية، والسلام على الأنجاد الأمجاد أولادكم أقر الله بهم ... الإسلام وبلغكم فيهم غاية الأمنية.

إعلامكم بأن الوزير الحاجب الأسمى القائد بن عمر، حصل بينه وبين سيده ... السلطان نصره الله، بعض ما يقع كثيرا مثله بين الخادم والمخدوم، ... اقتضى النظر السلطاني تأخيره عن ثغركم[2] الذي نظيره في الجهاد معدوم، ولم ... أيده الله يرتاد من أعيان خدامه من يسدّ ذالكم الثغر كما يجب، ويقوم ... فروض الجهاد الذي أنوار شمسه مع وجودكم لا تحتجب، فلم ير لذلك أعظم ... أوحد البيت، الذي أسست قواعده وزكت مساعيه ومصاعده، القائد النبيه ... وارث الرياسة عن جده وأبيه، المبلغ إن شاء الله كل أمل مرقوب، القائد يعقوب ... محمد بن يعقوب، وأخيه ذي الأخلاق الحميدة، والخلال الجميلة العديدة، ... الخصال التي طرقها سديدة، والشجاعة التي شكيمتها في جهاد العدو قوية

---

[1] ... أبو العباس أحمد بن عيسى النقسيس التطواني، زعيم الفئة الجهادية على عهد السعديين. ينتمي إلى بيت من بيوتات المغرب، عرف رجالها بالشجاعة والنجدة في قتال العدو. وهو ممن ثار على عبد الله بن الشيخ صاحب فاس سنة 1028هـ. قضى عليه مولاي الرشيد العلوي. الناصري، الاستقصا، ج2، ص ص: 119-120 وج3، ص: 36.

[2] يريد ثغر تطوان.

شديدة، والعزمات الجديدة، والشوكة الحديدة، ذو الحياء الظاهر، والغصن الباهر.
القائد أحمد المدعو حدّ بن محمد بن يعقوب بن سعيد، وصل الله له ولأخيه من السعد كل قريب وبعيد، وأعانه على قتال أعداء الدين وفتح له فيهم حتى يعود.
بوجودكم وإعانتكم له عز الإسلام غضا وكل أيامه إن شاء الله عيد، ولا يخفاكم حفظكم الله أن بيتهم أكبر بيت في المغرب، وإنهم كانوا معظمين عند بني مرين وزادهم موالينا الشرفاء من التنويه والمصاهرة ما يبين عن مجدهم ويعرب.

وقد اقتضى نظر من بهذه الحضرة من الأعيان، الكتب إليكم في هذا الغرض الذي لا تحتاجون فيه إلى زيادة بيان، علما من الجميع أنكم من أعرف الناس بهذا البيت العظيم البناء، الواسع الفناء، وستشاهدون إن شاء الله من مصداق ذالك ما يصحح هذه الدعوى ويقويها، ويشبع بيض والأسد من دماء أعداء الله ويرويها، وقد أوصى الأعيان المذكور بملاحظتكم بعين الإجلال، والوقوف عندما تشيرون به من التفصيل والإجمال، لأنكم المقتدى به في حسن السياسة وترتيب أمور الرياسة، فالتزم ما اشترط عليكم من ذالك، وحلف أن يسلك مما فيه رضى الله ثم رضاكم أحسن المسالك، فثقوا بهذا الأمر الوثيق العرى، وعند الصباح يحمد القوم السرى، ولولا حصول اليقين بأنه يقدم بالجهاد، ويزين من ذالكم الثغر الهضاب والوهاد، لم يقع الاعتناء بشأنه، ولم تسمع أصوات بلبل روضه وورشانه، لكن هذا غرض ديني تجب المسارعة إليه، من أهل الدين الذي عاد غريبا، فإن صدقت المخيلة وهو المعتقد لم يكن الناصح المشير مريبا، فتلقوا أسماكم الله هذا باليمن، وشدوا عليه يد الضنين، واقصدوا الخير حيث كان ويمموه، واعملوا بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه"[1]، وافتلوا حبل الجهاد وأبرموه، فقد طرق الأسماع استعداد العدو خذله الله وأذله، ولا يعتمد الآن على غيركم في الجهاد من أهل الملة، والله يعينكم وينجدكم، ويبقي دفاعكم، ويطيل سموكم وارتفاعكم، ويسلم عليكم الأعيان وقد كتبوا لكم وهم مهتمون بشؤونكم، في الورد والصدر، والسلام، من مُجلّكم الأكبر الشاكر الذاكر أحمد بن محمد المقري، يوم الجمعة 21 رجب سنة 1025 هـ، والسلام على كافة أعيان تلكم الحضرة،داموا في سرور ونضرة.

المؤلف يتشوق إلى المشاهد الشريفة

/73/ الحمد لله، هذه قصيدة نظمت بعضها بالمغرب وأكملتها بالمشرق، وسبب أصل نظمها، أننا كنا نقرأ في شفاء عياض، حيث قال في كلام الضب إنه

---

[1] أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الأدب، رقم الحديث: 3712،ج2، ص: 1223 – والطبراني في الصغير والأوسط، رقم الحديث: 669، ج2، ص: 12.

حضب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: يا زين من وافى القيامه"، فقلت
لأصحاب: ان هذا متزن فلو نظم على قافيته ووطئ له، فقالوا: نعم، ثم نظمت
وعرضتها عليهم، فنظم بعد ذلك صاحبنا أبو الحسن علي الشامي، وأخذ كثيرا
من قصيدتي حسبما يظهر بالتأمل، وحديث الضب المذكور ادعى كثير وضعه
وبعض ضعفه والله أعلم[1]. وهذا نص القصيدة المذكورة وكنت حين نظمتها كثير
الشوق إلى المشاهد الشريفة ثم حصل الوصول إليها ولله الحمد:

برق أضاء من أرض رامه	بجوانحي أذكى ضرامه
وأفاض نهر مجد جري	وأثار من قلبي غرامه
وأباد شمل تصبري	وأبان من سري اكتتامه
شوقا لأيامي التـــي لم	أخش فيها من ملامه
ومعاهدي مـــــع جيرة	نال النزيل بهم مرامه
أيام امر بالمنى دهري	فيظهــــــر لي ابتسامه
وينيلني مـــــا ارتضى	ويدير بالبشرى مدامه
والقرب سالم طائعا	والبعد لم يسلل حسامه
سفيا لها لو لم يفوق	نحوها بين سهامه
أترى لها من عودة	تبرى من المضني سقامه
يا سعد هل من مسعد	لمتيم يشكو هيامه
صب تقســـم أمره	بين الترحل والإقامه
حيران ان ذكر الحمى	كاد الجوى يقضي حمامه
وتهزه الأشواق ان	صدحت على فنن حمامه
وإذا جرى ذكر العقيق	وحاجر أبدى اهتمامه
وإذا شدا حادي السرى	مترنما قوى اعتزامه
يا زاجر البزل الضوامر	يعسف البيدا أمامه
رفقا بمن لم يستطع صبرا	ولم يمسك زمامه
من هام من حب لسعدي	أو للبنى أو أمامه
لكن يهيم بطيبـــــة	مغني المظلل بالغمامه
المنتقى من معشر إنس	وأندى كعب بن مامه
طـــــه إمام الأنبياء	وأعز من وفى ذمامه

[1] حديث الضب الذي خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. اخرجه الطبراني في الأوسط والصغير، وابن عدي والحاكم في المعجزات، والبيهقي وابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. كما روي من طرق اخرى عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما. قال ابن دحية: انه موضوع، وقال القسطلاني: إنه ضعيف. الخفاجي، نسيم الرياض، ج3، ص: 74 – الاصبهاني، دلائل النبوة، هامش ص: 376.

واجل من لبس النعال ... وخير من لاث العمامه
وله إذا جمع الورى ... في موقف الحشر الإمامه
ونه الشفاعة والوسيلة ... والفضيلــــة والكرامــــه
وله مقام الحمد يحمد ... فيه من أسمى مقامه
فيقول سل تعطه وقل ... فيسمع ويوليه احترامه
وله من الآيات ما ... أضحى على صدق علامه
فالبدر شق لأجله ... والجذع أسمعه كلامه[1]
والضب أفصح قائلا ... يا زين من وافى القيامه
ولكم له من خارق يعيي ... الذي يبغي نظامه
يا خير خلق الله دعوة ... مذنب بادي الندامه
من مغرب وافى إليك ... عليك قد وقف اعتيامه
يرجو اللحاق بروضة ... نصب الكمال بها خيامه
في طيبة الغراء في ... كنف السعادة والسلامه
حيث الأماني والأمان ... ولا ملال ولا سئامه
حيث النبوءة والرسالة ... والهدايـــــة مستدامـــه
ياليت شعري هل لظام ... مورد يشفي أوامه
من سنسل يروي فيروي ... من مسلسله انسجامه
عن عينها الزرقاء لا ... عن عين زرقاء اليمامه
يا مصطفى الرحمن مدحي ... في علاك جعلت لامه
من كل ما يخشى وما ... قد كاده عاد وسامه
والمقري العبد أحمد ... هو يسألك استقامه
فامنحه ما قد رامه ... وامنعه ما خاف انتقامه
وعليك من رب أجل ... صلاته تتلو سلامه
والآل والصحب الكرام ... وتابع يرجو اغتنامه
ما غردت في أيكها ورق ... وما انفتحت كمامه
أو ما أتاك مؤمل ... فأتيح بالحسنى ختامه

---

(1) حديث انشقاق القمر، أخرجه مسلم في صحيحه، ج 8 ، ص: 133، والترمذي في سننه تحت رقم 2183 وقال: حسن صحيح.
وأمــا حديث حنين الجذع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخرجه البخاري في صحيحه من طريق خلاد بن يحي، فتح الباري، ج5، ص: 222 – وابن أبي شيبة في المصنف تحت رقم: 11797، والطبراني في الأوسط.

/75/ الحمد لله، وقلت:

مغني الحمى حياك خير مزن　　وحزت أفراحا بغير حزن
لا برحت مطمح الامال　　وصافحتك نسمة الشمال
عطرة الأردان والأذيال　　وأمنتك صرفها الليالي
ـعدت ساحتك الأكدار　　وساعدت ساعتك الأقدار
فيك يا معنى الهوى أوطاري　　قضيتها بروضك المعطار
ـ تبوأت أجل منزل　　منها وأشجان النوى بمعزل
ـفـ حظيت بالمنى الجسام　　عفوا وثغر الدهر ذو ابتسام كنت لا
ـنت ما املته من مقترح إذا　　أدري لعزي ما الترح
في حضرة باكرها النسيم　　وراق حسنا وجهها الوسيم
في ظل أمن وهواء لدن　　يذكر ذا التقوى نعيم عدن
ورق قد ترنمت بالعود　　وهينمت باليمن والصعود
نجو في بشر وفي إشراق　　والغصن يزهى في حلى الأوراق
زهر حيا زاكي الأوصاف　　والنهر لاقانا بقلب صافي
شمل مجموع بمن أهواهم　　والفكر لا يبغي بهم سواهم
فـ تكن نات بي الأيام　　عن حيهم واعتادني الهيام
فس ذاك عن قلى أو جفوة　　أو ملل مني نهم أو هفوة
لكنه الدهر يشوب صفوه　　بغيره ويستقيل عفوه
طالما عادى برد إذ وهب　　وربما عاد بعبد قد ذهب
كل شيء بقضاء وقدر　　وأي ورد لم يكن عنه صدر
ـ من صب يشتكي طول النوى　　يرجو سماح دهره بما نوى
تيم مضنى كئيب عان　　تهفو به الأشواق للأظعان
ـ لاح برق من نواحي نجد　　لم يستطع كتمان سر الوجد
بتذكار المنحنى والبان هد　　من الصبر أساس المباني
ـ جرى ذكر النقى وحاجر　　جرى عباب الدمع في المحاجر
ـ شدت في أيكها حمامه　　شوقا أثار سجعها اهتمامه
ـ تغنى بالحجاز الحادي　　قضى على العشاق باتحادي
ـ حادي العيس لدى المعاهد　　وواصل السير إلى المشاهد
عتسف البيداء والمهامه　　مستيقضا بالعزم من أوهامه
زجي المطايا غير وان في السرى　　لا يختشي فقدا ولا تعسرا
ـلله حي الجيرة الكرام　　وصف لهم شوقي أو الغراما
وما اعترى من شجن لبعدهم　　وما أصاب من جوى من بعدهم
فليس يسلو عنهم المعنى　　وإن عنى من بينهم ما عنى

وشنف الأسماع من أخبارهم فالقلب مجبول على إكبارهم
وحي أكناف العتيق أو قبا وشم بروق الخير في تلك الربى
واستطلع الأنوار من ذاك السنا فما ترى هناك إلا حسنا
يا ليت شعري والمنى سعود هل تنجز العود لهم وعود
وأغتدي معهم كحالي الماضي إذ بارق الإقبال ذو إيماض
أيام جررت ذيول الطرب مبلغا من كل قصد إربي
مؤمنا من سائر النوائب وقد تخلصت من الشوائب
وطير أفكاري غدا مغردا بمدح من حاز العلم منفردا
طه النبي الهاشمي المنتقى أجل من جاء بوحي وارتقى
المصطفى من قبل خلق آدما ملاذ من يأتي ومن تقادما
ذو الحوض والشفاعة المكررة والفضل والمآثر المقررة
أفضل خلق الله طرا أحمدا من خلدت آياته طول المدى
من أنزلت في حقه الآيات من كملت من خلقه الغايات
من اطلع الله به الأنوارا فعمت الأنجاد والأغوارا
76/ من أذهب الحق به الضلالا من بين الحرام والحلالا
من أظهر الرب به دين الهدى من تمم الله به التشهدا
من باعد الأدناس والعيوبا من شاهد الأسرار والغيوبا
من جمعت في ذاته المحاسن من أورد العفاة غير آسن
من خص بالتقريب والأسماء من ربه في ليلة الإسراء
من نال أجرا ليس بالممنون من حققت أمداحه في نون
وما عسى أثني على علاه من بعد ما أثنى عليه الله
يا مصطفى الله من الأنام دعوة عبد ذي اشتياق نام
هيمان في أموره قد حارا قاسى النوى والبيد والبحارا
حركه الشوق إلى أماكن تشرفت إذ أنت فيها ساكن
فاشفع لعبدك الفقير المقري فمن أجرت ليس بالمحتقر
وامنحه ما يرجو من المعروف وامنعه ما يختشي من الصروف
وإن تكن بمغرب دياره فما بغير طيبة اختياره
عليك أزكى صلوات طيبة غيوثها بكل أجر صيبة
وآلك الأطهار والصحب والآلي حازوا العلا مع من تلاهم في الحلى
ما سار نحو طيبة ركب وما أيقظ حـــاد بالغناء نومـــا
وما بكى داع وأبدى المكتتم ففاز بالزلفى وحسن المختتم

المؤلف يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

وقلت[1]:

جادك الوسمي يا مغني السعود ... وحباك الدهر إنجاز الوعود
فلكم نلنا بك الآمال في خفض ... عيش ليت شعري هل يعود
ويزيح الوصل آثار النوى ... ويزيل النوم أشجان الهجود
يرعى الله زمانا باللوى قد ... وردنا عذبه الصافي البرود
فلكم أوردتنا صفو الهنا ... فانثنينا بالمنى غب الورود
وحظينا منه بالوصل على رغم ... أنف من رقيب وحسود
واختلسنا فرصة العمر وما ... أخطأت أشراكنا الصيد الشرود
وغدا الشمل بمن نهواهم ذا ... انتظام كاللآلئ في العقود
في ليال قابلتنا بالرضى ... أذكرت حسنا لجنات الخلود
في رياض إن شدت أطيارها ... فوق أيك تنثني منها القدود
ذات أنهار تروق الطرف قد ... أتقنت أيدي الصبا منها الزرود
وبطاح فاقت الوصف سنى ... طرزت كف الحيا فيها البرود
وبروحي جيرة حثوا السرى ... يطلبون القرب من تلك العهود
خيموا بالمنحنى من أضلعي ... وتداعوا يوم بانوا بالصدود
فبذكري عهدكم نار الغضا أججت ... في القلب وازداد الوقود
وارحموا صبا كئيبا مدنــفا ... نازحا مضنى شجيا ذا هجود
ما له في شجوه من مخلص غير ... مدح المصطفى زين الوجود
أحمد المختار في العلياء من ... خير آباء ومن أسمى الجدود
خير من جاء بوحي أو هدى ... أو أتى الخلق بتبيين الحدود
من له التقديم في خلق ومن حاز ... خصل السبق في فضل وجود
من به الرحمن أسرى للعلى ... حائزا في حضرة القدس الشهود
من به الأكوان نالت مأربا ... من به الأغوار سرت والنجود
يا رسول الله يا من جاءنا عنه ... في التنزيل أوفوا بالعقود
اشفع اشفع للفقير المقري يوم ... جمع الخلق من بطن اللحود
فهو ذو ذنب ولكن يرتجي من ... كريم عفوه يوم الوفود
وعليك الله صلى وعلى آلك ... الراقين في أوج الصعود
ما سرى ركب إلى طيبة أو ... غنت الورقاء في روض بعود
أو أتيح الختم بالحسنى لمن ... كمل الله له كل القصود

---

[1] ـظر القصيدة الأخرى في ص: 56، وما فيهما من تكرار لبعض الأبيات.

المؤلف يكتب إلى محمد المنوفي

/77/ وقلت:

ما روضة غناء باكرها الحيا	فوشى بها حللا ذوات صنوف
وكسا الغصون غلائلا فتأودت	منها القدود للطفها الموصوف
وتطيبت أردانـــــها وتزينت	آذانها من زهرها بشنوف
والطير تصدح كالقيان لما طربت	تسلّي الشجى بشدوها المألوف
ويد الصبا خطت بنهر أسطرا	وفي الغمام لها بنقط حروف
والجو أسفر عن محيا باسم	يقضي بمأمول وأمن صروف
يا أجل أو أبهى سنا من وصف	من حاز العلى والمجد فخر منوف
لا زال في حلل السيادة رافلا	فردا يعد من الورى بألوف

ويكتب إليه شفاعة في شاهد اسمه صالح:

وكتبت إليه شفاعة في شاهد اسمه صالح، رام أن يرجع إلى الشهادة بين يديه في القسمة وقد كان عزل عنها، بقولي:

يا كاملا رفلت مفاخره	بأذيـــــال احتســـابه
يا أوحد الدهر الذي	شرفت منوف بانتسابه
منكم أروم لصالح	عود الشهادة لاكتسابه

وبحرمة الود لا تجعل مكان العود الرد، فإن العود أحمد، وكتب الفقير الشاكر أحمد، انتهى.

قصيدة المؤلف على لسان بعض أصحابه

وكتب بعض الأصحاب وقفا لرسول صاحب مكة المشرفة القادم على مصر محمد بن بهرام[1] سنة 1034هـ، وطلب مني أبياتا على لسانه يذكر له فيه الغرض، فقلت:

قد قضت باعتلائك الأحكام	يا رئيسا سما به بهرام
وأتى السعد رافلا في ثياب	لك يعنو والأمر والإبرام
خاتم قد تعدد الوفق منه	واسمكم فيه ثغره بسام
فيه سبع من المعادن دلت	إنك المفرد الأعز الهمام

---

(1) محمد بن بهرام الشريفي أحد خدام محسن بن الحسين شريف مكة وسلطان الحرمين ورسوله في المهمات. المحبي. خلاصة الأثر، ج 3، ص: 310.

وتوالت أسراره وتسامت بسعود بها ينال المرام
قد تحريت فيه وقتا سعيدا بشروط جاءت بها الأعلام
وهو عز وهيبة وارتقاء وبقـــاء ودولـــة تستدام
فهنيئا بنيل سر مصون فيه أمن وصولة واحترام
وعلو وحظوة وسرور في ذرى دولة نمتها كرام
دولة محسنة لك فيها من مزاياه ذروة وسنام
دمت فيها مبلغا كل قصد ما تغنى الحادي وفاح البشام
وسرى الركب للحجاز ولا هادي إلى أشواقه والغرام
وأناخ الركبان في خير أرض حلها المصطفى الرسول الإمام
فعليه الصلاة أزكى صلاة مع آله وصحاب من آله تحية وسلام

المؤلف يجيز الفقيه محمد بن نور الدين الرشيدي

وقلت:

أجزت الوحيد اللوذعي محمدا أجل فقيه ينتمي لرشيد
جميع الذي أرويه عمن لقيت من شيوخ بنوا[1] للعلم كل مشيد
وذاك ابن نور الدين لازال في الورى يؤم بنثر يرتضي ونشيد

وقلت:

لازال ظلا على الزمان ونال ما شاء من أماني
وحيث حلت له ركاب يصحب بالنصر والأمان[2]

ويخاطب ابن مرشد مفتي الحرمين

وقلت أيضا من رسالة لم تحضرني الآن مخاطبة لمفتي الحرمين:

أجل إمام نال في الفضل ما ابتغى وزاد على أوصاف منش ومنشد
خطيب بليغ مرشد ذو هداية ولا عجب في ذاك فهو ابن مرشد

---

[1] في الأصل: بنو.
[2] انظر البيتين في ص: 76.

وقلت فيه:

أي الطروس أجيد فيه مديحا ... لمقام من حبي المنى وأتيحا
أم أي لفظ انتقي لخطابه ... والفضل يروي عن علاه صحيحا
هو عالم الدنيا وناظر عينها ... ولباب أرباب الكمال صريحا
ومحط رحل الطالبين وطالما ... سلكوا للقياه المهامه فيحا
مفتي الأنام بمكة وإمامها ... وخطيبها المعطى المقال فصيحا
ذاك ابن عيسى عابد الرحمن ... من نفي العتا بوجوده وأزيحا
العالم العلامة الفرد الذي ... أضحى به وجه العلوم صبيحا
لازال محروسا بعين عناية ... ومجاله في الخافقين فسيحا

المؤلف يمدح رجلا اسمه عثمان

/78/ وقلت:

اجل مجدك أن أنمى لنسيان ... لحقه طول أزماني وأحياني
وكيف أنسى هماما حاز خصل على ... وذكره زاد إنعاشي وأحياني
فإن يكن عاق عن كتب إليه كما ... في علمه شغل فكر كان أعياني
فاليوم قد زال ما كابدت من شجن ... ومن باللطف والإسعاد زياني
وإن تكن سبكت أيدي القريحة ... في مديح علياك ما يزري بعقيان
فذلك المجد لا تحصى مآثره ... والذكر والترك في التقصير سيان
فيا سر اللواء عثمان دمت ترى ... مع نجلك المرتضى أعيان أعيان
بجاه طه الذي ساد الورى شرفا ... وقد أراهم هداه خير أديان
عليه أزكى صلاة مع صحابته ما ... هب روض الرضى منه فحياني

ويرمز في موانع الهبة

وقلت:

لما تذكرت مع المولى العلي ... الصدر إسماعيل ذو الفضل الجلي
مسائلا من مذهب النعمان ... ألفيتــــه كالروح للجثمـــــان
يظهر من كنز العلوم دررا ... بها الهداية تلوح غررا
وقال لي قد تضبط الأحكام ... بالرمز عند من له أحكام
وقد أتى بجملة من رمز ... في الفقه عدة كما في الكنز
وبعد ذا سأل مني نظم ما ... في مانع الهبة عند العلما

فقلت والعذر لمثلي ناصر ... لأنني عن العلوم قاصر
موانع الهيبة عند من فقه ... يجمعها قوتك دمع خزقه
فالدال رمز للزيادة وسم ... والميم موت وأحدكما رسم
والعين للعوض والخاء إلى ... خروج ملك عنه نلت المؤملا
والزاي للزوجية المقررة ... والقاف للقرابة المحررة
والهاء للهلاك دمت سالما ... تبدي لطلاب العلى معالما

تبرك المؤلف بالشمع والكسوة النبوية

وقلت على لسان حال الشمع النبوي:

أنا من شمع حجرة حل فيها ... سيد الخلق من بني عدنان
عند وجه الرسول كان مقامي ... في ليالي السعود من رمضان
فهنيئا لمن تبرك مني بالتثام ... ينيـــل أقصى الأمـــاني
وعليه الصلاة والآل والصحب ... مع التابعين بالإحسان

وقلت:

إنني طيب تشرفت ... بخيـــر العـــالمينا
وذكا عرفي لديه ... فغدا فضلي مبينا
وتجاه الوجه منه ... طاب عرفي فيه حينا
وأنا بشرى لعبد ... حسن الفعل يقينا
وعلى طه صلاة مع ... صحـــاب أجمعينا
ما سرت نحو حجاز ... رفقة تبدي حنينا

وقلت:

أنا من كسوة قبر المصطفى ... من أتانا بالهدى من هاشم
بركاتي ظاهرة للورى ... فلبرق المنى منها شم

وقلت:

إنني من كسوة كانت على ... قبرة فيها النبي الهاشمي
فلسحب الخير من أفقي أطلبن ... ولبرق المبتغى منها شم

وقلت:

إنني من كسوة كانت على قبة فيها الرسول المنتقى
فليضعني فوق رأس حاملي يك ممن نال سعدا وارتقى

إجازة المؤلف لمحمد بن نور الدين الرشيدي[1]

وقلت:

هذا الكتاب به الأسلاك تنتظم وثغره عن علوم الشرع مبتسم
فيه أجزت الرشيدي الذي بهرت خلاله الأوحد الدراكة الفهم
محمد نجل نور الدين سيدنا من فضله في جبين العصر مرتسم
ما أخذت عن شيوخي من كل العلوم التي تروى وتغتنم
وما كتبت من الأوضاع في عمري نظما ونثرا وبحر العجز يلتطم
اجازة بشروط القوم قد قرنت إذ ذاك أمر شهير ليس ينبهم
ولست أهلا لها والله مطلع لأنني بالخطأ والجهل متسم
وللضرورات أحكـــام تناسبها والله يحفظنا من كل ما يصم
وأحمد المقري قد خط مرتجيا منكم دعاء به الأحوال تلتئم
وكان ذاك بمصر عمرت بهدى وبالصلاة على المختار نختتم
عليه أزكى صلاة لا انتهاء لها مقرونة بسلام ليس ينصرم
والآل والصحب والأتباع ما صدحت قرية برياض ماؤها شم

المؤلف يؤرخ على طريق حروف المغاربة

وقلت على طريق حروف المغاربة مؤرخا:

أشرقت أرجاء فاس بعلى مولى وسيد
غالب بالله فرد بالمعـــالي متقيـــد
مذ حوى ملكا حماه طالع للسعد جيد
فلهـــذا أرّخـــوه مدد الغالب أيّد[2]

سنة 1027هـ

---

(1) هو نفسه الذي أجازه في ص: 149.

(2) بحســاب الجمّل على طريق حروف المغاربة، فإن الشطر الثاني من البيت يعني سنة 1027هـ. لأن الميم=40، والدال=4، والدال=4، والألف=1، واللام=30، والعين=900، والألف=1، واللام=30، والباء=2، والألف=1، والياء=10، والدال=4. والمجموع هو: 1027. والغالب هو أبو محمد عبد الله الغالب بالله ابن محمد الشيخ المأمون، من سلاطين الدّولة السعدية، حكم القسم الشمالي من المغرب الأقصى الذي كانت عاصمته فاس. كان شديد الشبه بأبيه في القسوة والعنف، وهو الذي أذن للمقري بالرّحيل إلى الحجاز وكتب في شأنه رسالة إلى سلطان الحجاز. انظر ص: 51.

إجازة المؤلف للشيخ تاج العارفين العثماني التونسي

/79/ وقلت مجيبا الأخ في الله سلالة الأكابر الشيخ تاج العارفين العثماني التونسي[i] حفظه الله، وقد سأل مني الإجازة وكتب إلي بذلك، وذلك قبل أن يقدم ... سوسة المحروسة:

ـقت لبرق شمت من جانب الخضرا ... أضاء فأذكى الشوق في كبدي جمرا

ـكرني العهد القديم وطالما ... تثير جوى المشتاق للمعهد الذكرى

ـد أنس عهد الضاعنين وغادروا ... متيمهم هيمان لم يملك الصبرا

ـ زاجر الأظعان وهي ضوامر ... ترفق بها بالله لا تكثر الزجرا

ـحي عريب الحي خير تحية ... وبلغ سلام الهائم المغرم المغرى

ـلا تنس سكان العقيق فإنهم من ... العين أجروه دموعا غدت حمرا

ـب باطني حل الغضا منه جيرة وفي ... المنحني من أضلعي جرة أخرى

ـ الله من صب تعبده الهوى ... وبان من الأحباب قد ألف القفرا

ـعى الله خلان الوداد وجيرة ... تنادوا فأبدى الوهم شخصهم فكرا

ـ ليت شعري والأماني كثيرة ... وللدهر أشجان تعاقبها سرا

ـل الزمن الماضي بتونس راجع ... فاقضي من حق الخليل بها نذرا

ـد أنس تاج العارفين وليلة ... بمغناه راقت منظرا وذكت نشرا

عميد ذوي العلياء محمد الرضى ... وحيد أولي التقوى بتونس الخضرا

ـمما شاجني والبلابل جمة خطاب ... أتى من عنده قد حوى شعرا

ـجدد أشواقا واذكر معهدا واهدى ... من السحر الحلال بها درا

ـروم عن العبد الجهول رواية ... ويطلب أمرا من إجازته أمرا

ـست بأهل أن أجاز فكيف أن أجيز ... فكان العجز عن ذاك بي أجرى

ـكن رأيت الأمر يبعد رده فلم ... يك بدّ من إجابته قسرا

ـولا رجائي منه نفع دعائه ... لما كتبت يمناي في طرسه سطرا

ـ واحدا حاز المفاخر جملة ... حنانيك سامح هفوتي واقبل العذرا

ـها أنا ذا قد قلت قول مقصر ... عن أمر جليل ما أحطت به خبرا

جزتك تاج العارفين جميع ما رويت ... عن أعلام الهدى قلا أو كثرا

ـجازا ومقروا وإذنا بشرطه ... وكل الذي لفقته نظما أو نثرا

ـفهرسة الشيخ ابن غازي كفيلة ... بأشياء من مطلوبكم تثلج الصدرا

ـلعبد فيها دمت غير رواية ... أجازك إياها وأتبعها شكرا

---

[i] أبو عبد الله محمد تاج العارفين ابن أبي بكر العثماني التونسي. استمرت إمامة جامع الزيتونة والخطابة في بيته بين بنيه مائة وثلاثة وسبعين.له رسالة إعمال النظر الفكري في تحرير الصاع النبوي التونسي. كان حيّا سنة 1037هـ. محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 293.

وأقرّ بها عن عمنا العالم الرضى ... سعيد جزاه ـة عن نفعنا جر
عن أشياخه من أهل فاس جماعة ... كمثل ابن هارون إمامهم الأدرى
وقد لازم المذكور في الدهر حقبة در ... وس ابن غازي العالم الآية الكبرى
وأضحى إماما مفردا في علومه ... ونال بفاس رتبة عظمت قدر
وللعبد من أهل الفهارس مسند ... كثير وفي ذا الوقت لم يطق الحصر
وفي البعض ما يغني واذكرها هنا ... خصوصا لمنتورهم[1] سندا يجرى
فقد طبق الآفاق إسناد علمه ... بفهرسة بين الورى لم تزل تقر
وعنه روى المواق واحد عصره ... وعدة أشياخ صدور زكوا بحر
حبانا بها القصار عن غير واحد ... كمثل ابن إبراهيم قاسم الأقرى
وهذا عن الدقون أستاذ عصره ... عن العالم المواق عنه كما مر
ومُروى زروق أخذت جميعه ... عن التادلي ابن أبي القاسم الأسرى
عن الشيخ خروفهم عن إمامه ... وحيد الورى زروق من ربح التجر
وكاتب هذا المقري مؤمل من الله ... جل العون والفوز واليسر
وفي صفر من عام عشرين بعدها ... ثمان وألف من سني هجرة تتر
وفي سوسة قد كان رقم برودها ... وقد وقع التصميم أن أركب البحر
فلا تغفلونا من دعائكم عسى نرى ... عن قريب روضة المصطفى الغر
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وآل وصحب قد غدوا أنجما زهر
مدى الدهر ما سار الحجيج لمكة وما ... شيم برق الأنس من جانب الخضر

المؤلف يشكر الشيخ تاج العارفين التونسي على هديته:

/80/ وقلت أيضا في ذلك المغنى والمعنى:

يا حادي البزل الضوامر ... يشدو بذكرى أم عامر
متشوقا ألف السهاد ... فليس يلفى غير سامر
متعودا طي الفلاة ... وشوقه ناه وامر
متحيرا في قصده ... والشوق يغلب أو يخامر
هلا خلصت لتونس ... لترى حمى عين الأكابر
الناصح صدر الرضى ... شيخ الشيوخ ولا مكابر
فهو الذي ورث السيادة ... والعلى عن كل كابر
فالثم مواطئ نعله ... واكحل بمواطنه المحاجر

---

[1] هو الامام العلامة راوية المغرب ومسنده أبو عبدالله محمد بن عبدالملك المنتوري (ت 834 هـ)، له فهرسة كبيرة عظيمة الشأن، والأمالي في الأحاديث العوالي، والمسلسلات، وكتاب الغريب، وتحفة الجليس. الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2، ص: 564.

متبركا بدعائه إذ ذاك شأن ذوي البصائر
يا واحد الزمن الذي بذل الأوائل وهو آخر
لله ما أسديت من منن طمت مثل الزواجر
وبعثت أمس هدية جازاك عنها خير شاكر
واليوم قـــد عززتها بنظيرها والعبد ذاكر
لا يستطيع ولا يقوم بشكرها إذ هو خائر
قد بان عن أوطانه كيما يرى سلعا وحاجر
يا ليت شعري والزمان تنقل والصبر غادر
هل نلتقي في روضة موشية بحلى الأزاهر
أفنانها قـــد أينعت وتمايلت والقلب طائر
وإليك تاج العارفين قصيدة تحكي تماضر
خنساء قد لبست مسوح العي والتشبيه ظاهر
تبكي على صخر الفؤاد وقد قسا والسعي قاصر
فلتمنحوها دعـــوة ألا تبوأ بسعي خاسر
حتى تشاهد مكة وتنيخ في تلك المشاعر
وترى معالم طيبة حيث الهدى يعشى النواظر
حيث النبي محمد خير الأوائل والأواخر
صلى عليه الله ما ذكرت خوارقه البواهر
والآل والأصحاب والأتباع من أهل السرائر
أزكى صلاة حققت حسن الموارد والمصادر

وقلت بعدها بيتين إشارة إلى أن القصيدة من الكامل المرفل:

ألا يا كاملا رفلت مناقبه الجليلة في البرود
مني إليـــك تحيـــة عند الصدور وفي الورود

المؤلف يخاطب سلطانا

وقلت:

يا أيها السلطان فخر الأوان لا تكترث من حال هذا الزمان
فعن قريب فرج عاجل تحظى به النفس بنيل الأمان
ويستقر الملك في دسته منظما نظم سلوك الجمان
وخط هذا المقري أحمد من أهل فاس المغرب وفي الضمان

وقلت بديهة وقد سنح لي أمر:

باح بالأسرار دمعي وشجوني كم أوارى
أشرب المـــــاء على الريق لما بي من أوار

جواب المؤلف على سؤال حول رؤية الله

وكتب إلي بعض علماء مصر بما نصه:

ما قولكم يا أيها الإمام ومن سعت في طوعه الأيام
هل رؤية الله تجوز عقلا وما الطريق بسؤالي نقلا
لازلت مرشدا إلى الصواب يا واحد الدهر بلا ارتياب

فأجبته بقولي:

الحمد لله الذي أبانا لعصبة الحق الهدى برهانا
وصلوات ما تطاول المدى تؤم خير المرسلين أحمدا
وآله وصحبه ومن تلا من كل من لربه تبتلا

وبعد:

فالرؤية أمر ممكن عقلا، ووجه ما ذكرنا بيّن، إذ طلب الكليم[1] قد دل على هذا، وبالعصمة نوره انجلى، ولو عذت محالة ما جهلا أمورها، ولم يكن مبتهلا بقول: "رَبِّ أَرِنِي"[2] والآية في سورة الأعراف للهداية، وفي الأحاديث، "ترون الله غدا"، وكم من صاحب رواها، والطرق بالمعنى تواترت كما قرره المحققون العلماء، وقوله: "كما ترون القمرا"[3]، فيها مفسر بما تأخرا، من عدم الرحمة لا غير. وقد ثبت في حق الله المعتقد، وأنه منزه عن الجهة ونحوها، وخلقه لن يشبهه، وكل موجود تصح رؤيته، قال به من علت سنيته، وليس من شروطها مقابلة، ولا شعاع فاترك المجادلة، وهذه مسألة قد طالا فيها نزاع من بغي اعتزالا، والحق فيها ما ذكرناه، ولا تجعل على خلافه معولا، وأحمد المقري خط

---

(1) يريد نبيّ الله موسى عليه السلام.

(2) سورة الأعراف، الآية: 143.

(3) حديث رؤية الله، أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة الجنة، رقم الحديث: 2679. تحفة الأحوذي، ج7، ص: 270.

ـ: هذا، أراه الله طرق رشده، بجّاه خير الخلق ذي النور الجلي شفيع كل آخر
ين. عليه أزكى صلوات وسلام مع صحبه وآله لدى افتتاح واختتام.

مقطوعات الشيخ أبي الفتح المالكي

/81/ وللشيخ أبي الفتح المالكي رحمه الله:

عزمت بزهد وانقطاع وليتني ... ولكـــن الفطـــام شديـــد
ولو كان لي عقل لكنت لرحلتي ... من الزاد بالجهد الجهيد أزيد
ولا كنت للأولاد والأهل خادما ... ولكن عن الأقدار كيف أحيد

ومنه في تفضيل الغنى عن الفقر:

لا لعن الله الخصاصة والفقرا ... فإن سواد الوجه بينهما يطرا
وما الذل إلا منهما وعليها ... وما العز إلا بالغنى وهو بي أحرى
ومن يك في الدنيا فقيرا ومعدما ... يجد من بنيها المقت والصد والهجرا
فلا تك عن كسب الحطام بعاجز ... لتبلغ في الدنيا السعادة والأخرى

ومنه وهو معنى بديع:

من لي برد معاشر ... كثروا علي فأكثروا
صادقتهم وأرى الخروج ... عن الصداقة يكثر
كالسهـــل يسهل في ... الطروس ومحوه متعذر
وإذا أردت كشطته ... لكـــن ذاك يؤثـــر

وقال يخاطب من كان ألفه، وقد خان عهده وأخلفه:

أيها الناقص عهدي ... ناسيا خالص ودي
خاليا من كل معهود ... من الحظوة عندي
أنت خالفت وبارزت ... وأكثـــرت التعـــدي
بعت بنجس محبا ... بيعه ليس بمجد
سفها بعت محبا ... بيعه ليس برشد
وارتضيت الغدر عهدا ... مخطئا حالة عمد
وتصديت إلى ما ... شئت من هجر وصفد
فطردناك وقد أصبحت ... في عكس وطرد

وقال وقد ناوله شاب ورده، مضاهية خده وردة:

جاء وهو يحمل ورده ثم حيا بها ليتحف عبده
ليته حين ناولتني يداه ورده الثم المتيم خده

وله في سوداء:

بي من الحبس ظبية تتهادى بين أترابها كمسك فتيق
هي ريحانة إذا ما تثنت وشقيق وما لها من شقيق

وقال في مجلس شريف عليه ظل وريف:

مجلس طاب مقيلا مذ حوى ظلا ظليلا
وسبيلا بحماه تلق مـــــاء سلســـبيـــلا
ونسيما صح لمّا مر بالروض عنيلا

وله وقد التمس منه بعض أعيان دمشق عمل أبيات تكتب في طراز سقف لتربة تعرف بالرباط لبني المنقار بصالحية دمشق الشام:

يا حسنها من تربة بل روضة تزهو بيانع وردها والآس
قد زهت شرفا وجلت بهجة عن أن تقاس بروضة المقياس
وسمت على هام الكواكب إذ حوت نسل الخلائف من بني العباس
فلها على ترب الورى فخرها قد ضمنت من هذه الأرماس
ناهيك من أصداف در في الثرى لولا الحمام لكن فوق الرّاس
فإذا تألق نورها جنح الدجى أغنى عن المشكاة والنبراس
لازال منشئها الهمام مجملا ومؤملا يوم الندى والبأس
كلا ولا برح الأنام ببابه مترددين تـــردد الأنقاس
وإذا أحب الله يوما عبده ألقى عليه محبة للناس

وقال وسأله بعض أكابر الدولة عمل أبيات تشتمل على تاريخ لقصر بني بحلب الشهباء، لحضرة السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان، وذلك بميدانها والملتمس على النقاش:

لله بستان وقصر جديد ليس على حسنها من مزيد
للملك الأعظم قد أنشئا بحسن تدبير ورأي سديد

أعني سليمان[1] الزمان الذي — له ملوك العصر طرا عبيد
لا برح السعد له خادما ما — سار في الأفلاك نجم سعيد
يا حلب الشهباء فخرا فقد — زانك في الميدان عقد فريد
من بنية نيط بأعطافها روح — وريحان وطلـــع نضيـــد
قصر مشيد وسط روض — غدا تاريخه للسعد قصر مشيد

وله:

أنا في البستان وحدي — والصبا فيه تهب
فيه محبوبي كتابي — فليكن معه المحب

وقال الطالوي: سرت يوما في خدمته، وهو يتهادى في مشيته، إلى بستان يعرف بالحجاجية، ظاهر دمشق المحمية، وقد تبسم نورها عن ثغر الأقاح، وقابله الشقيق بخده الوقاح، فأعجبه ما رءاه،/82/ وانشد عند جلوسه هذا المفرد:

في ذا المكان ثلاثة قد جمعت — نور ونور واعتدال هواء

فقال لي: أجز، **فقلت**:

ونها وحقك رابع علامة — شيخ الشبوخ ومرجع العلماء

[1] هو السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني (900ـ974 هـ /1495ـ1566م)، عاشر ملوك آل عثمان، حكم الفترة ما بين (926ـ974هـ/1520ـ1566م). وهي المدة التي قضاها في توسيع نطاق الدولة وإعلاء شأنها حتى بلغت في أيامه أعلى درجات الكمال. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية. ص ص: 198ـ252.

المؤلف ينقل من كتاب القبس في شرح موطأ ابن أنس لابن العربي

ونقلت من القبس شرح الحافظ أبي بكر بن العربي[1] على موطأ مالك، في كتاب التفسير في سورة قد أفلح ما صورته:

"الرابع[2]: قيل إن مياه الأرض[3] من تحت صخرة بيت المقدس، وهي من عجائب الله تعالى في أرضه، فإنها صخرة شنعاء في وسط المسجد الأقصى مثل المضرب قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض. في أعلاها من جهة الجو[4] قدم النبي صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق، وقد مالت من تلك الجهة هنيأة، ومن الجهة الأخرى أثر أصابع الملائكة التي أمسكتها إذ مالت به، ومن تحتها الغار الذي انفصلت عنه من كل جهة، عليه باب يفتح للناس للصلاة والاعتكاف والدعاء، فهبتها مدة أن أدخل تحتها، لأني كنت أقول أخاف أن تسقط عليّ، ثم رأيت الظَّلَمة والمجاهرين بالمعاصي يدخلونها ثم يخرجون عنها سالمين، فهممت بدخولها ثم قلت ولعلهم أمهلوا وأعجل، فوقفت مرة ثم عزم عليّ فدخلت، فرأيت العجب العجاب، تمشي في حاشيتها من كل جهة منفصلة عن الأرض، لا يتصلّ بالأرض منها شيء. وبعض الجهات أبعد انفصالا من بعض"، انتهى.

. وقال في قوله تعالى: "إِلَى رُبْوَةٍ"بعد كلام ما صورة محل الحاجة منه: "فأما وضعه عليه السلام، فكان ببيت المقدس قطعا منقولا بالتواتر، وحين وضعته وجعلته في مهده وهو فراشه الذي أنامته عليه ساخ الحجر بجلاله قدرة فرءاه متشكلا وموضعه الركن الشرقي القبلي من المسجد الأقصى، فلما خرجت على نفسها واستحيا من حالها، كان من أمرها ما قص الله سبحانه في كتابه. قال: ""وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رُبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ""[5]، فأوت إلى هذه الربوة وهي في سفح الغراب جبل دمشق الآخذ من طرابلس إلى الشام، سائرا كذلك إلى بلاد الروم إلى

---

[1] أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري: ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان. ج4. ص: 296 – وكتاب الصلة لابن بشكوال، ج2، ص: 558 – وشذرات الذهب للحنبلي. ج2. ص: 141 – ونفح الطيب للمقري، ج2، ص ص: 25-43.

[2] يقصد: القول الرابع في تأويل قوله تعالى: "وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ" سورة المؤمنون، الآية: 18؛ لأن الناس اختلفوا في تأويل هذه الآية على أربعة أقوال كما يقول ابن العربي.

[3] في نسخة القبس المحققة: إن مياه الأرض كلها تثب من تحت صخرة بيت المقدس. ابن العربي. القبس في شرح موطأ ابن أنس، تحقيق نصر الأزهري وإبراهيم الأزهري، ج4، ص: 217.

[4] في النسخة المحققة من القبس: الجوف.

[5] سورة المؤمنون، الآية: 50.

خراسان، وهو اخر جبال الأرض[1]، في علاها ربطة على دم ولد آدم، وقد شكل في الحجرة كأنه قد ذبح هناك كبشان. فجرا فيه بما أثرت فيه الليالي والأيام، وقد بني في المأوى بأعلى الربوة مسجد فيه متعبد الخلق، دخلناها مرارا ودعونا الله فيها سرا وجهارا، وإنما قال مالك لأشهب إنها دمشق، ردا على من يقول إنها خرجت مغربة إلى العريش، وليس في العريش ربوة ولا ماء ولا معين. انتهى.

ولشهاب المالكي:

إن شئت أن تعرف يا صاحبي	ما لك في قلبي من الواجب
فانظر إلى قلبك ما شأنه	وقس على الحاضر بالغائب

ولشهاب أحمد بن محمد الدمشقي:

نذر الناس يوم برئك صوما	غير أني نذرت وحدي فطرا
عالما أن يوم برئك عيد	لا أرى صومه ولو كان نذرا

وقال لأحين بن عبد الله الذهبي:

ميلوا عن الدنيا ولذاتها	فإنها ليست بمحمودة
واتبعوا الحق كما ينبغي	فإنما الأنفاس معدودة
فأطيب المأكول من نحلة	وأفخر الملبوس من دودة

فائدة:

قيل كان زنة قوس الشيخ الزاهد سيدي عبد الله اليونسي ثمانين رطلا، وما يبالي الرجال أقلوا أم كثروا، وكان ينشد هذه الأبيات ويبكي:

شفيعي إليكم طول شوقي	إليكم وكل كريم للشفيع قبول
وعذري إليكم أنني في هواكم	أسير ومأسور الغرام ذليل
سأصبر لا عنكم ولكن عليكم	عسى لي إلى ذاك الجناب وصول

[1] في النسخة المحققة من القبس: أحد جبال الأردن.

فائـــــــــدة:

حكـــي أن نظام الملك[1] كان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري، وأبو المعالي الجوينـــي، قام لهما وأجلسهما معه في المقعد، فإذا دخل عليه أبو علي الفارندي، قـــام وأجلسه مكانه وجلس بين يديه، فعوتب في ذلك، فقال: إنهما إذا دخلا علي قـــالا أنت وأنت يطرونني ويعظمونني ويقولان في، ما ليس في، فازداد فيهما ما هـــو مركون في نفوس البشر، وإذا دخل علي أبو علي ذكر من عيوبي وظلمي، فانكســـر وارتـــدع عـــن كثير من الذي أنا فيه. وكان مجلس نظام الملك عامرا بالفقهاء والعلماء بحيث يقضي معهم غالب نهاره، فقيل له: إن هؤلاء قد شغلوك عـــن كثـــير من المصالح، فقال: هؤلاء جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلستهم على رأســـي لما استكثرت ذلك، وما أحسن قول بعضهم: إن أناسا حرموا حتى أزالوا زينهم، كأنهم لم يقرءوا نحن قسمنا بينهم.

فائـــــــــدة:

كان شاهين دوادار محمد بن مبارك يقول: إن إسفيداج العرائس إن طلي به الحديد مع دهن فإنه يمنع الصدى. وكان ينشد:

إذا يســـر الله الأمـــور تساهلت	ولان قواهـــا واستلان عسيرها
فكـــم طالـــب من حاجة لا ينالها	وكـــم آيـــس مـــنها آتاه بجيدها

ولع قانصوه الغوري بغرس الأشجار

وفي شعبان سنة 912هـــ وصل إلى قانصوه الغوري[2] في دمشق صناديق خشـــب نحـــو مـــن مائة وخمسين حملا فيها أشجار بطينها، ما بين تفاح شامي، وكمـــثري، وســـفرجل، وقراســـيه، وكروم عنب، وأشجار مزهرة، ما بين ورد أبـــيض، وزنـــبق، وسوسان، وغير ذلك قد أحضر إليه، شجرة جوز هند بطينها والقرنفل، فغرس ذلك كله بالميدان الذي تحته القلعة، وكان انشأ به مناظر وبركا ومكانـــا للمحاكمـــات، وكان مولعا بغرس الأشجار وحب رؤية الأزهار، سامحه الله.

---

[1] هـــو أبـــو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الشافعي (408-485هـــ)، من أشهر وزراء السلاجقة ومؤسس المدارس النظامية في العالم الإسلامي. الطرطوشي، سراج الملوك، ج2، ص: 513 وما بعدها – الذهبي، الإعلام، ج1، ص: 320.

[2] قانصـــوه بـــن عبد الله الظاهري الغوري الملقب بالملك الأشرف سلطان مصر (850-922هـــ/ 1446-1516م)، جركســـي الأصل، مستعرب خدم السلاطين، وولي حجابة الحجاب بحلب، ثم بويع بالسلطنة في القاهرة. الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 187.

إجازة المؤلف ليحي المحاسني

/83/ الحمد لله[1]:

حمد من زين بالمحاسن | دمشق ذات الماء غير الآسن

وطلع النجوم من أعيان | بأفقها السامي مدى الأحيان

فكل أيامهم مواسم | من الصفا ثغورها بواسم

وذكرهم قد شاع بين الأحيا | إذ قطرهم به الكمال يحيي

وبشرهم حديثه لا ينكر | ومسند الجامع عنهم يذكر

وقد حكت جوارح الذي ارتحل | إليهم صحيح ما له انتحل

فسمعه عن جابر والعين عن | قرّة تروي والحديث[2] عن حسن

فجل من أتاحهم الإله | حتى أبان نورهم لألاءه

نحمده سبحانه أن أسدى | من الأماني ما أنال القصدا

وننتحي صوب صلاة باهرة | إلى الرسول ذي السجايا الطاهرة

أجل من خاف الإله واتقى | محمد الهادي النبي[3] المنتقى

صلى عليه الله طول الأبد | مع آله وصحبه والمقتدي

وبعد فالعلم أساس الخير | وكيف لا وهو مزيح الضير

وهو الموصل إلى منهاج | هدى ورشد ماله من هاج

وما بغير العلم يبدو العلم | وليس من يدري كمن لا يعلم

خصوصا الحديث عن خير البشر | إن فضله على الكل انتشر

ولم يزل يعنى به كل زمن | من الرواة كل صدر مؤتمن

وإنني عند دخول الشام | لقيت من فيها من الأعلام

وشاهدت عيناي من إنصافهم | ما حقق المحكي عن أوصافهم

وإن من جملتهم أوج الذكا | والنير المزري سناه بذكا

ابن المحاسن الذي قد طابقا | منه المسمى الاسم إذ تسابقا

اللوذعي الألمعي يحيي | لازال رسم المجد منه يحيي[4]

وهو الذي أغراه حسن الظن | على انتمائه لأخذ عني

---

[1] نفس الإجازة موجودة في نفح الطيب، ج2، ص ص: 430-432.

[2] كتب فوقها: اللسان وهي الكلمة الواردة في نفح الطيب.

[3] في نفح الطيب: الرسول.

[4] هو يحي بن أبي الصفا ابن أحمد المعروف بابن محاسن الدمشقي. أخذ عن عبد الرحمن العمادي. والشيخ يوسف الفتحي وغيرهما، ولما ورد المقري دمشق لزمه لزوم الظل للشبح وأخذ عنه غرائب الظرف والملح، وكان من مدرسي المدرسة العزيزية. توفي سنة 1053هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص: 463.

فكان قارئ الحديث النبوي   ندي في الجمع عني الأموي
بمحضر الجمع الغزير الوافر   ممن وجوه فضلهم سفر
وبعد ذاك استمطر الإجازه   من نوء وعدي واقتضى انجزه
فلم أجد بدا من الإجابه   مع أنني لست بذي النجبه
وإن أكن أجبت أمرا يمتثل   منه ففي ذلك تصديق المثل
فيمن درى شيئا وغابت أشيا   عنه ومن أهدى لصنعا وشي
فليرو عني كل ما صح لي   بشرطه الذي يزين كالحلي
فليرو عني جامع البخاري   عن عمي الإمام ذي الفخر
سعيد الذي نأى عن دنس   عن شيخه الحبر الشهير التنسي
أعني أبا عبد الإله وهو عن   والده محمد راوي السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضى   عن جده الخطيب عن بدر أضا
الفارقي عن إمام يدعى   بابن عساكر الجميل المسعى
بما له من الروايات التي   على علو قدره قد دلت
وليرو عني ما انتمى للنووي   بذا إلى السابق ذي النهج السوي
أعني ابن مرزوق الخطيب الراوي   عن شيخه يحي الرضي المغراوي
وهو روى عن صاحب التمكين   النووي الشيخ محي الدين
وخط هذا أحمد البادي الوجل   المقري المالكي عن عجل
في عام ألف وثلاثين خلت   من هجرة الهادي وسبعة تلت
ألبسه الله البرود الضافية   من منه وعفوه والعافية
بجاه سيد البرايا طرا   ملجأ من بالمعضلات اضطرا
عليه أسمى صلوات تسدي   حسن الختام ببلوغ القصد

إجازة المؤلف لأولاد مفتي الشام الشيخ عبد الرحمن العمادي

/84/ بسم الله الرحمن الرحيم، وقلت لما سألني مولانا مفتي الشام[1] حفظه الله الإجازة[2] لأولاده الأعيان، وكتب لي أصغرهم سنا الإستدعاء:

---

[1] هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عماد الدين العمادي الحنبلي(978-1051هـ)، مفتي دمشق، ومن أجلاء شيوخها، مولده ووفاته فيها، تتلمذ للحسن البوريني، وابن المنقار. والبغدادي وغيرهم، له عدّة مؤلفات منها: الروضة الريا في من دفن بداريا، وتحرير التأويل، والمستطاع من الزاد، والفتاوى، وغيرها . المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص ص: 380-389.

[2] نفس الإجازة واردة في نفح الطيب، ومعها نص الاستدعاء (طلب الإجازة) المشار إليه الذي طلبه ابراهيم العمادي، ج2، ص ص: 426-430.

ـحمد من شيد بالإسناد بيت العلوم السامي العماد

عـم من خصص بالرواية بنورها النافي دجى الغواية

..ن صدر النبها كل زمن بجوهر الإجازة الغالي الثمن

ـحمده سبحانه أن عرّفا من الحديث ما به قد شرفا

..سأل المزيد من صلاته لمن أتيح القصد من صلاته

ـجائنا المعصوم أعلى سند لنا برغم جاحد مفند

ـكيف الضعيف والقوي المرتجي باب الهدايات وليس مرتجا

ـن جاءنا بالجامع الصحيح من كلامه الهادي إلى نهج أمن

ـن فضله ما شك فيه مسلم من حبه بكل خير معلم

ـينا المرسل ذو الخلق الحسن والخارق[1] المفحم أرباب اللسن

ـحمد المرفوع قدره على سائر خلق الله جل وعلا

ـصلى عليه ربنا وسلما أزكى صلاة ننتحيها معلما

ـع آله وصحبه ومن روى آثاره عن صحة وما غوى

وبعد فالعلم عظيم القدر وليس من يدري كمن لا يدري

ولم تزل همة أهل المجد منوطة بنيل علم مجدي

ومنه علم السنة الشريفة لأنه ظلاله وريفة

فمن درى الأخبار والشمائل لم يك عن صوب الهدى بمائل

وكم سميدع لأجله رفض أوطانه وثوب ترحال نفض

وكيف لا وهو أجل ما طلب موفق يروم حسن المنقلب

لأنه وسيلة السعادة والعز في الإبادة والإعادة

وإنني لما انتحيت المشرقا ميمما بدر اهتداء مشرقا

/85/ألقيت في مصر عصا التسيار بعد بلوغي أشرف الديار

وبعد ذا جئت دمشق الشام مسكن من يزدان باحتشام

فشاهدت عيناي فيها ما ملا قلبي وعيني[2] إذ بلغت مأملا

مدينة فياضة الأنهار فضفاضة الأثواب بالأزهار

أرجاؤه زاكية العبير ومدحها يجل عن تعبير

وجل أهليها بحبي دانوا مع أن مثلي منهم يزدان

فلاحظوا بالأعين الكليله عبدا غدا تقصيره دليله

وقابلوا عيبي بما اقتضاه فضل لهم مولى العطا[3] ارتضاه

خصوصا المولى الكبير المعتبر قرة عين من رآه واختبر

---

(1) في نفح الطيب: المعجز.

(2) في نفح الطيب: سرور.

(3) في نفح الطيب: رب الورى.

مفتي الورى في مذهب النعمان بها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين من تعيي القلم أوصافه اللاتي كنوز في علم
حاوي طراف المجد والتلاد نال المنى في النفس والأولاد
وكنت في مكة قد أبصرت منه علا عن مدحه قصرت
جلالة ومحتدا وعلما ورفعة وسؤددا وحلما
مع التواضع الذي قد زانه حسن اعتقاد مثقل ميزانه
فحث من في الشام من أخيار لم يسلكوا مناهج الأغيار
أن يأخذوا بعض الفنون عني بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أنني والله لست أهلا لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جملتهم أبناؤه عماد دين قد علا بناؤه
وصنوه الشهاب من توقدا فهما وإبراهيم سباق المدى[1]
والذي قد ابتغى الإجازه لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه في ذاك لي مهتصرا أفنانه
وإنهم كحلقة قد أفرغت دامت له آلاء فيض سوغت
/86/ فلم أجد بدا من الاجابه مع كون جهلي سادلا حجابه
فقد أجزتهم بما رويته طرّا وما ارتجلت أو رويته
وكل ما صنفت في الفنون مؤمل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب وغيرهم من كل حبر مغرب
ولي أسانيد يطول شرحها شيد على تقوى اهتداء صرحها
ولو سردت كل مروياتي هنا لطال القول في الأبيات
وكل طول غالبا مملول وحدّ من يعني به مفلول
فلنقتصر إذن على القليل تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخاري عن عمي الحائز للفخار
المقري سعيد الإمام عن محمد يدعى خروفا حين عنّ
التونسي الطيب الأنفاس نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادري المرتضى عن الحجازي عن الحبر الرضى
نجل أبي المجد عن الحجار عن الزبيدي بنقل جار
عن مسند الإسلام عبد الأول عن الشهير الداودي المعتلي

---

[1] أبناء عبدالرحمن العمادي الثلاثة هم عماد الدين مفتي الحنفية(1004ـ1068هـ)وهو أكبرهم. وشهاب الدين الفاضل الشاعر، (1007ـ1078هـ) أوسطهم، وإبراهيم الأديب المشهور(1012ـ1078هـ) أصغرهم وأحبهم إلى أبيه. تراجمهم في خلاصة الأثر، ج1، ص ص:23ـ25، وج2 ص ص:231ـ235، و ج 3، ص:203.

عن السرخسي عن الفربري ... عن البخاري الإمام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر ... وعلمه المعروف غير المنكر
سنم به إلى الكمال ... عن علم الدين أخي الجلال
غيني عن التنوخي ... عن ابن حمزة عن الشيوخ
عن المقير عن ابن ناصر ... عن ابن مندة مفيد القاصر
عن جوزقي قد روى عن مكي ... عن مسلم نافي دياجي الشك
أخبروا عني بذا والباقي ... من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الإمام مالك ... إمامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضى ابن حنبل ... والدارمي ذي الثناء الأجمل
والطبراني وما أرويه ... من المعاجم بما تحويه
/8 وكلها تشمله الإجازه ... بشرطها عن الذي أجازه
تقبلوه فهي من جهد المقل ... ومن بحق ما منحتم يستقلر
ومن أسانيدي عن القصار ... مفتي الأنام بهجة الأعصار
عن شيخه خروف الرّاقي الدرج ... عن الشريف الطحطحائي فرج
قال سمعت المصطفى في النوم ... صلى عليه الله كل يوم
يقول من أصبح يعني آمنا ... في سربه الحديث فاعرف كامن
ونمسك العنان في هذا الأرب ... مصليا على الذي أعلى العرب
وآله وصحبه الأعلام ... ومن تلا من أنجم الإسلام
وخط هذا المقري العاصي ... أجير يوم الأخذ بالنواصي
سنة سبع وثلاثين تلت ... ألفا لهجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تستتم ... نرجو بها الزلفى حسن المختتم

إجازة المؤلف لأحمد بن شاهين

وقلت أيضا[1]:

حمد من أطار في جو العلى ... صيت ابن شاهين الذي زان الحلى
وراش منه للمعالي أجنحه ... نال بها فضلا غدا مستمنحه
وأسكن البيان من أوكار ... أفهامه بقنة الأفكار
فاصطاد كل شارد بمخلب ... أبحاثه ومن يعارض يغلب
والصقر لا يقاس بالبغاث ... والحق ممتاز عن الأضغاث
نشكر من بلغه مناه ... على نواله الذي سناه
وننتحي نهج صلاة باديا ... لخير من جاء الأنام هاديا

[1] نفس الإجازة واردة في نفح الطيب، ج2، ص ص: 424-426.

مبينا دلائل التوحيد ... وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المنتقى ... أجل من خاف الإله واتقى
صلى عليه الله مع أصحابه ... وآله الراوين عن سحابه
ما اعترف العبد الفقير ذو العدم ... للرب باستغنائه وبالقدم
وبعد فالعلوم والعوارف ... من أمها يأوي لظل وارف
/88/ وروضة أزهارها تضوعت ... لأنها أفنانها تنوعت
ونيس يحتاط بها نبيل ... إذ ذاك أمر ما له سبيل
فليصرف القول إلى ما ينفعه ... شرعا[1] وفي أوج الأجور يرفعه
وإن في علم أصول الدين ... هدى وخيرا جل عن تبيين
لأنه أصل يعم النفع ... به وكل ما سواه فرع
وكيف يعبد الإله من لا ... يعرفه وعن رشاد ضلا
فهو الذي لا تقبل الأعمال ... إلا به وتنجح الآمال
وإنني كنت نظمت فيه ... لطالب عقيدة تكفيه
سميتها إضاءة الدّجنّة ... وقد رجوت أن تكون جنه
وبعد أن أقرأتها بمصر ... ومكة لبعض أهل العصر
درستها لما دخلت الشاما ... بجامع في الحسن لا يسامى
وكان في المجلس جمع وافر ... من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالي ... فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واغتدى ... وشام أنوار الفهم فاهتدى
العالم الصدر الأجل المولى ... من وصفه الممدوح يعيي القولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا ... من بذ جنس العرب والأتراكا
ورام من مثلي بحسن الظن ... إجازة فيما رواه عني
فحرت في أمرين قد تناقضا ... بالنفي والإثبات إذ تعارضا
ترك الإجابة لوصفي بالخطل ... وبالخطا والجيد مني ذو عطل
وكم فرائض بعجز تسقط ... فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان ... رعيا لود محكم الأركان
منه وما له من الحقوق ... ولا يجازى البر بالعقوق
وبعد ما مر من الترداد ... أسعفته بمقتضى الوداد
وسرت في طرق من التساهل ... معترفا بالجهل لا التجاهل
/89/ مع أنه أهل لأن يجيزا ... لا أن يجاز إذ حوى التبريز
ومن رأى عيبي بعين للرضا ... لم يقف نهج من غدا معترضا
فليرو عني كل ما أسمعته ... إياه بالشرط وما جمعته

---

[1] في نفح الطيب: دنيا.

ـع القصور راجيا للأجر ... من الفنون نظمها والنثر

ـذه العقيدة السديده ... والنعل ذات المدح العديده

ـذاك ما ألفت في عمامه ... من خص بالإسراء والإمامه

فقه والحديث والنحو وفي ... أسرار وفق وهو بالقصد وفي

غيرها مما به الوهاب منّ ... على فقير عاجز في غير فن

ما أخذت في بلاد المغرب ... عن كل فذ في العلوم مغرب

ـي أسانيد إذا سردتها ... طالت وفي كتبي قد أوردتها

قد أخذت الجامع الصحيحا ... وغيره عمن حوى الترجيحا

عن سعيد عن سفين وهو عن ... القلقشندي عن الواعي السنن

عسقلاني الشهاب ابن حجر ... بما له من الروايات اشتهر

قد أجزته بكل ما لي ... يصح من ذاك بلا احتمال

على شروط قرروها كافيه ... ليست على أفكاره بخافيه

قال هذا المقري الخطا ... والعي عمّ لفظه والخطّا

عام ثلاثين وألف بعدها ... سبع أتمت في السنين عدها

كان ذا في رمضان السامي ... بحضرة السعد دمشق الشام

لله نرجو أن يتيح الختما ... بالخير كي نعطى القبول حتما

جاه خير العالمين أحمدا ... صلى عليه الله ما طال المدى

ـه وصحبه ومن زكا ... فنال من حسن الختام مدركا

المؤلف يقول في تقريظ رسالة الشيخ أرسلان لمحمد الكلشني

/90/ الحمد لله، مما قلت[1] في تقريظ شرح رسالة ولي الله الشيخ أرسلان صاحبنا الفاضل الزاهد الناسك سيدي الشيخ محمد بن سعد الكلشني حفظه الله:

حمد من خصص بالأسرار ... قوما[2] من الصوفية الأبرار

تاحهم عوارف المعارف ... والحكم السابغة المطارف

فهم بهم تستمطر الأنواء ... وتظهر الأنوار والأضواء

ومن أجلهم سناء وسنى ... من ذاد عن عين المعالي الوسنا

شيخ الشيوخ العارف الكبير ... الشيخ أرسلان الشهير

فكم إشارات له أبانا ... بها علوما من حلالها ازدانا

وكم عبارات تلا اياتها ... تعيي الفحول عن مدى غاياتها

ومن رأى رسالة التوحيد ... له انتحى مناهج التسديد

---

(1) القصيدة موجودة في نفح الطيب، ج2، ص: 433.

(2) في النفح: قدما.

فهـي تـنادي من أبى أن يسلكا ... يـا معرّضـا شـرك خفي كلكا
ومـن أضـل القصـد في مهامه ... هدتـه للخـروج عـن أوهامـه
وكـم بهـا من باب معنى مغلق ... عمـن يقـيد الوجـود المطلـق
فمـا بعيـن الفـتح يدرى الباطن ... ووارد الفـيض لـه مواطـن
وقـد رأيـت فـي دمشـق الشام ... شـرحا لهـا أنـبا عـن الهـام
للكلشـني ذي الوفـا بـالوعد ... شـمس العلـي محمـد بن سعد
لازال فـي أوج التحلـي صاعدا ... وعـون ربـنا لـه مسـاعدا
ومـذ أجلـت بصري في حسنه ... ألفيـته مسـتبدعا فـي فـنه
ودل مـا أبـداه مـن معـان ... علـى شـهود بـالهدى معـان
لأنـه أجـاد فـي تقريـر ... مـا اعـتاص بالإتقان والتحرير
وأبـرز الأبكـار مـن خـدور ... أفكـاره حالـيـة الصـدور
والله يجـزيه الجـزاء الأوفـى ... فـي يـوم تـبدي الأنبياء الخوفا
وخـط هـذا المقـري عن وجل ... مرتجـيا مـن ربـه عـز وجل
كشـف كـروب عقد صبر حلت ... مـنه وغفـران ذنـوب جلـت
بجـاه خـير الخلق سباق المدى ... طـه إمـام الأنبـياء أحمـدا[1]
صـلى علـيه الله مـع أصحابه ... والآل والأشـياع مـن أحـزابه
أزكـى صـلاة دون مـا اكتتام ... يفـوح مـنها مسـك الاختـتام

أقسام الواو

/91/ الحمد لله، وللعلامة تقي الدين أبي محمد بن عسكر

وممتحـن يومـا ليهضمني هضما ... عـن الـواو كم قسما فقلت له نظما
فقسـمتها عشـرون ضربا تتابعت ... فدونكهـا إنـي حـبوتكها رسـما
فاصـل واضـمار وجمـع وزائد ... وعطف وواو الرفع في الستة الأسما
ورب ومـع قد نابت الواو عنهما ... وواوك فـي الأيمـان فاستمع العلما
وواوك للإطـلاق والـواو ألحقت ... وواو بمعـنى إذ فدونـك بالحـزما
وواو أتـت بعـد الضمير الغائب ... وواوك في الجمع الذي يورث النعما
وواو الهجـا والحـال واسم لماله ... سنامان من دون الجمال له به يسمى
وواوك فـي تكسـير دار وواو إذ ... وواو ابـتداء ثـم عشـري بها تما

---

[1] الأبـيات الثلاثة الأخيرة غير واردة في النفح، ولكن كتب بهامشها البيتان التاليان وهما الموجودان في النفح: بجاه طه الهاشمي أحمدا ... عليه أزكى صلوات سرمدا
عاطرة النشر بلا اكتتام ... تأرجت بالمسك في الختام

فائـــــــدة:

ســئل الشيخ شهاب الدين الطوسي[1]، أيما أفضل، دم الحسين أم دم الحلاج، فاســتعظم ذلك وقال: كيف يجوز أن يقال هذا، قطرة من دم الحسين رضي الله عنه أفضل من مائة ألف دم مثل دم الحلاج. فقال السائل: فدم الحلاج كتب على الأرض الله، ولكن الك دم الحسين، فقال الطوسي: المتهم يحتاج إلى تزكية، وهذا جواب في غاية الحسن على أنه لم يصح ما ذكر عن دم الحلاج.

الإقتصاد في أسماء البلاد لابن الوردي

ومن الاقتصاد في الأسماء لابن الوردي[2]: مكة وطر، المدينة قمر، القدس كســر، القاهــرة بشر، الإسكندرية نفر، الصعيد هدر، النوبة كرر، الحبشة قتر، اليمــن حبر، غزة سجر، الكرك مفر، دمشق شجر، الساحل مطر، بعلبك حجر، حمص خور، حماة خضر، سرعين بقر، حلب غرر، أنطاكية أثر، منبج صور، جعبر ضرر، الرّها حذر، الرحبة مدر، تدمر دمر، الرقة نهر، البيرة خبر، قلعة الروم نفر، عنتاب عجر، ماردين وعر، الموصل شخر، بغداد سمر، الكوفة مدر، البصرة بصر، المغاص درر، كركر قطر، هكار بعر، العراق سير، الشرق نثر، المغرب زفر، الهند بدر، الصين سفر، السند زبر، الروم زفر، العجم عجر بجر، البحر خطر، البر ابر، الدنيا ممر، الآخرة مقر.

ولبعضهم:

قالـــت وقـــد أنكـــرت سقامي	لـــم أر ذا الســـقم يـــوم بيـــنك
لكـــن إصـــابتك عيـــن غيري	فقلـــت لا عيـــن بعـــد عيـــنك

فائـــــــدة:

روى ابـــن ماجـــه في سننه، البركة في ثلاث، البيع إلى أجل، والقراض، وخلط البر بالشعير للبيت لا للبيع.

---

[1] أبـــو الفتح محمد بن محمود الشهاب الطوسي (ت 596هـ) نزيل مصر وشيخ الشافعية. الدمشقي، شذرات الذهب، ج2، ص: 327.

[2] زيـــن الديـــن عمر ابن مظفر (ت749هـ) المصري الحلبي الشافعي، كان إماما بارعا في اللغة والنحو والأدب والفقه. الدمشقي، شذرات الذهب، ج3، ص: 161.

وفي رسام للبرهان الباعوني[1]:

أفديــه رســاما رشيق معاطف بجمــيع أوصاف الجمال قد اتـ
وســم العــذار وقد بدا في خدّه . أنــي أمــوت به فمت كما رسـ

ولابن أبي حجلة:

قطــع الأحــبة عادتي من وصلهم . فكــأن قلبــي بالتواصل ما غـ
فــإذا ســمعت بعــائد من نحوهم مــنعوه مــن صلة لهم فأنا

ولغيره:

لا تعجــبوا مـــن مغــرم نـــائم فإنمـــا نمـــت لطـــيف يـــز
وضـــاق صـــدري مـــذ فارقـــتكم والـــنوم يأتـــي عند ضيق الصـ

ولابن العفيف مما يكتب على مشط:

إنــي لفي كف مولى جود راحته كـــم راحـــة وصـــلت منه لإنـ
مـــا أمسكتني بالمعروف منه يد ألا وســـــرح تســـــريح بإحســـ

وعلى كستبان خياطة للتنوخي:

لمـــا جعلـــت على الأنامل زفتها وغـــدوت تاجـــا فوقهـــا مـــرفـ
فلذالـــك مثلنـــي الغوانـــي عندما أبصـــــرت حســـــني لهـــن قموعـ

وعلى طاسة:

أنا الطاسة الغراء والماء ريقتي وفـــي صفتي قد أحسن الناظم المـ
تقبلنـــي الأفـــواه جمعـــا وإنني لداخلـــة فـــي الضـــرب قاعدة

وعلى كرسي مصحف:

حملـــت علـــى ضعفي الذي كلماته لهيبـــتها يصـــدع الجـــبل الراســ
تداخـــل مني البعض في البعض خيفة لأن كـــتاب الله أضـــحى على ر

ومما يكتب على قمقم:

إذا كنـــت مع ضعفي وقلة حاصلي أجـــود بموجـــودي لباســـط كفـ
فمـــا ظـــنكم بـــالله يا قوم فابسطوا أكـــف الرجاء فالجود من بعض وصـ

---

[1] إبراهيم بن أحمد بن ناصر الباعوني الدمشقي برهان الدين (777-870هـ)، شيخ الأدب في الـ الشـــامية فـــي عصره، ولد في صفد وانتقل إلى دمشق وزار مصر، له ديوان خطب ور وديوان شعر، ومختصر الصحاح. الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 30.

ـي قبقاب:

ــ كنــت فــي المبدأ في روضة فــي جــنة الخلــد بــوادي ســلم
ـــبين أغصـــاني ومـــن فوقهـــا مـــن كـــل طـــير شـــجوه يغتـــنم
عـــدفني افـــؤس ذات القـــوى صـــنعت قـــبقابا بهـــذا حكـــم
ـذا اعـــداك ياســـيـــدي تـــداس بعـــد العـــز تحـــت القـــدم

ـي دواة:

حلفــت مــن يكتــب بي بــالواحد الفــرد الصــمد
ألا يمـــد مـــدّه فـــي قطــــــع رزق لأحـــد

ـرهان الباعوني:

لـــي فقير حسن الصورة معـــدوم النـــظـــير
قـــد ســـبا الـــناس جميعا مـــن صـــغـــير وكبـــير
حســـنه جـــنة عـــدن أنـــا مـــنها فـــي ســـعير
لـــم يعـــامـــل أحـــدا مـــن عاشقـــيه بالفقـــير

ـعيره في لغات:

عــربون مع عربون عربان بالعيـــن أو بالهمـــز وجهـــان
فيـــذه ســـتة لغـــات رواهن ذوو حـــفظ وإتـــقـــان

ـــدة:

عن ابن الزبير ويحي ابن أبي كثير قالا: إياكم ولبس هذه النعال السود، قال ـن الزبـير فإنها تورث الهم، وقال الآخر تورث النسيان، نقل من خط بعض ـكبر.

ـبعضهم الأسماء التي لا ترخم:

ـن أســـماء توالـــت عشـــره لـــم تـــرخم عند أهل المخبره
ـبهم ثمـــت نعـــت بعـــده والمضـــافان معـــا والـــنكره
ثـــم شـــبه لمضـــاف خالص والثلاثـــي ومـــندوب ، ،
يحـــتذيه مســـتغاث راحـــم وإذا كانـــت جمـــيعا مضمره

ـفيما لا يتعلق من حروف الجر:

ثمـــان من حروف الجر تتلى خلـــت مـــن علقة كاف ولولا
لعـــل ورب ثـــم خلا وحاشى عـــدا ومـــزيد حرف ليس إلا

وللبرهان الباعوني:

لا تــــتزوج أبـــــدا إن | كنـــت مـــع أهـــل الحجـــى
بامـــــرأة ولـــــو غــــدت | أحســـن مـــن بـــدر الدجـــى

ولـــه:

خـــل الــزواج فما الزواج بهين | وإذا دعـــتك إليه نفسك فاعصها
واذكـــر لها خطر الزواج تنتهي | فـــإن انتهـــت عنه وإلا فاخصها

ولـــه:

أبعـــد تســـعين يـــرجو ود غانـــية | اخـــو حجـــى حظه منهن نزور
زهـــدن من قبل ذا في مسك عارضه | فكـــيف يرغبـــن فيه وهو كافور

ولـــه:

الطمـــع فـــي مـــودات الغوانـــي | وإن أكـــدت فـــي الـــود اليمينا
بنفســـج عارضـــي زهـــدن فيه | فكـــيف وقـــد تـــبدّى ياســـمينا

ولـــه:

دع عـــــنك أمر الـــزواج | فـــــذاك رأي ركـــــيك
هـــــب أنـــــهم زوجـــوني | بـــــأي زب أنـــــيك

ولغيره:

تلقـــاك هـــذا العـــام أحســـن ملتقى | فوقيـــت فـــيه مـــا تخاف وتتقي
/92/ فـــلا زلت تلقى فيه كل مسرة | ولازلـــت ترقى فيه أشرف مرتقى

وبالمحرم:

تهـــن فقـــد وافاك شهر المحرم | بكـــل حـــلال لـــم يكن بالمحرم
فلازلـــت ممـــن يلتقـــيك بكل ما | تحـــب وجـــل العمـــر لم ينصرم

وبصفر:

هنيـــت يـــا ذا العلى بشهر صفر | مظفـــــرا بـــــالعدو أي ظفـــــر
ودمـــت تـــرعاك عيـــن خالقـــه | فـــي حضـــر مـــنك دائما وسفر

وبرجب:

مهنـــيا جـــاء فيمن جاءكم رجب | ومـــثلكم مـــن تلقـــاه بما يجب
ولـــو ســـعى فـــوق عينيه لبابكم | هلالـــه لهـــناء لـــم يكن عجب

ي شعبان:

تهـن بشـــهر شــعبان المبارك ... فالبحســـنات والإحســـان زارك
فضـــوعف أجـــرك المقبول فيه ... وأعلــى ربـــنا فـــيه مـــنارك

ي نشهاب أحمد بن ناصر الباعوني[1]:

ثبــت صفات العلى وانف الشبيه ... فقــد أخطــا الديــن على ما قد بدا
جمدوا وضل قوم على التأويل قد ... عكفوا فعطلوا وطريق الحق مقتصد

ي غيره فرد:

لا خــير فـــي شخص إذا لم تلقه ... في البيت أو في الحقل أو في المسجد

إجازة المؤلف لزاهد اسمه عبد المنعم

/93/ وقلت:

جــزتك عــبد المــنعم الزاهد الرضي ... جمــيع رواياتـــي إجـــازة إطلاق
بكــل الــذي أرويــه عمــن لقيته من ... أشياخ غرب ذكرهم في الورى باق
نظمـــي ونـــثري مـــع تأليف صغتها ... وإن لــم تكــن فيها نفائس أعلاق
لســـت بأهل أن أجاز فكيف أن أجيز ... وفكـــري لـــيس فـــي العلم بالرّاق
قـــد خطـــه المقري أحمد يرتجي من ... الله جـــلّ العفـــو مع حسن ارفاق
زكـــى تحـــيات إلـــى خـــير مرســـل ... شـــفيع البرايا خيرة الصمد الواقي
مع الال والأصحاب ما سجعت ضحى ... بأفـــنانها قمـــرية ذات أشـــواق

إجازة لآخـــــــر

وقلت بالغرب أيضا في مثله:

أجـــزتك يـــا عبـــيد جميع ما قد ... رويـــت عن الشيوخ ذوي الكرامه
ومنـــثوري ومنظومـــي جمـــيعا ... لمـــن قـــد شـــاءه منـــي ورامه
وأســـأل رغـــبة مـــنكم لربـــي ... بتيســـير الطـــريق لأرض رامه
وأهـــدي للرســـول حلـــى صلاة ... تـــؤدي عـــن أخي شوق غرامه

---

[1] شهاب الدين ابو العباس أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني (752-816هـ). الإمام العالم، قاضي القضاة، خطيب الخطباء، إمام البلغاء. الدمشقي، شذرات الذهب. ج4. ص: 118.

المؤلف يجيز أبا القاسم المسراتي من القيروان

وقلت أيضا بالغرب:

أقـول وحمـد الله قدمـته رعـيا ... لمـا جـاء فـيه قـد أجزت بلا ثنـي
أبا القاسم[أ] نجل الجمال الذي سمت ... بأرجـاء قطـر القـيروان به نختـي
جمـيع الـذي أرويـه عمن لقيته ... مـن العلمـاء العارفيـن ذوي الغنـي
وكـل تصانيفي ونثري وإن وهى ... ونظمـي وإن حـاز الفهامـة والغـي
وقـد خط هذا أحمد بن محمد هو ... المقـري زكـى الإلـه لـه سعـي
وبلغـه الآمـال مـن قصـد مكة ... وطيبة دار المصطفى صاحب الرؤي
علـيه مـن الرحمـن أزكى تحية ... تسـح غواديهـا بروضـة سـقي
وآل وأصـحاب كرام وعترة بهم ... يـرتجى الإسـعاد في الدين والدنـي

ويمدح قاضي القضاة عبد الكريم بن سنان

وقلت:

مـا ريـاض معطـرات النسيم ... راقـت الطـرف بالمحـيا الوسـيم
وحـوت رونقـا بديعـا وحسنا ... يذكـر الصـب عهـد أنـس قديم
ذات نهـر جـار وظـل وريف ... وهـواء لـدن وزهـر شـميم
مـا قـدود مـن الغصون تثنت ... واكتسـت ثـوب نضـرة ونعـيم
تـبهر العقـل في غلائل خضر ... زررت بالأكمـام للتنغـيم
وتجلـت مـن الـندى بجمـان ... فـوق لـباتها كـدر نظـيم
مـا قـيان مـن الطيور تغنت ... سـاجعات بلحـن صـوت رخـيم
صـادحات بسـحرة فوق أيكها ... مطـربات بـالعود كـل نديـم
مـا بـرود البطاح قد طرزتها ... كـف سـحب بوشـي نـور رقيم
مـا بشـير وافـى بنيل الأماني ... وبلـوغ الرضـى وبـرء السـقيم

[أ] هـو أبو القاسم محمد بن جمال الدين بن خلف المسراتي القيرواني، الشيخ الجليل، العالم الأصيل. أخذ عن المؤلف وأجازه، وعن النور الأجهوري والبكري والثعالبي وغيرهم، وحجّ مرات. مات بمصر سنة 1065هـ. محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 305.

ـا ضـيـاء الصـباح أبهى سنا ... من مدح قاضي القضاة عبد الكريم[1]
ـنيو شيخ الإسلام صدر الموالي ... غـرة الدهـر ذو الفخـار الصميم
ـمـة دونهـا الـثريا ومجـد ... اقعـس حـل بـالمحل العظـيم
وعلـوم أنوارها قد أزاحت عن ... وجـوه الإشـكال كـل بهـيم
ـا وحيد الزمان عش في أمان ... ونجـاة مـن كـل أمـر ذمـيم
حاكمـا في الورى بشرع مبين ... سـالكا نهـج هديـه المسـتقيم
وتفضـل بوضـع خطك تشريفا ... لعـبد علـى الـوداد مقـيم
ـاكر ذاكـر ولولاك أضحى ... لـرياح الأشـجان مـثل الهشـيم
حائـر القلب بين شرق وغرب ... نـازح الـدار مـا لـه من حميم
خائفـا راجـيا لحسـن خلاص ... مـن هـدى الخلـق للسبيل[2] القويم
خـاتم الأنبـياء والرسـل طرّا ... عمـدة الأصـفياء مغنـي العديـم
ـافع الكـل فخـر هود ونوح ... والخلـيل الرضـى وموسـى الكليم
وسـواهم وكم (....)[3]من معال ... لجـناب الهـادي الـرؤوف الرحيم
ـالورى لا تطـيق مدح رسول ... مدحـه جـاء فـي الكـتاب الحكيم
فعلـيه أزكـى صـلاة تسامت ... وسـلام مـن الغنـي الكـريم
وعلـى صـحبه والأتـباع مع ... مـن قـد أتـى ربـه بقلـب سليم
ـا أنـيل الداعـي بحسن ختام ... وقـبول فـوز لـه بخـير عمـيم

المؤلف يمدح وزيرا

وقلت:

ـبل السـعد فـي هـناء جديـد ... وسـرور فـي ظـل عـز مديـد
و كتسـى الدهـر حلـة من جمال ... وتحلـى بكـل عقـد فـريد
ـرحا بقـدوم خـير وزيـر ... عـرف النـاس فضـل خلق حميد
ـت فضـل الله الهمـام المـرجى ... صـاحب المكـرمات بيت القصيد

---

[1] عبد الكريم بن سنان (970-1038هـ/1562-1628م)، تركي الأصل والمنشأ، رحل إلى مصر وقـرأ بها على النور المقدسي والقرافي المالكي وغيرهما، كان أديبا عارفا باللغة العربية، تولى قضاء حلب سنة 1028هـ، ثم قضاء القاهرة سنة 1030هـ، له مع المؤلف صحبة ومودة، وكان عـرض عليه كتابه فتح المتعال، وطلب منه أن يقرظ له عليه. فكتب تقريظا طويلا، وأورد جملة منه صاحب الخلاصة. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص ص، 2-8.

[2] كتب فوقها: للطريق.

[3] ما بين القوسين كلمة غير واضحة في النص.

يمن ترتجي به كل يمن وأمان ونيل خير مزيد
إن صنعاء تقتضي كل صنع منه يقضي بدفع جور شديد
هذه مصر أشرقت بعلاه مع حلاه فكيف أرض زبيد
فاضل كامل وجيه نبيه مظهر الفضل ذو البناء المشيد
أشربت حبه القلوب جميعا وتحلى بذكره كل جيد
هكذا عادة الإله تعلي حب داع إلى الطريق السديد
/94/من تحلى بحلية الخير والفضل حباه الإله فوق المزيد
وأتته الآمال تسعى إليه وغدا أهل عصره كالعبيد
هذه خدمة لعبد غريب مخلص الود والثناء المجيد
فاجعلن مهرها رضى وقبولا منك لازلت في سرور جديد
يا وحيد الزمان دمت عزيزا باقيا في أمثال هذا العيد
بالغا ما تريده من أمور راقيا في سماء عز سعيد
آمنا حيثما سلكت ببحر وببرّ في النصر والتأييد

المؤلف يخاطب ابن القاضي

وقلت مخاطبا سيدنا ومولانا علم الأعلام، المؤلف الكبير الشهير، سيدي شهاب الدين أحمد بن القاضي[2] رحمه الله بقولي: تمم لي القرطاس يا سيدي، فقال بديها: ففضلكم ليس له من تمام، فقلت:

والبحر من علمكم طافح يقذف بالدّر فجد بالنظام

فقال:

كيف يفي القرطاس أمداح من علا على الجوزاء وبدر التمام

---

[1] مدينة باليمن، واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه، ومنها إلى عدن على الساحل عشر مراحل في برية، وبها مجتمع التجار من أرض الحجاز والحبشة ومصر الصاعدون في مراكب جدة. الحميري، الروض المعطار، ص: 284.

[2] هو الرحالة السفير أبو العباس أحمد بن محمد ابن أبي العافية الشهير بابن القاضي الملقب بشهاب الدين (960-1025هـ) تخرج على أكابر علماء المغرب والمشرق، اتصل بالسلطان المنصور السعدي، له مؤلفات عديدة منها: جذوة الاقتباس، والمنتقى المقصور، ودرة الحجال، والدر المملوك، ولقط الفرائد، والمدخل في الهندسة، وغيرها ...، وهو من أبرز شيوخ المؤلف، وقد خصص له حيزا هاما في كتابه روضة الآس،وذكر أنه أجازه ثلاث مرات بخط يده في فاس ومراكش خلال رحلته الأولى إلى المغرب الأقصى سنة 1009هـ. المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس، ص ص: 239-300.

ـمـت:

ـ غــرو أن يدعـــى شـــهابا فقد	أزاح عـــن فكـــر الأنـــام الظلام

المؤلف يمدح الأنصار

ولما قرأنا صحيح البخاري بالمغرب، وقد حضر القراءة أعلام أكابر، قال ـعـضـ أصـــحابنا عـــند بلوغنا لقول إماء الأنصار: جاء نبي الله، فقيل: ان هذا ـــ زن وقابله سيدي علي الشامي الخزرجي، واستطعم مني أن أقول في ذلك عـــ بـيـهـا:

ـــ نجــل انصار همت علومهم	علـــى العلـــى بـــأعذب المـــياه
ـعـــبد فـــيكم خلـــة موصـــولة	خالصـــة مـــن كـــدر اشـــتباه
كرم بهم إذ نصروا خير الورى	مـــن لـــم يكـــن عن ربه باللاهي
حـــتى شـــدا إمـــاؤهم من فرح	بمجـــــــده هـــذا نبـــــي الله

ـمـت أيضا:

ـ نـصـــــار أبـــانوا الهـــدى	وصـــــدوا بالـــحق أرجــــــاء
ــــدروا تصـديق خير الورى	ولـــم يـــروا فـــي ذلـــك ارجـــاء
حـــتى شـــدا الصـــبيان لما أتى	هــــذا رســـول الله قـــد جـــاء

ـمـت:

يـــا واحـــد الدهـــر الذي	ســـما علـــى المضاهي
ونجـــل انصـــار لهـــم	فضـــل بـــلا تناهـــي
ـــم لا وقـــد تـــبوءوا	دار النبـــي الزاهـــي
واستبشـــروا حيـــن أتـــى	فـــردا بـــلا أشـــباه
وقـــد تحلـــوا فـــرحا	بـــذي العـــلا والجـــاه
حـــتى النســـاء والإمـــاء	قـلـــن بالتـــباهـــي
مكـــــررات للـــهـنـــا	جـــــاء نبـــــي الله

المؤلف يخاطب أبا الفضل الصديقي

وقلت أخاطب سيدي أبا الفضل الصديقي المالكي حفظه الله:

يا وحيدا صار للفضل أبا ... كلف القلب سواكم فأبى

يا ابن صديق الرسول المصطفى ... خير من جاء البرايا بنبا

إن الأشواق إليكم حلت قلب ... هذا العبد أمرا عجبا

لم يطب عيش لنا إلا بكم ... فلتمدوا للقاء سببا

وانقلبوا بالفضل أقدام العلى ... نحو قوم شكرهم قد وجبا

واصعدوا أوج المعالي والمنى ... واصفحوا عمن أساء الأدبا

ويؤرخ وفاة الإمام مالك بحساب الجمّل

وقلت:

قد أرخ الشيخ ابن غازي الماهر ... وفاة مالك بلفظ ظاهر

وهو قعط غير أن لا توريه ... فيه ولا إشارة لتعميه

فقلت لما أن رأيت ذلك ... تورية التاريخ فاز مالك

[1] ابن غازي هو فقيه المغرب وعالمه الشيخ محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن غازي (841-919هـ) من مواليد مكناسة الزيتون، وله فيها تأليف اسمه الروض الهتون، كان متقدما في الحديث حافظا له، ذاكرا للسير والمغازي والتواريخ والأدب. الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 890.

وبحساب الجمّل على طريق حروف المغاربة، فإن لفظ قعط التي استعملها ابن غازي= 179هـ. تاريخ وفاة الإمام مالك؛ لأن القاف=100، والعين=70، والطاء=09، والمجموع هو: 179.

ولكن المؤلف انتقده في استعمال هذا اللفظ الذي لا يفيد التورية والتعمية واستبدله بلفظ آخر هو فاز مالك الذي يعني سنة 179هـ أيضا، لأن الفاء=80، والألف=1، والزاي= 7، والميم=40، والألف=1، واللام=30، والكاف=20، والمجموع هو 179.

ويداعب الكاتب الوجدي

وقلــت بالمغــرب مداعبا لأخينا الكاتب الوجدي[1] صاحب القلم الأعلى وقد حتفل في بناء الدار إلا باب المستراح:

ومســتراح حسن قد يسرت أسبابه   لكــن كمــال حسنه إذا أقيم بابه

وقلت له: لم يبق بعد الأكل إلا السّماع

فقــــال: يا ليتهــم كانوا لذاك السراع

فقال سيدي علي الشامي:

وبــادروا تشــنيف أســماعنا   بــنغمة العــود وصــوت اليراع

وقلت: طردتنا الشمس من هذا المكان

فقال الشامي: واطمأن القلــــب منا واستكان

فقلت:

بوجــود العــالم الحبر الذي قد   غــدا إنســان عيــن للزمان

وقلت ملغزا في كتاب:

يــا فاضل العصر الذي ذهنه   يفــك ما استصعب من كل باب
وواحــد الدهــر الــذي علمه   بمحكــم التفصــيل فــاق العباب

فقال:

ومــن إذا اســتهديت مــن فكره   بخــريدة أبــدى لــباب اللباب
ومــن إذا خطــت(....)[2] أنسى   عمــاد الديــن وابــن الحباب

---

[1] الكاتــب الــبارع أبو عبدالله محمد بن علي الوجدي(ت1033هــ)من أهل فاس يلقب بالغماد، حاز قصــب الســبق في النثر والنظم. له عدّة مؤلفات منها: تميمة الألباب ورتيمة الآداب، وهو كتاب جــامع لــلأدب، والألباب الطائشة في مناقب أم المؤمنين عائشة، والعنبر الشحري فيما أنشدنيه صــاحبنا أبــو العباس المقري. وهو من شيوخ المؤلف وله معه مبادلات أدبية،استأثرت بترجمته روضة الاس. المقري، روضة الأس العاطرة الأنفاس، ص ص: 71ــ99.

[2] ما بين القوسين كلمة لم نهتد لقراءتها.

فقلت أنا:

يــا اســم حــوى علما به يهتدي ... مــن قد غدا من جهله في تباب[1]
إن أبدلــت بالعيــن فــاء لــه ... يحــول عن حال الرضى للعتاب
أو صــيرت مــيما غــدا نصحه ... يهديــك مــن بعــد الصد للمتاب
ومــن أزال الصــدر مــن جسمه ... بــات لــه قلــب حليف اكتئاب

فقلت:

فــإن يكــن فــي حفظكم شرحه ... أبـدوه أولا فانظــروا فــي كتاب

انــتهى. وقد أجاب عنه الفقيه سيدي عبد السلام بن الناصر حسبما في غير هذا المحل[2]. والله أعلم بالصواب.

مدح الشيخ عبد الباقي الإسحاقي للمؤلف

/95/ وكتب إلي الأديب الشيخ عبد الباقي الإسحاقي المنوفي[3] حفظه الله من منوف ما نصه:

لــك الله مــن روض بلــيل تأرجــا ... وهمــام بــدر المعصــرات تــتوجا
وخــد كمــام كللــته يــد الحــيا ... وحلــته فجــرا فــي الربى فتبهرجا
وريــح بــه قضب الرياض تناكحت ... كــأن بــه بعضــا بــبعض تــزوجا
ومنــبر أغصــان علــيه ســواجع ... تــردد لمــا أن تقــوم وتعــرجا
وتــرقى بســيف الــبر وتخطــب ذا ... الــنهى فتفصح لما أن تصيح وتلهجا
ونهــر أصــول الزهــر منه تطلبت ... خلاخــل فــي ســيقانها فــتعوجا
ودار بهــا جــذلان وانفــك راقصــا ... بعطفــيه ممــا قــد جــرى وتموجا
وزهــر بــدا يخــتال في حلل الندى ... ويخطــر إذ أهــداه ثوبــا مدبجــا
فمــن أحمــر قــان وأصــفر فــاقع ... ومــن أخضــر نضــر وأبيض أبلجا
ومــن ثم نجم الزهر من ضاع عرفه ... غــدا مــن نجوم الزهر أبهى وأبهجا
حنانــيكما إن جئتما مسقط الحيا وجاو ... زتمــا الروض المطير فعرجا وعوجا
فلــي فــيه بقايــا معــاهد جــوى ... بعدهــا مــن بعدهــا قــد تأججــا

---

[1] كتب تحت الشطر الثاني من البيت: من في ظلمة الجهل بدون ارتياب.

[2] أنظر، ص: 91.

[3] أديــب شاعر فائق، كان قاضيا فاضلا، عالما مؤرخا، كثير النظم للشعر، صحيح الفكرة، له تاريخ نظــيف ورســائل كثــيرة، كانت وفاته في نيف وستين وألف ببلدة منوف مسقط رأسه. المحبي. خلاصة الأثر. ج2، ص ص: 289-291.

ي وجنة تدمى إذا ما لحظتها ... وخد إذا قابلت مرءاه ضرجا

ي إذ كررت لحظي نحوه ... حريق رحيق في الزجاج توهجا

فرع دجني المضارب فاحم ... طويل على العاني كليل إذا سجا

د غبت فيه داخلا تحت ذيله ... حذار العدى لولا محياه أسرجا

ب سلاف عند مي مورد ... كشعلة مقباس أضا وتأججا

ا الكأس إذ رقا فقمت بحيرة ... أأدلج فيه الكأس أم ذاك أدلجا

وف به عذب المراشف أغيدر ... يرنو بأعطاف وردف ترجرجا

ه سكرتنا راح على أنها لنا إذا ... أعذرت عاطاك لحظا مدعجا

ا زال يعطيها ويشرب والرشا ... يحب بأن يعطيك صرفا ويمزجا

ى أن حسا وازور مسود لحظه ... وخبل منه منطق وتلجلجا

ت لتجميش وتخميش خده ... ولم أتعد الشرع فيه ولم أجا

ن ظن عدل العذل إذ أنا سامج ... لعمري هذا الكسح قد صار اسمجا

زت به إذ قمت والدهر مقعدي ... فحزت الذكي المقري أحمد ذا الحجا

ا قد استغنى بثروة علمه ... لذا اتخذ العليا شعارا ومنهجا

ض زهور الفضل في ربعه زهت ... على هامها طير الذكا والعلى شجا

اسمه نوهت عند ملمة ... لما ضرها في خطبها أن تفرجا

يها البحر الذي سفن الرضى ... به من أتاها خائفا جهله نجا

ت إلى أعلى ذرى كيف لا وقد ... ركبت جواد الذوق والفضل مسرجا

حزت مدى قد حزت مع أن ... غيركم يود بأن لو كان ذا غاية الرجا

رت إلى أفق الذكا سابقا ذكى ... فدم إن قصدي أن تقدم وتعرجا

ن راج نثر النظم مني لغيركم ... ففيكم غدا والله مدحي أروجا

م أشتكي بعدا عن الطلل الذي ... غدوت له دون البرية أحوجا

ال مولاي الوصول له عسى ... أكون على ذاك الجناب معرجا

ه وابق حبرا حائزا كل سؤدد ... فأنت الذي عند الشدائد يرتجى

يا من له من الأبد السيادة في الأدب، وانتصاب الرتبة التي انخفضت دونها
ع الرتب، والمقام الذي لا يباهى ولا يضاهى، والنسب الذي أصله في أراضي
راقة ثابت وفرعه في سماها، والعلم الذي به أثنى المشارقة على المغرب،
ى أنهم عرفوا هذه النعمة فقالوا لا يزال روضك المخصب وريفك المعشب،
م الله يحق لهم الدعاء له والابتهال والانتصاب لتمييزه بذلك، على كل حال
أشرق لظلام جهلهم شمسا بها يهتدون، واطلع من افقه قمرا به يبصرون،
ف عن العين عن قذاها، وأزال عن النفس أذاها، إليك مولاي أهدي سلاما
ق من نسمات الأسحار، وألذ من نغمات الأوتار، وانفع من وابل صير الروض

مظـــيرا بنـــيلا. وأصـــنف من قبول /96/ شفي وإن كان منـيلا. ســائلا من فضل مولانـــا شمولا بنظرة في الدعاء له عند الصلاة عسى ولعل من منف ينقذنا منه. لازلـــت ملـــتحفا برداء السعادة، جارا جلباب السيادة، ما صدحت ورق، والنهل ودق، وســقطت غمامـــه، وغنـــت حمامـــه، والدعاء معاد ليوم المعاد، مع عدم المؤاخـــذة فإنـــي والله لـــم أترو في هذا، والله ينفع المسلمين بوجودكم وجودكم. الحقير عبد الباقي الإسحاقي المنوفي، انتهى. وكتب في عنوانه ما صورته: شيخ الإسلام ملك العلماء الأعلام أبو العباس شهاب الدين فلان المغربي، انتهى.

القاضي محمد بن عبد الله الدنوشري يمدح المؤلف

وكتـــب لـــي بمصر قاضي محكمة ابن طولوتي، الأديب الفاضل القاضي محمد ابن القاضي الشهير بالغرب والشرق القاضي عبد الله الدنوشري[1] الشافعي رحـــم الله الســـلف وبـــارك في الخلف، بما نصه وذلك في ربيـــع الأول سنة 1029هـــ:

يـــا مـــن يـــريد أن يفـــوز بالقرى ... حـــث المســـير قاصـــدا أم القرى
وطـــف وقـــف ولب واسع راجلا ... مـــا بيـــن مـــروة إلى ذاك الصفا
وعـــد إلـــى طيـــبة زائـــرا بهـــا ... قـــبر النبـــي الهاشـــمي المصطفى
محمـــد المخـــتار أحمـــد سما من ... حـــاز بالقـــرب نهايـــات العلـــى
وزر بقـــيع الغـــرقد الباهـــي السنا ... وزر بـــه عـــثمان مـــن حاز الحيا
وعـــد إلـــى مصـــر بصحة وكن ... ملازمـــا للخـــير مـــع أهـــل التقى
واقصـــد حمـــى شـــهاب دين الله ... مـــن عـــاد من الحج بغايات الهنا
المقـــري أحمـــد الـــذي قرا مقرة ... فـــوق الســـماك فـــي ارتقـــا
المغربـــي مـــن فـــاس استيطانه ... صـــارت بـــه كجـــنة في الازدها
منوكهـــا صارت به في عزة لأخذ ... هـــم عـــنه علومـــا فـــي الـــنهى
فمـــا له ممـــاثل فـــي علمه وحلمه ... وجـــوده المـــردي الحـــيا
ونظمـــه ونـــثره فـــي نســـق ... كـــنظم عقـــد فـــي نحـــور وطلا
ولفظـــه ينشـــى فينشـــى ســـحره ... لكـــنه الحـــلال لا مـــثل الطلـــى
أنعـــم بـــه مـــن مـــاجد مهـــذب ... ومـــن بفضـــله ســـما فـــوق السما
فالعلمـــــــاء ورثـــــة للأنبـــيا ... المخلصـــون العـــالمون الأولـــيا

---

[1] والـــد صـــاحب القصيدة وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الدنوشري الشافعي – 1025هـــ)، من فضلاء مصر بها ولد ونشأ، أخذ عن الشمس الرّملي والعبادي والعلقمي وغيرهم مـــن شيوخ عصره، تصدّر للإقراء بجامع الأزهر. له تآليف كثيرة في النحو، منها: حاشية على شرح التوضيح، ورسائل وتعليقات. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص ص: 53-56.

...د بـه الشـوق جـلالا وبهـا	كمـثل ما الغرب به سامي الذرى
خلاقـه مـثل النسـيم رقـة	ومـا لـه قـط نظـير في النهى
...ـيدنا سـنـدنا وغـوثـنا	وعونـنا مـنه الدعـا مسـتجا
جـرى علـى أسماعنا من أصلنا	در ثميـن باهـر لقـد غـلا
...كـره الفـرع بـه لكـي يـرى	أدراجـه فالفـرع كالأصـل درى
عـذرا فـإن الجسـم منـي سقمه	محقـق فـادع لعـبد بالشـفا
...لا تؤاخـذه بتأخـير إلـى هـذا	الأوان فالهـنا طـول المـدى
...ما عسـى أن أسـتطيل مدحكم	وحمدكـم وشـكركم مـع الثـنا
...جـل عـبد الله أهـدى مدحـة	محمـد الدنوشـري انـتما
...برحـت أوقـاتكم مشـغولة	بالخـير مـا هبت نسيمات الصبا
...م الصـلاة والسـلام أولا	وآخـرا لأحمـد رب الهـدى
...ـه وصـحبه وعترة والتابعين	مـا محـب قد صبا وقت الصبى
...ما حجـيج قـد دنـا نحـو	الديـار مـع نهايـات الصـفا

كتـبه عنـى عجل بالارتجال ناظمه محمد بن عبد الله الدنوشري الشافعي ...هـري، لطف الله به في قضاه، وعامله بلطف ورضاه، والمأمول من مولانا ...ـيخ إسبال ذيل الستر وإصلاح ما بها من الخطا منة منه وفضلا، انتهى.

الفقيه علي بن عبدالعزيز السوسي يكتب إلى المؤلف

وكتـب لـي بثغر تطاوين وأنا على جناح السفر برمضان بل شوال[1] سنة 102... هـ الفقيه سيدي علي بن عبد العزيز الحسني السوسي الشهير بتافرت ما ...ـضرته:

...ـفرت شموس اليمن والإقبال	وبـدت بـدور السعد ذات كمال
...قـدوم أحمد ذي المآثر والعلى	أعـزز بـه مـن سيد مفضال
...مـر تجلـى بيـن زهر تجتلي	يهـدي لفعـل الخير لا لضلال
...ـا واحـدا ما ان له من مشبه	فـي حسـنه وكمالـه ومـثال
...ـر امـنا لا تكترث فلأنت في	حفـظ الإلـه الواحـد المتعالي
...ـرا وبحـرا لا تخـاف ملمة	وعـد وذاتـك بعـد بعد صال

[1] ...ـي أواخر رمضان من سنة 1027هـ، غادر المؤلف مدينة فاس متوجها صوب الحرم الشريف ...ء فريضـة الحج، وظل أكثر من شهر يروح ويغتدي إلى أضرحة الأولياء والصالحين حيث ...ـعـو الله ويتضـرع إليه. وفي شهر شوال وصل إلى مدينة تطاوين (تطوان الحالية) استعدادا ...ـركوب الـبحر، وفي أوائل ذي القعدة من السنة نفسها، اقلع المركب من مرساه. محمد بن عبد ...كريم، المقري، ص: 189.

لا يستقر له قرار بعدكم ... مما يحل به من الأوجال
والآن ترجع سالما ومبشرا ... ببلوغ كل مسرة ومنال
تحظى هناك بكل خير وافر ... وهنا بأرفع رتبة وجلال

ظهير الدين الحسني المالكي يخاطب المؤلف

ومما خاطبني به بمصر المحروسة سيدنا ومولانا الحسيب النسيب السيد ظهير الدين الحسني المالكي[1] القاضي بمحكمة قدصون حفظه الله وشكر /97/ يده وأنجده وأيده، قوله:

كفى بالمرء[2] من رتب المعالي ... وجود العلم فيه لا التعالي
تفوز بما تمنى من كريم فلا ... يخشى سواه ولا يبالي
زكي العقل ذو فعل حميد ... سليم الطبع من قيل وقال
سخي النفس مع ود مريد ... إلى خلانه وصف الكمال
وهذا الوصف حقا في البرايا ... حواه المقري من الرجال
لقد أحيي علوما مذ أتانا ... بمصر في الدروس على التوالي
جدير بالعلوم له جواب ... يفيد الحكم عن معنى السؤال
بنور العلم يشبه ما تناهى ... من الأفلاك تزهو بالليالي
إذا ما قيل للعلماء نجوم ... فاحمد بالتناهي كالهلال
له نور يعم بكل أرض ... فلا قطر تراه منه خال
ولي مغربي مقري محق ... ليس يرضى بالمحال
ربي في طاعة المولى حباه ... بتمييز الحرام من الحلال
تراءت مصر في عجب وفخر ... لسكنى الشيخ فيها بالعيال
فلو رام الحسود له اعتياضا ... بقرب الغير في معنى الجدال
وفي إبعاد عن مصر قلنا ... فهل يعتاض عن عمّ بخال
فيا فوز المحب له يعدن ... يمن بها عليه ذو الجلال
ويـ ويل البغيض إذا تلظى ... بنار أنضجت أهل الضلال
فمنكر فضله يحتاج ردعا ... على الأعناق صفعا بالنعال

---

[1] أديب شاعر تردد مرارا إلى البلاد التركية حيث اجتمع بالشهاب الخفاجي، وتولى قضاء القصبات ببلاد أناطولي، وتولى مناصب عديدة. وخطابه للمؤلف يفيد أنه كان حيا بعد سنة 1028هـ تاريخ وصول المقري إلى مصر، لأن صاحب الخلاصة ذكر أنه لم يطلع على نسبته ومولده ووفاته. المحبي. خلاصة الأثر، ج2، ص: 261.

[2] في الأصل: بالعلم، ثم صححت وكتب فوقها بالمرء.

ويـــبلى فـــي حـــياة من سقام　　يصـــــيره أرق مــــن الخـــلال
فلا ترضى سوى بالحب قطعا　　لأهــل العلــم تحظى بالوصال
وقــل يا سعد مصر لا تضاهى　　وفـــيها المقـــري ولا تـــبال
ســــألت الله يبقـــيه بخـــير　　ويســـتره إلـــى يـــوم المـــآل
ويـــبقى نجلـــه ويـــنال علمـــا　　كوالـــده يجـــل عـــن المـــثال
وشـــكري للإلـــه يـــدوم حقـــا　　علـــى نعمائـــه فـــي كـــل حال
ظهـــير الديـــن يرجو ما تمنى　　وطـــه المصطفى جدي يرى لي
كمـــا العفـــو مـــن رب كريم　　ويكفينـــي مـــوال بـــالأذى لـــي
علـــى طـــه صـــلاة كـــل يوم　　إذا أنســـيتها تجـــري بـــبال
كـــذا آل وأصـــحاب جمـــيعا　　وكـــل التابعيـــن علـــى التوالي

الفقيه أبو الحسن علي الشامي يهنّئ المؤلف

ومما خاطبني به بفاس سنة 1026هـ صاحبنا الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي الفاسي الشهير بالشامي يهنيني ببنت[1] ولدت لي ما نصه:

يا بدر تم العلم دم نيرا ... تقتبس الأعلام من محفلك
واهنا بذي الشمس التي أصبحت ... أنوارها تلتاح في منزلك
وابشر ببدر طالع بعدها ... يكمل الأرب من ما ملك

ووصلها بنثر نصه: نظمت البارحة لتخاطب، فكلت عن الخطاب، ورأت أن وردها الزعاق لا يستعذب، بجنب تلكم المناهل العذبة ولا يستطاب، فنكصت على العقب، ووقفت وقفة خائن متنقب، أوخائف مرتقب، وأما الجواب فلا طمع لها أن تكون من أهله، ولا طمح لها في عله ولا نهله، فحسبها إخلاص الطوية. والجري في سنة الأدباء على السبيل السوية، والسلام، انتهى.

فأجبته بقولي:

يا فرع أنصار سما مجدهم ... فوق السما زكيت من أولك
أهل المقامات التي سعدها ... يحكم فيما اعتاض حكم الملك
جوابكم أخرته قاصرا ... ومن يبارى السحر من مقولك
لا زلت في أوج العلا راقيا ... تفصيله يعلم من مجملك

ومما خاطبني به المذكور قوله[2]:

أمفتي فاس زند شوقي قد ورى ... بخير الورى فانقاد طوع عنان
وهبت صبا نجد فهاجت صبابتي ... وساعد بلبالي بيان بنان
وصالت على أوصال فكري فاقلعت ... عرائس غرس من جنان جنان
وقد ذوت الأغصان وانتثرت ... بها أزاهرها تحكي نثير جمان
وهذا أوان الغرس جودوا بنقلها ... لروضكم تحظى بنيل أمان
98/وعذرا فلا يخفاك نزر بضاعتي ... ومن لي ببكر ترتضي وعوان
ومن لي بما يرضى حل وطأة العلى ... وما لي بما كلفتموه يدان

---

[1] وهي البنت التي تركها في مدينة فاس حين رحل إلى المشرق ومات دون أن يلتقي بها. وكان شديد الحنان عليها، كثير الشوق إلى رؤيتها وهو ما تثبته أشعاره الكثيرة. وقد بعث رسالة من القاهرة إلى شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي بالمغرب سنة 1041هـ يطلب منه الإشراف على تزويجها، لأنه تعذر عليه الرحيل إلى المغرب وتولي ذلك بنفسه. محمد بن عبد الكريم، المقري. ص: 97.

[2] الأبيات الخمسة الأولى واردة في أزهار الرياض، ج3، ص: 282.

فلازلــتم والــروض مــنكم معطر　　وأزهـــاره تــزهو بكـــلِّ اوان

وسبب نظمه هذه الأبيات أنه نظم عدة أمداح في النعل النبوية الشريفة على مشــرفها أفضــل الصلاة وأزكى السلام، وأرسل بها إلي لأثبتها في موضوعي المسمى بأزهــار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها بما يحصل به للنفس ارتــياح وللعقل ارتياض، وقد أثبت ذلك في الكتاب المذكور[1]، وفي فتح المتعال في مدح النعال والله ولي التوفيق.

ومما خاطبني به المذكور قوله:

سـيدنا المفتـي الإمام الرئيس　　ومـــن له يرجو الفقير البئيس
مـا قولكـم في جاهل قد أتى　　يـنظم حصـباء بـدر نفـيس
أترضون الحد أم صفحكم عنه　　ومـا الصـفح بفعـل خسيس
جوابكـم عن ذاك لازلتم تعلو　　علـى الجـوزاء بأصل أسيس

وجـه هذه الأبيات المذكورة مع قصيدة سماها الغليلة الفكرية بتخميس الوسيلة البكرية[2] وهذا نصها:

يـا مـن له مثلي الأسى ينسل
مـن حـدب الأهوال مسترسل
انهـض وقـل قـولا به تبسل
ما أرسـل الرحمـن أو يرسل　　مـن رحمـة تصعد أو تنزل

فـي نظـم نجم راق في سلكه
وبـر أو بحـر وفـي فلكـه
وكـل كـون عـدّ مـن ملكه
في ملكـوت الله أو ملكـه　　مـن كل ما يختص أو يشمل

مـن مـنهل يحلـو لـنا ورده
أو مـربع يعلـو بـه رنـده
أو محفـل يجلـو المـنى رفده
لا وطـه المصـطفى عـبده　　نبـيه مخـتاره المرسـل

مـن إن تـراءت أزمـة حلها
مـن حـط عـن أمـته كلهـا

---

[1] المقري، أزهار الرياض، ج3، ص ص: 272-282.

[2] نسبة إلى أبي المكارم شمس الدين محمد البكري الذي ورد التعريف به في الهامش رقم: 1، ص: 113. والقصـيدة مشـهورة، وهي مما يتوسل به لقضاء الحوائج، وقد أوردها المؤلف في كتابه أزهار الرياض، ج4، ص: 162 رواية عن الأديب الرحالة محمد ابن راس العين.

مــن حــاز أوصاف العلى كلها
واســطة فــيها وأصــل لها يعلــم هــذا كــل مــن يعقــل

مــن لحمــاه يفــزع الملتجــي
مــن لــنداه يهــرع المرتجــي
مــن نفحة الرضوان منه تجي
فلــذ بــه فــي كل ما ترتجي فهــو شــفيع دائمــا يقــبل

مــن نصــره كل البرايا غشي
مــن نــوره مــن الهدى ينتشي
مــن لجا له في كل ما يغتشي
وعــذ به من كل ما تختشي فإنــه المأمــن والمعقــل

وســله إن خطــب عــرا رفده
واصحب متى ركب سرى وفده
واقــبس وإذا زنــد ورى زنده
وحــط أحمــال الــرجا عنده فإنــه المــرجع والموئــل

وإن جــيوش البغــي يوما أبت
ألا تمــادى الغــي واستعصبت
فاهــتف بــه إذ غوثــه قد ثبت
ونــاده إن أزمــة أنشــبت • أظفارهــا واســتحكم المعضــل

يــا قاهــر العــدوان في سربه
يــا ســاتر النشــوان في شربه
يــا ناصــر الحيران في كربه
يــا أكــرم[1] الخلق على ربه يــا خــير مــن فــيهم به يسأل

كــم أبدلــت علياك من عسرة
فــي غــيرة تــبدو وفي ضرة
يــا خــير مــن ينمى إلى مدة
قــد مســني الكرب وكم مرة فرجــت كــربا بعضــه يذهــل

ضــاق الفضا عني بخطبي كما
أظلــم مــنه الافــق واستر كما
وأســكت التقصــير منــي فما

---

[1] في الاصل: يا كرم، والتصحيح من أزهار الرياض.

يَـن تـرى أعجز مني فما لشـــدة أقـــوى ولا أحمـــل

جــار علـــى الحكـم لما جرى
مـــن الهوى القاضي فما أفجرا
وصـــرت منـــبوذا وراء الورى

ـبالذي خصـك بين الورى برتـــبة عـــنها العلـــى يـــنزل

ونفحـــة تـــندى بعـــرف ذكـــي
ونســـمة تعـــزى لفـــرع زكـي
ورحمـــــة تـــــنهل للمشـــتكي

عجـل بإذهــاب الذي أشتكي وإن توقفـــت فمـــن أســـأل

بـــرق المنى من نوركم أومضا
يعشـــو له مـــن قد أتى أو مضا
فجـــد ومن جودك لطف القضا

حيلتـــي ضاعت وصبري انقضى ولســـت ادري ما الذي أفعل

ولـــيس مـــن مـــنجا ولا ملجأ
ســـواك فـــي غـــير مـــا ملجئ
وهـــل لـــنا غـــيرك من مبرئ

نـــت بـــاب الله أي امـــرئ أتـــاه مـــن غـــيرك لا يدخـــل

كـــم مـــن عـــنايات لكم كافحت
عـــن مبـــتلى مثلي وكم نافحت
وعـــن ذنـــوب جمـــة سامحت

صـــلى عليك الله ما صافحت زهـــر الروابـــي نســـمة شمال

صـــلاة عـــبد جـــاءكم ملحمـــا
ســـدى رقـــيقا نســـجه ملحمـــا
لكـــل ذي حقـــد ومســـترحما

مسـلما مـــا فاح عطر الحمى وطـــاب مـــنه الـــندى والمندل

عـــبد لكـــم نجـــواه قد أفردت
علـــياك بالشـــكوى التي أوردت
تندى على مثواك ما استطردت

والآل والأصـــحاب ما غردت ســـاجعة أملودهـــا مخضـــل

إجازة المؤلف لمحمد بن يوسف التاملي المراكشي

/99/ الحمد لله، ولما قدم علينا فارس ميدان اليراعة والبراعة أستـ المقرئين المجودين، الفقيه الأستاذ سيدي محمد بن يوسف التاملي المراكشي[1] في مدينة فاس بربيع الآخر سنة 1026هـ، وأنزلته عندي خاطبني أواسط جمادى الأولى من العام بما نصه:

أموقظ جفن العلم[2] من بعدما أغفى	وباسط كف البذل من بعدما كف
ومحيي رسوم الأكرمين التي عفت	ومجري معين العلم من بعد ما جف
إمام رست للحفظ في رحب صدره	شماريخ العلى لا يعلى كنهها وصف
حنيم علنيم سيد ساد ماجدا	وشاد لنا في الغرب فخرا فلا يعفى
له قدم في العلم والحلم والتقى	وناهيك حبر زاد من ربه خوف
وحارت قوافي الشعر في وصف شأنه	كما حار طرف الراء في حسنه وف
أيا من يباري بالقريض تعسفا	محاسنه ألزمت نفسا بها عنف
فيا عجبا ممن يحاول حصرها	وفي نزرها يغني القراطيس والحف
عليك به يا طالب العلم مقصدا	ومازال للطلاب في علمه كهف
محبك سيدي يروم إيابه وقد	شام من بروق آلائكم وكف
يحن نصيبية تخلفها ورا حنين	القطا لوكر أفراخه خلف
يمد يديه بالضراعة والرجا	ليصحبه الرضوان منكم له سجف
ويرغب منكم إجازتكم له بمرويكم	عسى تكون له زلفى
وينشدكم بيتا تقادم عهده	لصاحب ود إذ ينادي به الف
وإن يك جثماني بأرض سواكم	فقلبي دهرك لغيرك لا يلفى

فأجبته بقولي[3] والزمان والله المستعان:

أيا ماجدا أعيت محاسنه الوصفا	وإنسان عين الود والأخلص الأصفى
ومشكاة أنوار القراءات والأدا	وساحب أذيال الكمال على الأكفا

---

[1] الاستاذ المجود، الأديب الفهامة، أحد فقهاء المغاربة المشهورين. له مبادلات أدبية مع المؤلف، قال صاحب الخلاصة: إن علم فضله أشهر من نار على علم، وقال: إنه لم يقف على تاريخ وفاته. ولكن إحدى رسائله إلى المؤلف تفيد أنه كان حيا سنة 1038هـ كما اقتصر صاحب الخلاصة على نقل البيتين الأول والثاني فقط. المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص: 271 - وانظر نفح الطيب، ج2، ص: 470.

[2] في خلاصة الأثر: الدهر.

[3] الأبيات الثمانية من الثاني إلى التاسع واردة في خلاصة الأثر.

وحائــز أشتات الفضائل من غدت ... مآثــره فــي ... معرب ... [illegible]

بعثــتم بطــرس بل بزهر مؤرج ... تعطــرت الأرجــاء من نشره عرفا

وملتم أعلى الإله مقامكم وألبسكم ... مــن عــزه المنــسب الأصــفى

مــن القاصر الباع الجهول إجازة ... ألــم تعلموا أن السلامة[3] في الأعف

ولســت بــأهل أن أجاز فكيف أن ... أجــيز ولكــن الحقــائق قــد تخفى

وضــواء فكري غيرتها حوادث ... فآونــة تــبــدو وآونـــــة تطفــا

ولــولا رجائي منكم صالح الدعاء ... لما سطرت يمناي في مثل ذا حرفا

ولكــن بحكــم كاضطرار أجبتكم ... لعــل إلهــي يقــبل العدل والصرفا

وهــا أنــا ذا أشهدت أني أجزتكم ... على السنن المعلوم والمقصد الأوفى

جمــيع تآليفــي ونظمي وإن وهي ... ونـــثري وإن حاز الركاكة والضعفا

وكــل الذي أرويه عمن لقيته من ... الســادة الغر الالى أحسنوا الرصفا

كسـيدنا مفتي تلمسان عمنا سعيد ... فكـــم نلـــنـــا معارفـــــه قطـــفا

عن أشياخه من أهل فاس وغيرها ... كمـــثل ابن هارون وأعظم به كهفا

رعـــى الله عهــدا كان فيه إمامنا ... ووالـــى علـــى مثواه رحمته عطفا

ولا تغفلونـــي مـــن دعـــائكم إذا ... مددتـــم بـــباب الله ســـبحانه الكفـــا

وعند قبور الأولياء وذكرهم عسى ... نـــرتوي مـــن بحـــر غفرانه غرفا

وإن جهل الناس الحقوق بعصرنا ... فمـــثلك من راعى العهود ومن وفى

وكاتـــب هـــذا المقري مؤمل من ... الله جـــل العـــون والـــبر واللطفـــا

بجـــاه شـــفيع الخلـــق موئلنا الذي ... نومـــل يوم الحشر من حوضه رشفا

علـــيه مـــن الرحمن أزكى تحية ... نـــنال بهـــا حسن الختام مع الزلفى

وقلت معتذرا بديهة:

أقـــبل فديـــتك مـــا تيســـر ... مـــن أخ راعـــى الـــوداد

لـــم يجـــر فـــي شاو الأخا ... يومـــا علـــى غير السداد

فلـــو اســـتطاع أنـــالكم ... مـــا فـــيه نـــيل للمـــراد

---

1 في خلاصة الأثر: مفاخره.
2 في خلاصة الأثر: المطرف.
3 في خلاصة الأثر: الصواب.

رسالة من عبد العزيز الفشتالي إلى المؤلف

وكتب لي الوزير، الجليل الكبير، الشهير الصيت بالمشارق والمغارب. صاحبنا صاحب القلم الأعلى بالمغرب، وواسطة عقد ملك موالينا الأشراف أيدهم الله ونصرهم، سيدي عبد العزيز الفشتالي[1] شكر الله سعيه بما نصه:

يا نسمة عطست بها أنف الصبا	فتضمخت بعبيرها قنن الربى
هبي على ساحات أحمد واشرحي	شوقا إلى لقياه[2] شرحا مطنبا
100/ وصفي له بالمنحنى من أضلعي	قلبا على جمر الغضى متقلبا
بان الأحبة عنه حي قد توى	منهم وآخر قد نأى وتغيبا
فعساك تسعد يا زمان بقربهم	فأقول أهلا باللقاء ومرحبا

السيادة التي سواها الله من طينة الشرف والحسب، وغرس دوحته الطيبة بمعدن العلم الزاكي المحتد والنسب، سيادة العالم الذي تمشي تحت علم فتيء العلماء الأعلام، وتخضع لفصاحته وبلاغته حملة الأقلام وصيارفة النثر والنظم. كلما خط أو كتب، وإذا استطار بفكره الوقاد سواجع السجع، انثالت عليه من أوكارها ونسلت من كل حدب، وحكت بانسجامها السيل والقطر في صبب، الفقيه العالم العلم، والمحصل الذي ساجلت العلماء لتدرك في مجال الإدراك شأوه فند. سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفتيا، ومالك الملكة في المنقول والمعقول من غير شرط ولا ثنيا، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد المقري أبقاه الله للعلم يفتض أبكاره،ويجني من روضه اليانع ثماره، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه المحب الشاكر عن ود راسخ العماد، ثابت الأوتاد، مزهر الأغوار والأنجاد، ولا جديد إلا الشوق الذي تحن إلى لقياكم ركائبه وترتاح، وتحوم على مورد الأنس بكم حوم ذات الجناح، على العذب القراح، جمع الله الأرواح المؤتلفة على بساط السرور وأسرّة الهنا، وأتاح للنفوس من حسن محاضرتكم قطف المشتهى، وهو غض الجني، وقد اتصل بالمحب الودود الرقيم الذي راقت من سواد النقس وبياض الطرس شياته، وأرانا معجز أحمد فبهرت آياته، وخبا سقط الزند لما اشرقت من سماء فكركم آياته، فأطربنا بتغريد طيور همزاته، على أغصان ألفاته، وعوذنا بالسبع المثاني بنانا أجادت نثر زهراته عل صفحاته، ثم

---

[1] الفقيه الكاتب السفير الوزير أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم التغلبي الفشتالي (ت 1031هـ)، كان منذ صغره رفيقا لمخدومه المنصور السعدي، وآية من آيات الله في النظم والنثر، وكان أديبا عذب اللسان، مقدما في الفضائل والمحاسن، إلتقى به المؤلف في مراكش المحروسة خلال رحلته الأولى إلى المغرب الأقصى. المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس. ص ص: 112-163 – المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص: 425.

وقد أورد المؤلف نص هذه الرسالة في كتابه نفح الطيب أيضا.ج 6، ص:56.

[2] في خلاصة الأثر: رؤياه.

..رنا بتضاعيفه بسوق الرقيق، فرمنا السلوك على منحاها فعمي علينا الطريق، .فنا واها على سوق ابن نباتة وكساد رقيقها، واستلاب البهجة عن نفيس دررها . ...يقها، لا كسوق نفق فيها سوق الغزل؛ وعلا كعب الرامح والأعزل، وتظافر عـــى ســحر النفوس والألباب هاروت الجد وماروت الهزل، وقد ألقينا السلاح .جنحــنا للسلم وتهيأنا للسباحة، فوقفنا بساحل اليم وسلمنا لمن استوت به سفينة ...بلاغة على الجودي، فابنا والحمد لله على السلامة بالفهاهة والعي، وقلنا مالنا ..لإنشا، فهو فضــل الله يوتيه من يشا.

وعذرا أيها الشيخ عن البيت الذي عطست بع أنف الصبا، فقذفت به البديهة ..ن الفــم، وشرقت به صدر قناة القلم، كما شرقت صدر القناة من الدم، وأمّاما حمــل الرســول من الكلام في صورة الملام، لا بل مدام، أترع به من سلاف ..حبة كاس وجام، فلا وربك ما هي إلا نفحة نفحت، لا سموم لفحت، هززنا بها جــذع أدبكــم كي يتساقط علينا رطبا جنيا، ويهمي ودقه على الربع المحيل من فكرنا وسميا ووليا، فجاد وأروى وأجاد فيما روى، وأحيا من القرائح ميتا كان حديــثا يــروى، وطرسا بين أنامل الأيام ينشر ويطوى، أحي الله قلوبنا بمعرفته .بواســم رحمته، وعرج بأرواحنا عند الممات إلى المحل الأخص بالمؤمن من حضرته.

وأهــدي الســلام المزري بمسك الختام إلى الفقيهين الأمجدين، الصدرين .نجديــن، الفذيــن التوأميــن، الفاضــلين المجيدين، فارسي البراعة واليراعة، .رئيســي الجماعــة فــي هذه الصناعة، رضيعي لبان الأدب، وواسطتي عقده، .مجيلــي قدحه المعنى، ومورِيي زنده، المتمتعين بشميم عرار نجده، الكارعين ..بحر الفياض من هزله وجده، الآتيين بالجنس والفصل من رسمه وحده، الكاتب ...بارع أبي الحسن سيدي علي بن احمد الشامي، والكاتب البليغ/101/ أبي عبد . سيدي محمد بن علي الوجدي[1]، وأقرر لديهما الود المستحكم المعاقد، الصافي .ـناهل، العــذب المــوارد، وإني قائم بورد الثنا عليهما دائما لدى المقام العلي .سامــي الناصــري، دام سلطانه، وتمهدت أوطاره وأوطانه،(وستتجلى لهم إن .ـ الله عند الإطلال على البلاد، وحل عقال البين والبعاد، نتائج تلك المقدمات، .بوافح تلك النسمات، والسلام التام معاد عليكم ورحمة الله وبركاته)[2].

وننهي إليكم أن المحب الفقيه الأستاذ سيدي محمد بن يوسف[3]، طلق اللسان ..شــكر، صــادح علــى أيك الثناء عن تلكم السيادة بما واليتموه به من جزيل .حسان، وقابلتموه به عند الورد والصدر من البشر والكرامة وجميل الامتنان،

---

[1] سبق التعريف بالأول في الهامش رقم: 1، ص: 46، وبالثاني في الهامش رقم: 1، ص: 181.
[2] هذه الفقرة غير موجودة في نفح الطيب.
[3] هو المعرف به في الهامش رقم: 3، ص: 192.

وبه وجب الكتب إليكم، والله يرعاكم، وفي يوم الخميس موفى عشرين من المحرم الحرام فاتح سنة 1027هـ، المحب الودود الشاكر عبد العزيز بن محمد الفشتالي لطف الله به وخار له بمنه وكرمه، انتهى.

نقل الكاتب علي الشامي لهذه الرسالة وإجابته عن أبياها:

ولما نقلها الكاتب سيدي علي الشامي، كتب في أول ترجمتها ما نصه: من إنشاء كاتب الإنشاء، ووزير القلم بالديوان المراكشي السعيد، سيدي أبي فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي أسماه الله تعالى يخاطب الإمام العلامة مفتي الحضرة الفاسية، ومالك قلادتي الإمامة والخطابة، بمسجدها الأعظم عمره الله بذكره، أبا العباس سيدي أحمد بن محمد المقري، دام حفظه وأجزل من كل حظ حظه، انتهى.

وكتب بآخرها ما نصه: ولكاتبه علي بن أحمد الشامي المذكور فيها سامحه الله مجيبا عن أبياتها مقرا بالعجز عن معارضة آياتها:

نمت نوافح عرف أنفاس الصبا	فنما بها روض الوداد وأخصبا
نثرت جوهر سلكها فتتوح	الحسن البديع بدرها وتعصبا
ورمت محاجر منحنى ذاك الحمى	فغدا بها خيف القلوب محصبا
وروت أحاديث الغرام صحيحه	فشفت فؤادا من بعادك موصبا
لا غرو إن طارت حشاشة لبه	طربا فما خلو الغرام كمن صبا
لازلتم والزهر ينشق عرفكم	والزهر تحسد من كمالك منصبا

المؤلف في مجلس قراءة صحيح البخاري بالقرويين

ولما قرأنا صحيح البخاري بمحضر القاضي والأعيان برمضان سنة 1025هـ، ومر بنا قول البخاري: اسقنا كأسا دهاقا، وهو متزن، قلت بنية أصف المجلس والحال:

ضمّنا مجلس علم	مدّ للبحث رواقا
فيه أعلام صدور	كلهم في الفهم راقا
وردوا من منهل	التحديث ما يحلو مذاقا
وخصوصا في البخاري	اصطباحا واغتباقا
يا منيل القوم شربا	اسقنا كأسا دهاقا

فقال الشامي المذكور مجيبا لي:

بدركم في الأفق راقا	وعلا الكل وفاقا
وكؤوس العلم منكم	خمرها يحلو مذاقا

يـــا إمــام العصــر يا من	حــاز فــي العلــيا استباقا
فأدرهــا خمــر علــم	واســقنا كأســا دهاقا

وكتـب قـبل ذلـك ما نصه: أنشدنا سيدنا الإمام العلامة، مفتي الحضرة الفاسية، أبو العباس أحمد المقري أبقاه الله، بمجلس قراءتنا حديث البخاري مع شيخنا قاضي الجماعة أبي القاسم بن أبي النعيم[1] دام عزه بمسجد القرويين صبيحة الخميس عاشر شهر رمضان عام خمسة وعشرين وألف، لنفسه مقتبسا عند قـول البخاري: اسقنا كأسا دهاقا، واتفق أن كان موزونا حسبما وقع لابن شيخ ابـن غازي: ضمّنا مجلس علم، الخ، فقلت أخاطبه مجيبا: بدركم، الخ، انتهى.

والـذي اتفـق لابـن الشيخ ابن غازي في ذلك، هو أن بعضهم أنشده ما صورته:

اسـتبقـنا لأحاديـث	الـبخـاري اسـتـباقا
فرويـنا ورويـنا	ولـقد كـنا شـياقا
دمـت يـا ابن الشيخ فينا	فاسـقنا كأسـا دهـاقـا

الشيخ عبد الرحمن الملاح يخاطب المؤلف

ولما حللت مصر المحروسة، خاطبني أديبها الشيخ عبد الرحمن الملاح[2] بهذه القصيدة الحالية بالمحاسن، العاطلة من النقط وكتبها لي بخطه كما هنا 102/ وهي قوله حفظه الله:

هـل عسل أم سكر أم مدام	مسلسـل حـل حـلالا مـدام
أم دوح كـرم كـرمه طـارح	وعـوده أعـلاه صاح الحمام
أم أسـه كللـه طلـه	أم طلعـه أطلـع عطر الكمام
أم لهـلال طـالع سـاطع	كـل كمـال وهـو كـل مرام
كـل ملاح العصر طوع له	محكـم حكـم طـول الـدوام

---

[1] أبو القاسم محمد بن أبي القاسم بن محمّد ابن أبي النعيم الغساني (ت 1032هـ) قاضي حضرة فاس. أخذ عن الإمام المنجور والقاضي الحميدي والمفتي السراج وغيرهم. انفرد بمعرفة البيان وبرز فيه على أهل عصره، مع المشاركة في الأصلين والمنطق والعربية والعروض والتفسير. أخذ عنه المؤلف النّصف من كتاب التلخيص. المقري، روضة الآس، ص ص: 335-336.

[2] عـبد الرحمـن بـن يحي بن محمد الملاح الحنفي المصري (ت1044هـ) الناظم الناثر. الكاتب الشـاعر،أوحد أهل زمانه، المتميّز بالفضل على أقرانه، صاحب النظم الرقيق. كان له حظوة تامـة عـند الأسـتاذ الشـيخ زين العابدين بن محمد البكري، ثمّ لازم بعده أخاه ابا المواهب. المحبي، خلاصة الاثر. ج2، ص: 404.

صـــدوده أمـــــر مهـــــم ومـــا / أحـــلاه لـــولا لاح معه الحمام
وهـــــل رداح دلهـــــا دلهـــــا / كمـــا لهـــا الكـــامل للصد سام
وهـــــل هــــلال لاح أم أحمــــد / العـــالم العـــامل صـــدر الكرام
لـــه علـــوم وهـــو أهـــل لهـــا / ومـــا لهـــا وهـــو إمـــام أمام
والحلـــم والعلـــم له ســـرمد / والله أعطـــاه علـــوم الكـــلام
طـــود همـــام أســـد كاســـر / أولاه مـــولاه كمـــال الكـــلام
لـــه عـــلاً وهـــدأ وكـــم / ســـاد وأعطـــاه العلـــوم السلام
كـــــل علوم الدهر ملك له / كالســـعد مـــولا وكملا عصام
/103/ مكـــرم أكـــرمه الله كم / لـــه كمـــال وهـــو طود همام
وعلمـــــه كملـــــه حكمـــــه / دام له الســـعد وللســـعد دام
دام دوام الدهـــــر مـــع ســـؤدد / طـــول المدا ما مر دهر وعام
وكـــل مـــدح حـــل إكمالـــه / وأوصـــل الله له لطه السلام
والآل والأوس وأصـــــــهاره / مـــا وصـــل الله لكـــل مـــرام
والمـــدح والحمـــد لكـــم كلـــه / لاح مـــع المـــلاح حلو الكلام

محمد بن سالم السنهوري يمدح المؤلف

ومما كتبه لي بمصر الفقيه الشيخ محمد ابن شيخ المالكية بمصر المحروسة سيدي الشيخ سالم السنهوري[1] المالكي، حفظ الله الأحياء ورحم الأموات، قوله:

يـــا مـــن هو المأمول والمأرب / والكـــنز والجـــامع والمطلـــب
ومـــن أتـــى مصـــرا فعزت به / وأهلهـــا عـــن فضـــله تعـــرب
والله مـــــا نـــدري إذا فاتـــنا / قصـــد إلـــيكم مـــن له نطلب
أقســـم بـــالله الـــذي بطشه منه / الرواســـي ضـــيقة ترهـــب
إن زمانـــا قـــد وجدتـــم بـــه / لـــذاك دهـــر ثغـــره أشـــنب
وإن أرضـــا قـــد مشـــيتم بهـــا / لـــتلك أرض تـــربها مخصـــب
وإن بيـــتا قـــد ســـكنتم بـــه / لـــذاك بيـــت دونـــه الكوكـــب
وإن عـــبدا قـــد نظـــرتم له / لـــذاك عـــبد ســـعده أقـــرب
فانظـــر إلـــى عبدك هذا الذي / أضـــناه دهـــر موهـــن متعـــب

---

[1] والد صاحب القصيدة هو سالم بن محمد أبو النجاة السنهوري (ت1015هـ) مفتي المالكية بمصر وعالمهـا الإمام الكبير، ومفتيها ومحدثها الشهير خاتمة الحفاظ، إليه الرّحلة من الآفاق، أخذ عن البنوفري واللقاني والأجهوري والرّملي وغيرهم، له شرح جليل على المختصر ورسالة في ليلة النصف من شعبان، وغير ذلك. محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 289.

وكـــاد للعيلة والفقر أن يقضي أســـــى أو للفلـــــى يذهـــــب
وقـــد مـــلأ حـــبكم قلـــبـــه وعـــــنكم والله لا يقلـــــب
لازالـــت الآمـــال فـــي حـــيكم عاكفـــة إذ وردهـــا أعـــذب
ولا برحـــتم عـــون مـــن أمكم دهـــرا خصوصا من بكم يحسب
بجـــاه خـــير الخلـــق طه الذي أثـــاره عـــن ربـــه تكتـــب
صـــلى علـــيه الله مـــا رجعت ســـاجعة تغـــريدها مطـــرب
والآل والأصـــحاب أهـــل الولا مـــا انهـــل غيـــث مغدق يسكب
محمـــد مـــادحكم حاكهـــا فـــي مدحكـــم عـــل بـــه يقـــرب
لازلـــت يـــا والـــده سالما من كـــل ســـوء مـــا بـــدا غيهـــب
فـــي رفعـــة تعنو أسود الشرى لعـــزها أمـــثالها تضـــرب
لازال ســـنهوريكم داعـــيا لكم دوامـــا عـــنـــه لا يحجـــب

وكتـــب بعـــده، مـــا صورته: خدمة عبدكم، وخادم أعتابكم، أحقر الورى. وخـــادم نعال الفقراء، العبد الفقير الداعي محمد ابن المرحوم شيخ الإسلام الشيخ سالم السنهوري المالكي، انتهى. والله يبلغ المراد بجاه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه.

مخاطبات أبي الحسن علي الشامي الفاسي للمؤلف

/104/ الحمد لله، كتب إلي سيدي علي الشامي الفاسي ملغزا في أمس بمـ نصه:

أيا من به روض المعاني تعطرا ... ويا خير حبر خط حرفا وسطرا

ومن إن دجت للمشكلات غياهب ... أنار دجاها للأنام وُأظهرا

ومن سح في الآفاق غيث علومه ... فدبج أرجاء المعالي وحبرا

ومن حاز هذا الغرب فخرا بفخره ... إذا أمّ محرابا ويمّم منبرا

ومن أصبحت منه المعاني بنشرها ... تنفح شحرا أو تنفس عنبرا

إذا أخذ المنساة قلبت بيانه ... ينفث سحرا أو يفجر كوثرا

وإن أخذ القرطاس خلت بنانه ... ينثر درا أو ينظم جوهرا

أبن لي ما اسم ذو حروف ثلاثة ... وفي العد أربى عن مئين وأكثر

يرى من حروف العطف إن زال ... ثلثه وإن زال ثلثاه تراه مصدر

وإن تعكس التحريك من طرفيه قل ... إذا أنت زدت الهمز والمد مصدر

تخاله فعلا ماضيا إن عكسته ... وإن تعكس الثلثين فاسما محدر

وما هو فعل أو بحرفين يرى[1] ... ولكن له بالحرف شبه تقرر

تعرفه من غير حرف وإن ترم ... تعرفه بالحرف يوما تنكر

وإن ضم منه الصدر صار مضارعا ... ولعظة أمر وهو ماض بلا امتر

وإن أنت أجريت العوامل كلها ... على لفظه لم تلفه متغيرا

وإن رمته أن يستقيم كسرته ومهما ... فتحت الكسر أمسى مغيرا

ومهما عملت الفكر في قلبه سما ... ومهما أزلت القلب منه تعطرا

وإن أنت قد صدرته بمصحف ... الأخير بدا كالشمس يلتاح نيرا

وثلثاه من شمس على حسن نورها ... ولم يبد مع ذا للأنام ولم يرى

وكله نصف الياسمين لذي النهى ... ومن طرفيه الآس يبدو معطر

متى بات يوما عنك فات ولم ... يعد إليك التفات منه إن هو أدبر

به تضرب الأمثال في كل معوز ... رجوعه فافهم دمت للفهم مفخرا

وتصحيفه إن زال صدر مبين ... وفي قلبه سم وقيت فاحذرا

وتصحيفه أيضا بقول الهنا ... إذا جاءهم أمر من الأمن أظهرا

كما هو أيضا في الشريعة ناقض ... وضوء أو بيعا فانظر له مفسرا

أديموه دمتم للمعاني تبينها ... فمن بحركم نهر المعاني تفجرا

وهاك اسمه استخرجه منه وإن تشا ... خروجه في خمس فدونك منظرا

---

[1] كتب في الأول: وليس يرى فعل أو حرف. ثمّ شطب وكتب فوقه هذا الشطر.

وقد كاد هذا النظم ينطق باسمه — وبالغ في الأوصاف منه وفسرا
وما قصده إلا التشرف منكم — برد جواب يستلذ لدى الكرا
فجودوا ولو بالنثر منكم برده — فما عاب درا عقده إن تنثرا
ولازلت تغشاكم تحية وابق — على ودكم طول الزمان تقطرا
وعش في أمان ما ترنم طائر — وما فاح زهر في الربى وتعطرا
ودونكها عذرا تضوع نشرها — بذكركم في البدء والختم عنبرا

فأجبته بما لم يحضرني الآن منه إلا قولي:

أدرها سلافا فالنسيم قد انبرى — وارج بالأفاق ندا وعنبرا
وكرر على الأسماع طيب حديثها — وشم برقها الشامي إذا طاب مخبرا
كما راق لغز جاء بالأمس من — رضى له في المعالي محتد لن يعبرا

ويكتب إليه مودعا:

ولما أزمعت الرحلة إلى الحجاز، وقدمت حقيقته على ما كنت فيه من مجاز، وذلك برمضان سنة 1027هـ، خاطبني بما نصه:

ودعتكم متأسفا لفراق — بحشاشتي وبدمعي المهراق
فتفطرت هاذي لفرط لهيبها — وتنثرت هاذي كما الأوراق
لا تعجبوا فالنأي صعب هل يرى — له في الورى من مبرئ أوراق
والله لولا الوصل شيء يرتجى — لتمزقت بأديمها أحداق
لكن آمال اللقاء ورجاؤه — دأب المحب وسنة العشاق
يا راحلا رحلت لذكر رحيله — حلل السرور وخيمت أشواق
بالله بالله إذا نلت المنى — وظفرت من ذاك الحمى بتلاق
بلغ سلاما من غريب ساكن — أقصى المغارب واجل مشتاق
متوسل قد أغرقته ذنوبه — ببحار هلك أيما إغراق
لضريح خير المرسلين كرامته — وإمامهم طرا على الإطلاق
وصل الصلاة عليه ما هبت — صبا وتطوقت ورقاء بالأطواق
فعساه يسمح من نداه بزورة — ويمن بعد الأسر لي بطلاق
لازلت والإقبال يقدم ركبكم — ما جرح الأحشاء سيف فراق

وكتب إليه أيضا:

/105/ وكتب لي أيضا إذ ذاك بما نصه: ولما تكاثرت الأوجال، وسرح الفكر في ميدان هذا الفراق وجال، انفسح المجال وأنشد معيدا بإملاء الروية والارتجال:

فراق ومنه حبة القلب تفرق ... وبعد وفيه مقلة الدمع تهرق
وحزن وشوق لو وصفت كليهما ... لما طاقه نقس يقاس ومهرق
الى الله نشكوها لواعج زفرة ... يكاد لها فلك العوالم يخرق
شكونا الى سفح النقى حر ... نارها فألفيته مثلي بذلك يحرق
وراودت اقطار الفضا من صابها ... فكانت بها مثلي تعص وتشرق
ايا من طوت عنا يد النأي انسه ... فكان كطيف في دجى الليل يطرق
اودعكم لا بل اودع مهجتي وأودِ ... عَكم قلبي وحاشاك يسرق
فسر في أمان الله لازلت صاعدا ... وبدرك في كل المنازل يشرق
تسير مسير الشمس أين توجهت ... أضاء بها في الأرض غرب ومشرق

ويكتب إليه ثماني مقطوعات:

ولما صنفت أزهار الرياض، وأوقفته عليه، كتب ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم، الحمد لله المنعم المنان، الذي امتن بمشارق أنوار الفضل على من شاء من عباده أي امتنان. والصلاة والسلام علي سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى، ونبيه غنية أهل الصفا، وبغية رائد الشفا، المنتقى المختار من ولد عدنان، وعلى اله واصحابه الذين ابقوا من المفاخر، ما لم يبقه أول ولا اخر، وانتقوا من الماثر، ما أعي الناظم والناثر، وبرزوا بالمقاصد الحسان، على كل إنسان، فلم يشق لهم في مضمار الفخار عنان وبعد:

فلما أوقفني على هذه الرياض، المغدقة الحياض، المورقة الأفنان، وأرشفني ثغور هذه الأزهار، المزهية الأثمار، المزرية بأزهار الجنان، مؤلفها ومنشئها. الذي ولعت بحبه حبات الجنان، وأجمعت على فضله جهابذة الفضل، فلم يختلف فيه منهم اثنان، وهو الفقيه الإمام، العالم العلم، الحافظ الرّاوية، المحدث مفتي الحضرة الفاسية وخطيبّها، وإمام مسجدها الأعظم، السيد السند، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري، وصل الله مجده، وحرس كماله، واسمعني منها حفظه الله جملة جميلة من لفظه، وأملي عني من قصائدها عدة حفيلة من وافر حفظه. واجازني ذلك كله، وجميع مروياته الحميدة الآثار، وكل ما أسنده أو أسند إليه من نظام أو نثار، حسبما كتب ذلك بخطه بمحول هذا الصفح، وعاملني فيه دام حفظه بما عهد عنه من جميل المعاملة والصفح، إجازة تامة قرت بها العينان، وأصبح منها روض المودة مورقا غينان.

رأيت من واجب الإنصاف، ولازم حقوق التصاف، أنها مما يجب أن ينطلق في وصفها العنان، وينتشق من عرفها الجنان ويستبق للمساجلة في مدحها اللسان والبنان، فقلت ماذا عسى أن يقال فيمن تجلت بين سيئات الزمان حسنه.

ـحت من محاسن البيان بما لا يوفي المادح بعضه ولو أعمل المديح سنه، ألفاظ ـبـي مـن الشنب المشوف، ومعان أشهى من الشنب المرشوف، سطور أمثال ـور، ونفائس آمنة من كل محذور، فأنى ينال هذا الأمد، وكيف يكاثر الخضم ـثمد، ومـن ذا يسـاجل البحر بضحضاح، أو يعارض الشمس بشهاب غير ـصـاح، فحسـب المعدم أن يقر بالإعدام، والجبان أن يفر من موضع الإقدام، ـرمد أن يكف عن ضوء السراج، والمنحصر أن لا يقف مواقف الحجاج، لكن ـذن للتيمم عند عدم /106/ الماء مباح، والسرى لابد أن يحمد عند الصباح.

فأحـاول وإن لم أكن من رجال هذا المجال، ولا من فرسان هذا الإحسان، ـتـي فـي هـذا الغـرض، والمقصـد الأكيد المفترض، بمقطوعات ثمان، ـصـنوعات غالـيات الأثمان، تنضد تنضيد الجمان، وتخلد في المهارق بتخلد ـمـان، تسحر الألباب، وتأتي من نضار المدح باللباب، وتنسدل أستارها على ـواب الكـتاب الثمانية[1]، فتتسابق لكل واحدة منها لتختص بها كل باب، إقرارا ـنها بالفضل الذي قل من يعرفه لذويه، وإشادة ببعض البعض لما يجب له من ـظـيم التـنويه، وشهادة له بالإجادة التي لم يزل يسند أحاديثها لأجداده الجلة ـرويه، فقمـت أقـدم رجـلا وأؤخر أخرى، وقلت وإن كنت بالسكوت أجدر ـحرى، وبنيت على مقطوعة قطعتها من قصيدة[2] بعثت بها إليه عند شروعه في ـرس هذه الرياض المتفيئة الظلال، حسبما أثبت ذلك حفظه الله لمن يقف عليه ـ يجوس تلكم الخلال. وها أنا أبرزها للعيان، وأضرع في لحظها بعين الصفح ـن يقف عليها من نبلاء الأعيان، وسميتها أنهار الحياض العبقرية في أزهار ـرض المقرية:

ـع كـتاب أزهار الرياض في أخبار عياض في خمسة أجزاء مقسمة إلى ثمانية أبواب أو ثماني ـوضات كما سمّاها المؤلف وهي:

1. روضة الورد في أولية القاضي عياض.
2. روضة الاقحوان في ذكر حاله في المنشأ.
3. روضة البهار في ذكر شيوخه.
4. روضة المنثور فيما له من منظوم ومنثور.
5. روضة النسرين في ذكر تصانيفه.
6. روضة الآس في وفاته.
7. روضة الشقيق في فوائده وفرائده.
8. روضة النيلوفر في ثناء النّاس عليه.

وهي الروضات التي قابلها أبو الحسن الشاميّ بمقطوعاته الثمان.

ـع القصيدة في عشرين بيتا، وقد أثبتها المؤلف في مقدّمة كتابه أزهار الرياض، ج1، ص ص: 18-20. وهي القصيدة التي اقتطع منها الشاميّ المقطوعة الأولى.

المقطوعة الأولى:

أبا العباس أبدعتم طرازا نثرتم فيه أزهار الرياض
ونظمتم عقودا من لآل بجيد[1] حلى المآثر من عياض
وأورقتم غصون علاه لما سقاها فكركم سقي الحياض
ونمقتم مطارف ما رأينا كطرتها سوادا في بياض
فدم للدين والدنيا إماما وبحر ندى[2] علومك في افتياض

المقطوعة الثانية:

وقفت عليها وقوف المكاثر فألجمني وبلها المتكاثر
وحاولت أمدح ما قد حوته وأجبته من مكرمات الدواثر
فأبصرتها أعجزت كل ناظم بحلى المعلوات وناثر
فأمسكت عن ذاك لكن أبى حديث محاسنها المتواتر
فقلت وحسبي اقتباسا لما قطفته من زهرها المتناثر
ألا هكذا هكذا وإلا فلا لا تنال المآثر

المقطوعة الثالثة:

طالعتها والفكر قد نال بها أمانيه
فقلت هذه حلة تسبي النهى يمانيه
حتى رأيت روضة أبوابها ثمانيه
فقلت لا بل جنة لها قطوف دانيه

المقطوعة الرابعة:

وقفت على هذه الرياض التي غدت أزهارها تزرى بزهر الخمائل
فسرحت طرفي في حدائق حسنها وما حملته من بديع الحمائل
فكنت متى ما الفكر أبدى تعجبا يناديه من أغصانها كل مائل
أتعجب من ذي المعلوات لمنشئ وذي نفحة من عرف تلك الشمائل

المقطوعة الخامسة:

وقفت بذي الرياض أحيل فكري وأشكر ذا الجلال بها وأحمد
فصرت متى أعيد الطرف ألفي بها عند التفاتي بها العود أحمد
وتهتف بي أزاهرها تمتع فهذا العرف من أنفاسي أحمد

---

[1] في أزهار الرياض: لجيد.
[2] في أزهار الرياض: هدى.

مقطوعة السادسة:

رياض حازت الأزهار تسمو	محاسنها بوشي عبقري
ونم لا وهي قد نسبت لأصل	أصيل في الإجادة مقري
ولما ضم ذاك على عياض	أتى الوادي فطم على القري

مقطوعة السابعة:

رأيت أبا العباس أزهارك التي	تباهي بها فاس لغرب ومشرق
فبصرتكم أودعتموها مفاخرا	متى تلتمس منها الحواسد تغرق
ولو أنصفوا علياك فيها لأسرعوا	إلى وضعها تاجا على كل مفرق

مقطوعة الثامنة:

جمعتم يا ابن الكرام الثمال	جيمات جنات العلى والكمال
فجنة الأزهار هاذي قضت	بجنة الخلد إليكم تمال
ودون هاذين لكم سبعة	أحرزتها تفدى بنفس ومال
جد جد ود جلة جودة	جهبذة جد جلال جمال
لازلت في عز أنيق الحلى	ترفل من أثوابه في كمال

فهذه ثمان مقطوعات من شقيق الحسن مقطوعة، وبفتيق المسك مختومة مطبوعة، ترفل من اللزوم في طرف، وتأتي من الحق الملزوم بطرف، إن عد سرت بأمان. ولم يعفها عن نوافح القبول حرمان، سرت منايحها رخاء، وصغت ضربها شدة ورخاء، وإن حورضت بفتان، أو عورضت من يم البلاغة بعارض /105/ هتان، ذهب زبدها جفاء، وتضاءلت أحسانها خفاء وجفاء، ولا تثريب فما صنعت لهذا المجلس العلمي علم الله إلا مودة وصفاء، وأداء لبعض حقوقه الواجبة أداء. والله تعالى يزيد به وبأمثاله هذا الإقليم الغربي بهاء، والسلام التام يعتمد جلاله الكريم بدءا وانتهاء، قال ذلك وخطه بيده الفانية خديم العلماء ومملوك خديم السامي عبد الله تعالى علي بن أحمد بن علي الخزرجي الشهير بالشامي. لطف الله له وختم له بالحسنى، وفي أواخر المحرم الحرام فاتح سنة ست وعشرين وألف، عرف الله خيرها، ووقى ضيرها، حامدا الله تعالى ومصليا على رسوله المصطفى. وحسبنا الله وكفى، انتهى.

وكتب إليه:

ونقلت من خطه مما كتب لي ما نصه: كانت الشمس ينفذ علينا شعاعها كل ضحوة في بعض مجالس قراءتنا للبخاري بقبلي جامع القرويين بفاس المحروسة سنة 1025هـ، بين يدي الشيخين الإمامين، قاضي قضاة الحضرة وشيخ

وقوله:

شـفاء عـياض لدائـي شـفا | فمـا زال مـن ورده مرتشـف
فمـن لـم يؤسـس نـبا حـبه | علـى أسـه آس فـوق شـفا

وقوله:

لقـد شـهدت حقا جميع المهارق | بمـا حاز من فضل كتاب المشارق
وإنه منها في العلى وشي معصم | وحلـية أنـوار وتـاج المفـارق
ونخـبة أبـرار وتحفـة قـادم | ونـزهة أبصـار وأنـس المفارق

وقوله:

جـزى الله عـنا كـل خير ومنة | عياضـا بمـا أبدى لنا من مشارق
ـه أشرقت شمس الغريب بغربنا | فدانـت له تعـنو شموس المشارق

وقوله:

عياض لك الخيرات أطلعت للورى | مشـارق أنـوار الهـدى بالمغارب
تجـد لي بنور من حماك يحوطني | فأغدو وحبلي في الدجى فوق غارب

وقوله أيضا:

108/عياض اضاعوك إذ أنكروا | المشـارق مـن نـورك المغرب
لأنكـم فـي اخـر الدهـر من | مشـارق شـمس مـن المغـرب

ولما أنشدته حفظه الله قول ابن الصلاح فيما أظن:

مشـارق أنـوار تـبدت بسـبتة | ومن عجب كون المشارق بالمغرب

وتذييل ابن رشيد الفهري له بقوله:

ومرعى خصيب في حديب ربوعها | ألا فاعجبوا للخصب في منزل جدب

وجواب بعض المغاربة عن هذا بقوله:

فمـا شـرّف الأرجاء إلا رجالها | وإلا فـلا فضـل لترب على ترب

أنشدني لنفسه الجواب بقوله:

فـلا عجـب قـد صح آخر دهرنا | مشـارق شمس الأفق تطلع بالغرب
وخصب تراب الغرب أحسن نضرة | ونضرة هذا الحبر تربي على الترب

وقلت:

تذكـــرت والأشــياء بالشــيء تذكر	مقاصــد أضحت في تلمسان تشكر
معـــاهد جـــيران ومغـــنى أحـــبة	وعهــد شــباب حــبه ليس ينكر

وكتب يخاطب رئيس الحضرة الفاسية:

ولما دخلنا الحمام المجاور لدار صاحبنا الشامي المذكور بقرب دار الوزير ابـن الوزير القائد علي بن القائد عزوز سامحهما الله، في جماعة أعيان الوقت وكبرائه، كان مما كتب في الاستدعاء قوله، وكان ذلك أواخر شوال سنة 1025 هـ بفاس المحروسة:

أيـا رئـيس المجد يا من غدت	لركـــنه شـــم العلـــى آويـــه
ومـــن إذا هاجت حروب العدى	دانـــت له أبطالهـــا اللاويـــه
محـــبكم أولـــته مـــن وعدهـــا	ســـعوده مـــا لـــم يكـــن ناويه
ســـفينة للعلـــم تمشـــي بهـــا	مرســـاتها فـــي يمـــه ثاويـــه
تحمـــل مـــن إخوان صدق له	جماعــــة تشـــريفه ناويـــــه
قلائـــلا فـــي العـــد لكـــنهم	لقـــياهم كـــل المـــنى حاويـــه
مـــا بيـــن حـــبر مـــاجد عـــالم	بعلمـــه تهـــدى الـــنهى الغاويه
أو حـــامل القـــرآن أو ذاكر أو	حـــــافظ الآداب أو راويـــــه
وهـــذه الدنـــيا ومـــا غـــيرهم	والله إلا أشـــــباحا خاويــــــه
والكـــن محـــتاج إلـــى طلعـــة	مـــن مجـــتلى أنوارك الضاويه
هـــذا وفلـــك المجـــد إن لم يكن	رئيســـها فـــي لجهـــا هاويـــه
كمـــن نـــنا ذا القصـــد لازلـــتم	فـــي جـــنة والضـــد في هاويه
وهـــاك مـــن خـــلّ على حبكم	أحشـــاؤه طـــول المدى طاويه
خـــرائدا تـــرجو جواب الرضى	مـــنكم ومـــن أديـــبك الـــراويه

وكان هذا المخاطَبُ من أصحاب السيوف وهو رئيس الحضرة الفاسية في ذلـــك الـــتاريخ، فجاء في جوف الليل ومعه الجواب عن هذه القصيدة من إنشاء كاتبه الباقعة[1] المكلاتي، حسبما أثبتّ جوابه في غير هذا الموضع[2].

ويبعث إليه بقصيدة سماها زهر الكمامه في مديح المظلل بالغمامه:

ولمـــا قـــرأت الشفا[3] بمقصورة الجامع الأعظم من فاس المحروسة، كتب الشـــامي بخطه فيما يظهر غرضه منه ما نصه: الحمد لله الذي طبقت معجزات

---

[1] الباقعة: الرجل الداهية.

[2] أنظر ص: 46.

[3] كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض.

نبيه الكريم الموفقة أقطار الوجود، وتدفقت من بركاته أنوائها المغدقة أمطار الفضل والجود، وتألقت من لمعات أنوارها المشرقة الأغوار والنجود، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد كل موجود، الذي قام بعبادة ربه حتى تورمت قدماه من أثر الهجود، وعلى اله وأصحابه الذين كانوا في طاعته إخوانا، وعلى نصرته أعوانا، لا يفترون عن محبته اوانا، ولا يشترون بصحبته ايوانا، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود وبعد:

فلما كان مما منّ الله به على هذه المدينة الادريسية التي لم تزل تعتامها المواهب الإلهية أي إعتيام، وتعمها بركة منشئها قدسه الله فلم تزل العلوم تتفجر من حيطانها إلى يوم القيام، وجود مفتيها الذي استنارت الفتيا بوجوده، وخطيبها الذي استعارت منها منابر الأمصار حلل خطبه، فتاهت بها على أغوار المعمور ونجوده، إمام مسجدها الأعظم، وواسطة عقدها المنظم، وحافظة عصرها المعظم، الذي وافاها وكان لها كالنوء وافى البلد الماحل[1]، وألفاها سقيمة فكان لها كالبرء تلافى الجسد الناحل، الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري، أبقى الله العليا ببقائه،ووصل أسباب سموه وارتقائه.

/109/ وكان حفظه الله ممن له عناية بمحبة هذا النبي الشريف، ودراية بإظهار ما يجب على المسلمين في حقه من التنويه والتشريف، واقفا على اداء تلكم الواجبات الموصلة إلى أسنى المرابح، عاكفا على ما يلزم من تلكم المفترضات عكوف المتوصل بها إلى العمل المزلف والمتجر الرابح، حسبما لا ينكره من هجّيراه[2] مخالطه ومجالسه، وتشهد بصحة دعواه مدارسه العلمية ومجالسه، خصوصا مجلس درسه بالبردة، ومكنس انسه الذي التحف به حلة الفخار وبرده، حتى كانت تنثال عليه الناس لذلك انثيال السيل، وتنسل إليه من كل حدب من أقاصي المدينة مستغنية باقتباس تلكم الأنوار عن المصابيح في سدف الليل، فكان من جملة اهتباله بذلك واعتنائه واغتنامه فيه الأجر الذي يجب أن يبادر لادخاره واقتنائه، أن كلفني بل أتحفني وأرشدني إلى نظم أبيات انظم فيها كلام الضب الذي نطق للنبي صلى الله عليه وسلم، وصاح وناداه بقوله: يا زين من وافى القيامة[3]، وافصح بذلك أي إفصاح، وكان هو أعزه الله مع بعض أعيان الفضلاء نظموا في ذلك المعنى مقاطع قطعوها من أزهار المحاسن، وبدائع ... عوها من أنهار فكر ماؤها غير اسن، فما أمكنني وإن لم أكن من رجالهم، ولا ... ن يركض فرسه في مضمار مجالهم، إلا مبادرة الامتثال، ومسارعة الاغتنام

---

[1] ... ماحل: بلد جدب، والمحل في الأصل هو انقطاع المطر.

[2] ... به وشأنه وعادته.

[3] عن حديث الضب انظر ص: 143.

لذاك الأجر المنثال، وقلت هذه نهلة يعذب وردها، ونحلة لا يحسن ردها، فلا بد عليها من الإقدام، وإن كان عرضة لمزلة الأقدام، فنظمت والبلاغة درجات، والبضاعة فيها مزجاة[1]، ولا غرو أن من آوى بعد الخطر إلى سفينة بحر الإغضاء وصل لساحل النجاة، وأتيت مع هذه المعجزة الكريمة بمعجزات عدة، وكرامات نجدها بحول الله يوم القيامة ذخيرة وعدة، وسميتها بزهر الكمامة في مديح المظلل بالغمامة وهي:

سام النوى قتلي ورامه   مذ غبت عن نجد ورامه
والقلب مني قد غدا   أمد المدى بيدي غرامه
وزفير نار البعد في الأحشاء   قد أبدى ضرامه
شوقا لتربة يثرب   مغنى الرسالة والكرامه
يا لائمي في الحب مه   منع النوى عن الكرى مه
ألف الغرام تعانقني   حتى بدا ألفا ولامه
ونحر الفراق حشاشتي   حتى غدت درعا ولأمه[2]
أتظن مثلي سامعا   تعذال مثله أو كلامه
لا والذي أمّت قريش   ركنه ترجو استلامه
لا عاش في العشاق من   يصغى لمن في الحب لامه
أتلومني في حب من   في مثله تحلو الملامه
في حب أحمد من جلا   للكون مبعثه ظلامه
المفرد العلم الذي أضحى   له الرفع علامه
التابع المقصود بالحكم   بلا وسطى أمامه
المصطفى والكون ما فتح   الوجود له كمامه
من قد سما به للسما   جبريل إذ أمسى أمامه
وملائك الرحمن والأرسل   تلتمس إتمامه
من آيه كالسحب لا   يرجو بها عد تمامه
نطق الحصى في كفه   وأتت تظلله الغمامه
والعنكبوت وقته من كيد   العدى وكذا الحمامه
والغيث بعد الجدب كم   أهدى بدعوته غمامه
حتى ارتوى من حلمه   الكفار من أرض اليمامه
وأتى قريشا قوتهم   إذ كان صدهم ثمامه
وأتى البعير لمجده يعنو   وقد ألقى زمامه
والظبي لاذ بجنبه   وأتى وقد وفى ذمامه

---

[1] مزجاة: قليلة.

[2] اللأمة: السلاح.

والضب أفصح قائلا ... يا زين من وافى القيامه
والضرع در حليبه ... والجذع قد أبقى هيامه
والطفل خاطب من أتا ... فأجاب من نرجو احترامه
وكذا الطفيل بدت له من ... نوره الأسنى كرامه
والماء فار بكفه ... والجيش أشبعه طعامه
وقضت بيادر جابر دينا ... كساه الضغط عمامه
والشاة قد نطقت بمن ... قد كاد سمّا وسامه
والشمس ردت نورها ... والبدر قد أبدى انقسامه
والميت أحيي شلوه ... وكذا المريض شفى سقامه
/110/ وقتاده ردت له عين ... فعادت لاستقامه
وسراقة ساخت به فرس ... له حتى أقامه
وله الشفاعة في الورى يوما ... يرى المولى انتقامه
يوما به الأرسال تستعفي ... ولا تقوى مقامه
كم كابدت قرأنه الفصحا ... فما أبدت قلامه
ولكم له من ايه ... وعلامة تقفو علامه
دلت على ميلاده كالجن ... إذ لجم ارتجامه
والنار إذ خمدت به ... والنهر إذ فقد انسجامه
وتكسر الأرجاء من كسرى ... وقد فهم انهزامه
وتنكس الأصنام والإيوان ... إذ أبدى انهدامه
حتى هوت شرفاته ... مكانه به مستهامه
وكأنها هام العوى لما ... بدا لم تبق هامه
وكسيف ذي يزن أتاه ... الوفد من أقصى تهامه
فاختص شيبة إذ بدا ... برق الهدى منه وشامه
وحباه منه مقاله ... أبدت سروره واحتشامه
وقضت بمولود له يبدو ... وفي كتفيه شامه
وكذا بدا من أمه نور ... أضاء بصرى وشامه
ولكم له من أية رضت ... لجاحدها عظامه
أن يقوم بحصرها ... من زان نثرا أو نظامه
لكن عياض في الشفا فيه ... الشفاء لذي ضرامه
وقى ببعض لبعض من ... بعض وما استوفى غرامه
وأتى هناك بنقطة من ... بحر من ذاك رامه
فجزاه ربي خير ما ... يجزي بأجر ذا كرامه
وقضى لنا من فضله طرا ... بخاتمة السلامه

وعلــى عُلـى ذا المصطفى رضــوانه يقفــو ســلامه
والآل والصـــحب الآلـــي تفضـــيلهم أبــدى انحــتامه
مــا فضـض الزهــر المدا أوفـض عــن مسك ختامه

انــتهى. وقد كان رأى قصيدتي وأغار على كثير منها سامحــه الله، وكان ذلك ســنة 1026هــ أخريات القعدة الحرام.

الفقيه الأعمش يكتب إلى المؤلف ملغزا في رمضان

وكتب إلي بتلمسان صاحبنا الفقيه سيدي محمد الأعمش ابن شيخنا الشهير ســيدي عبد الرحمن بن موسى، رحم الله الجميع، ملغزا في رمضان سنة 1012 هــ:

أرى اسم حبي من مضى خصره مــتمما هــيهات قــدرا يســام
ومــن مضت في الناس أحكامه ومــن غــدت من أجله في زمام
أفــرح إن يــبدو منــيرا كمــا يكلــم قلبــي إن تولــى وهــام
قــد حــارت الأفكــار في أمره وهجــره مــثل الوصــال حرام
فمــا اســمه يــا ســيد أصبحت غـــرته تــبهر بــدر الــتمام
تحــيــة كالمســك آراجهــا علــيكم تــترا بطــول الــدوام

وأجبته بما ثبت في غير هذا الموضع[1].

ويكتب إليه مادحا:

أحــرز المجــد غــزال فقهــر قلــب صــب راعــه طول السهر
حــبه فــي طــيه مكتــتم صــار مــثوى لهــواه ومقــر
ملــك الحســن جمــيعا إن بــدا قلــت بــدرا وســط هالات ظهر
دبجــت أيــدي الحجــال ورده فغــدا مفتــتحا بيــن الزهــر
اكــدت لام العــذار نــوره ووقــته نونــه مــن الســرر
لــم يكــن قــط له من مشبه خصــه رب القضــاء والقــدر
مــال زهــوا فــي ســناه وسما وانثــنى يمــرح فــي ليل الشعر
قلــدت وســطى الجمــال جيده مــا رآه هــائم إلا انســحر
راق بيــن العاشــقين حســنه فقضــى بــالحكم فــيهم وأمــر
يــانع الحســن بديع في الورى يخجــل الــروض ذكــاء والقمر
ضــودت أيــدي المعالــي مجده فعــلا فــي الأفــق مــنها واستقر
أهــيف يفضــح أغصــان النقا إن مشــى بيــن الأنــام أو حظر

---

[1] الجواب يقع في القسم المفقود من الكتاب لأنه غير موجود في النص المحقق.

ـبنـي الطـرف غصـن يـانع
كلمـا تـاه دلالا أو نظـر

ـاعم النضـرة من أبصره قال
جـل الذكـر مـا هـذا بشـر

شمس حسن ان تبدى في الدجى
فمحـيا الصـبح يـبدو أو الـبكر

ـق مغـناه ومعـنى حسـنه
وسـبى الحجـر سنى ذاك الخفر

هـيج الدمـع علـي فانغشـى
كلمـا أخفـي مـنه واسـتتر

ـنا أشـدو هـواه كلما سجعت
ورق الـرياض فـي السـحر

ـا له مـن شـادن أسهرني
جـار فـي الحـب علي وانتصر

ومـتى خاطبـته صـد ولم
يـرعو[1] هـلا تـروى وانزجـر

ـ عنـي بالهجـر مـنه دائمـا
كلمـا اطلـع بالوصـل خفـر

وغـزا القلـب بسـهم لحظـه
وسـقاني السـحر من ذاك الحور

ـره تحـت العقـيق مـنظم
يسـب إن أبـدا ابتسـاما أو فغر

ومحـياه البهـيج إن بـدا
يـبهـر الأدواح نـوره الأغـر

ـا رأيـت مـثله حسـنا ولا
مـثل مـا أهـداه أحمـد الأبـر

ذمـت العلـياء تشـدو فخـره
وتقـول الآن طـاب المسـتقر

طلـع السـعد هلالـي فـبدا
مـن سـناه الدّيـن بـادي الغرر

111/ مـا له في العالمين مشبه
كلمـا أبـدى نظامـا أو نـثر

ومـتى يـنظم در لفظـه
فـدواء الصـب فـي تلك الدرر

صـيرف الألفـاظ هـو والذي
صـرف الأقـلام فـيها وافـتخر

ـن سـحبان وقـس مـثل مـا
دان كعـب لعـلاه وانـبهر

ـاق نشـرا ومذاقـا طيـبا
مـثل أتـرج كمـا صـح الخبر

هـاك نظمـا فـي مباديه بدت
غايتـي مـنه منـتهى الوطـر

حمـد المقـري طـاب نشـره
فـي ورود ومقـام وصـدر

ثـم كتـب بعـده ما نصه: والتحية المسكية العنبرية، تؤم أصنافكم الزكية ـنقرية، ورحمة الله، من ناظمها محبكم محمد الأعمش حفظه الله بمنه، انتهى.

عبدالرحمن ابهلول يكتب للمؤلف بفاس

وكتب لي بفاس، الفقيه سيدي عبد الرحمن[2] ابن الشيخ الشهير سيدي محمد ـن علي ابهلول بما صورته، بعد الافتتاح أواسط ربيع النبوي سنة 1026هـ:

[1] في الأصل: يرعوي.

[2] هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي المجاجي، ووالده هو صاحب زاوية مجاجة المشهورة. ذكره صاحب منشور الهداية، وقال: إن له معه مراسلات كثيرة، أشار إلى قصيدتين، إحداهما في الـرد على أهل البدع، كان ينوي شرحها ولكنّه لم يفعل ذلك بسبب وفاة عبد الرحمن المجاجي. عبد الكريم الفكون. منشور الهداية، ص: 226. وعن أخيه انظر الهامش رقم: 1، ص: 140.

أسائل عن أحوال جلة فاس ... صديقا صدوق القول خير مو ...
فقد جاءت الأخبار عن خير ... مرسل[1] بخير شريعة لخير أنا...
فقال بقطر الغرب تبنى مدينة ... على الحق طول الدهر دارة فا...
وذا آخر الأزمان والأمر فاسد ... وخالص إبريز أتى بنحا...
فهل غالب الأحوال فيها على الهدى ... كما جاء عن أصل الهدى بأسا...
وذاك الذي يبدو بها حيث لم ... يكن أمير وهم على توالي مرا...
وليس يضرنا در الضد إنه لدى ... الضد يلقى في صحيح قيا...
وما كان الاعتقاد إلا بأنها ... عنايات رب لم تقس بإيا...
وهل نفحات رحمة ثم غير ما ... سألتك عنه فلتجد وتوا...
فإن قوام الدين بالغرب آخر ... الزمان حديث جاء بغير تنا...

وهي طويلة وفيها أبيات تركتها، وفيها يقول:

فما الظن إلا أنه الخير قد ... أتى لتصديق خير مرسل لأناس
فابدوا لنا ما كان يبدو لديكم ... من العلم والتعليم خير مراس
فأعظم خلق الله من كان عاملا ... بعلم معلما فلست بناس

فأجبته بما نصه:

اصدرا تردى العلم خير لباس ... وحاز افتخارا ثابتا بأساس
اتى العبد نظم من علاك مؤرج ... حكى عرفه في الطرس روضة آس
به من بديع الحسن ما راق منظرا ... وطاب جناه في جنان جناس
وأنى لمثلي أن يباري من حوى ... فصاحة قيس في ذكاء إياس
وعذري إقراري بأني مقصر ... وقلبي في بحر الجهالة راس
وفكري بأشجان الزمان مكدر ... وكل يعاني شجوه ويقاسي
وهذا زمان المنكرات فمن لنا ... برد خيول الحق بعد شماس
إلى الله جل المشتكى لا غيره ... فكم فرج بعد طول إياس
تغيرت الأحوال شرقا وغربا ... ولكن لطف الله بان بفاس
فمعظم أهليها يميلون للتقى ... ويجتهدون في حضور كراسي
وأوقاتهم محفوظة ولديهم ... معارف تذكير بدون تناس

[1] يريد حديث مدينة فاس الذي رواه درّاس بن إسماعيل عن أبي مطر عن المواز عن ابن القاسم عن الإمام مالك عن شهاب الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم تنزل الألطاف تعتادهم إذا
رأوا من صروف الدهر شدة بأس
ودعوة بانيها الإمام شهيرة[1]
شريف من أهل البيت خير أناس
إذا آخر الأزمان قد بان وفق
ما رواه عن المختار عدة ناس
وقد ملك الروم السواحل جملة
فأعظم بها من أربع ومراس
معمورة قد سامها الكفر خسفة
بغير قتال بل بطول مراس
ولا تذكرن أمر العرائش[2] إنه
تميد له الأعلام وهي رواس
سنبكيك يا ثغر العرائش عمرنا
فيا ليت شعري هل لدائك آس
وقد علقت آمال مغربنا بمن
أتى في رياض الملك خير غراس
سلطانه زيدان وارث ملكه
همام بأثواب الشجاعة كاس
فإن صدقت فيه الظنون فحبذا
وإلا فرب الناس ليس بناس
ثم يبد قطعا من أشرتم لأمره
فطوبى لمن يهدي الورى ويواس
نرجو من الرحمن إعزاز دينه
ورشدا به تبدو الانة قاس
لطفا وتوفيقا لرؤية طيبة
بقرب فبفضل الله لا بقياس
وما صدني فيما مضى عن مزارها
غرام ولا ميل لظبي كناس
ولكنها الأقدار والآن لم أزل
قوي اعتزام ما يشاب بياس
ولو كنت أقضي بعض حق بنيتا
سعيت على عين إليه ورأس
عليه صلاة الله ما ذكر اسمه
تقي تردى العلم خير لباس

/112/ قلت: ووصلت النظم بنثر نصه: فهذه أصلحك الله وأيدك، وشكر عن المسلمين يدك، عجالة خاطر كليل، ونفاضة جراب عليل، فاسمحوا بقبولها مع ما اشتملت عليه من إصلاح، وغضوا عما فيها من خطأ إن لاح، فلولا رجاء صلاح دعائكم ما دخلت هذا الميدان، الذي ليس لأمثالي به يدان، وبحسن الاعتقاد والنية، نرجو من الله بلوغ الأمنية، والتوفيق في البدء والإعادة، والختم بالحسنى والسعادة، ومواضع الإصلاح ثلاثة عشر. وسببها شغل البال بفتن الدهر التي

---

[1] لما عزم إدريس الثاني على بناء مدينة فاس بعد أن اختار المكان، رفع يديه إلى السماء ودعا وقال: اللهم اجعلها دار فقه وعلم يتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتهم. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص: 36.

[2] في خضم الصراع بين ورثة المنصور الذهبي على العرش السعدي بالمغرب الأقصى، لجأ أحدهم وهو المأمون إلى الملك الإسباني مستصرخا به على أخيه السلطان زيدان، فقبل طلبه وشرط عليه أن يسلمه ميناء العرائش، وهو ما تمّ بالفعل، إذ دخل نصارى الإسبان المدينة واستولوا عليها بمساعدة المأمون في رمضان سنة 1019هـ/1610م. وكان المأمون قد تحايل على فقهاء فاس في استصدار فتوى منهم، وانقسموا بين مؤيد ومعارض، في حين اختفت طائفة منهم عن الأنظار حتى تصدر الفتوى عن غيرها، وكان المقري واحدا من المختفين. اليفرني، نزهة الحادي، ص: 168 وما بعدها.

طــار شررها وانتشر، فلتقبلوها على علاتها، ولتجتهدوا فالدعاء بر السلامة من أهواء النفس ومضلاتها، انتهى.

ثم رأيت أن أعيد الكتابة بغير إصلاح، فكتبت إثر ذلك ما نصه: فهذه أبقى الله مســرتك، ووالى أثرتك، وإن تكررت مع الأخرى، فقد ساجلتها فخرا، لأنه ليس فيها إصلاح كتلك، فهي حدة من ذلك الملك، ولما سمعت هذه المقالة أختها تذكــرت وقالــت هــذا أوان المساجلة ووقتها، كثر الجهل، حتى استوى الحزن والســهل، أوَما طرق سمعك، وفـرّ الله جمعك، قول الموثقين إن ذات الإصلاح أصح من غيرها، لدلالتها على الاعتناء بأمرها، فأجابتها فورا، وقد سحبت أذيال التواضع طورا والترفع طورا، بقولها سبحان الله، أيقع الإحتجاج بأمر غير متفق علــيه، وهل كل الموثقين قائل بما نسبت إليه، فأعجبت العبد محاورتهما البديعة وقال لكل منهما أحسنت وسر المرء لا ينبغي أن يذيعه، فقالت ليس هذا من إفشاء الأســرار، وإنمــا هــو من باب التحدث بالنعم الواصلة للعبيد وهو محمود عند الأحــرار، فودعــتا ودعتا وانصرفتا، وقد شرفتا الخويدم بما شرفتا، وقالتا عند الاعــتراف بما في نفس الأمر، إنما الفضل لثالثة المفتتحة التي جمعت بين زيد وعمــرو، فوقــع الإصــفاق على هذا القول، والدعاء لسيدنا أن يديم بركته ذي الطــول، فبيده سبحانه القوة والحول، ولما انصرف كل لطيته ما بين باك ودامع قــال لسان الحال لا جعل الله هذا آخر وداع، وصلى الله على سيدنا محمد إنسان عين الوجود، وواسطة عقد الجود، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أجمعين، صلاة وسلاما نرد بهما من مناهل الرضى كل عذب معين، والله سبحانه المعين، انتهى.

المؤلف يخاطب أحد وزراء مصر على لسان بعض أصحابه

وقلت على لسان بعض الأصحاب يخاطب وزيرا[1]:

يا مصطفى الوزراء ساعدك القدر	فالســعد بشــر بالتمكــن والظفر
والنصــر قد أقبل في طلائع عزة	لعــلاك يمــنحك الصــفا بلا كدر
والدهــر مبتسم المحيا مخبر عن	قــدرك الأســمى بــإدراك الوطر
ونمجــدك العالــي مآثــر أسست	أركانهــا في الملك تبهر من نظر
ولنور طالعك السعيد أشعة محقت	مــن ظــلام الحاســدين ومن كفر
شــهدت بذلــك شــواهد الأفلاك	إذ لله فــيها حكمــة لمــن اعتــبر
وقضى طبع الحروف وبسطها مع	وفقهــا الملــوم عــند ذوي الأثر

[1] هو نفسه الذي مدحه في ص ص: 107و108.

وأبــان سر الحرف صورة جدول ... مــا نالــه أحــد سواك من البشر
مــن الاسم الأعظم عمرت أبياته ... بخمــس فــي قلبه اسمك قد ظهر
فــي لوح مختار المعادن سطرت ... أعــداده مــلء المســامع والبصر
وبظهــر هذا اللوح[1] أشرف جدول ... أوفاقــه تــزري بمكــنون الــدرر
ويــبدي بفضــل الله من أسراره ... عجــبا بــه قد صدق الخبر الخبر
فاحملــه محتفظا وصن مضمونه ... تــنل المواهب في الإقامة والسفر
مــن عــزة وثبوت جاه واعتلاء ... ومهابــة وبلــوغ قصــد معتــبر
ونفــوذ أمــر في الأعادي جملة ... وقــبول ســلطان وأمــن من حذر
والحصــن مــن فتن أشيع حديثها ... لا ســيما مــا كان يحذر في صفر
لــو كان غيرك ما سمحت له به ... أوليتنــي الــنعمى ومثلي من شكر
فليهــنك الســر المصــون ذخيرة ... واســلك بفعل العدل سنة من غبر
وحــط الرعايا بالنصيحة وامتثل ... حكــم الرســول بما نهى وبما أمر
فلقــد أبنــت بمصر بهجة ملكها ... وحميــت حوزتها وكانت في غرر
وأقمــت فيها أمر سلطان الورى ... مولى ملوك الأرض عثمان[1] الأبر
نصــر الإلــه جــنوده وأدامه في ... ظل الملك يحمي الخافقين من الغير
ولــك البشارة بالمزية عنده وعلو ... شــأن فــي الــورود وفي الصدر
وبلــوغ مــا ترجوه دون منازع ... فــي ظــل عز في البلاد قد انتشر
لا زلــت منصــورا اللواء مؤيدا ... يا مصطفى الوزراء وساعدك القدر

انتهى.

---

[1] السلطان العثماني عثمان خان الثاني ابن السلطان احمد خان الأول المولود في غضون سنة 10[illegible]هـ. حكم الفترة ما بين 1027-1031هـ/1618-1622م قتله الانكشاريون وهو لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره، لانه كان يخطط للقضاء عليهم. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية. ص ص: 277-279.

[إتحاف المنشي والمنشد ببعض كلام الإمام ابن مرشد]

/113/الحمــد لله، هــذه نبذة سميتها إتحاف المنشي والمنشد ببعض كلام الإمــام مفتـــي الحرميــن ابن مرشد[1] حفظ الله علاه، فمن ذلك ما كتبه إلي سنة 1035هــ ونصه:

الحمــد لله رب العالمين ما كللت أكاليل تيجان الطروس بأزهى من جواهر التحــيات والســلام الزاهر الزاهي، ولا ذللت أقاويل فرسان النفوس بأبهى من بواهــر الثناء الباهر الباهي، المضمخة أردانه بعبير دعاء في الملتزم والمستجار يــرفع، وفــي قبولــه الملائكة الأبرار والصديقون والأخيار تشفع، بأن يديم ذو الجــلال والإكــرام، بقاء بهاء العلماء الأعلام، بشهابهم الساطع في سماء العلوم الطالع، كوكب سعده في منازل تقصر عنها ثواقب النجوم، الجامع لما تفرق في غيره من الفضائل وما شذ، الحائز لكل معنى عظيم تشنف المسامع بذكره وشنف المصقع الذي تشهد البلغاء بأنه في مصره بل عصره المفرد الفذ، المحدث الذي يقصده لعلو إسناده كل محدث حافظ جهبذ، مجدد مذهب إمام دار الهجرة، محيي الســنة النــبوية بإملائه إياها بين المنبر والحجرة[2]، ذي التصانيف التي لا تعلق الآمــال بالوصول إلى معارج معاليها، والتآليف التي هي من أزكى الأعمال يوم تنشر الصحف وتجازى بما فيها.

مولانـــا الشــيخ أحمد شهاب الدين أبي العباس المقري، لازال متكئا على أرائــك ذات رفرف خضري وعبقري، وينهى إليه بعد إتحافه بتحف ما تقدم من التحــية، وإســعافه بما يوجب الراحة والأريحية، البقاء على العهد الذي لم يزل صــيب العماد، والاستمرار على العقد الذي أحكم إيجابه في الفؤاد، إنه هو ومن يلوذ به من الأهل والأولاد، ومن يعوذ به من الحشم والخدم والأحفاد، رافلون في حلــل الصــحة والسلامة، كافلون بحل العزة والكرامة، وقد وصلت مراسلاتكم الشــريفة، ومواصلاتكم اللطيفة، فسرّه البعض منها والبعض أسا، فالأول المخبر بصحتكم والثاني المنبئ بما أثار الحزن والأسى، فعند ذلك حمد الله على السراء والضراء، وشكره والشكر في الحالين أحرى.

هــذا وقد تقدم إليكم كتاب صحبة نجاب الجبل، فلعله حظي بالوصول إلى مقــامكم الأجل، وقد استأنسنا بمن شرحتم بعض صفاته في الكتاب، ولمحتم إلى النزر من سماته في غضون ذلك الخطاب، فرأيناه فوق ما وصفتم، ولعمري لقد اختصرتم إذ عرّفتم، لكن شأن البليغ التلميح، والتكنية عندهم أقوى من التصريح، إلا أن الأوقــات التي اختلسناها من الدهر للاجتماع به كانت يسيرة، والساعات

---

[1] أنظر الهامش رقم: 1، ص: 87.

[2] منبر المسجد النبوي، وحجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

التي افترسناها في هذه البقاع كانت قصيرة. فإنه ما زار حتى ودع. وأضمر في الضمائر وده وأودع، فالله تعالى يبلغه مرامه، ويوصله إلى وطنه بالسلامه، ولم يتفق في هذا العام لمقتضى الحال والمقام، إرسال شيء من هذا الجانب إلى الملك اكتفاء بما سبق على يد الآغا محمد بن بهرام، مع كثرة ما على صاحب الحجاز من اللوازم التي لا يفي مدخوله بالبعض منها، ويقصر جميع خراج نواحي إيالته عنها، فلم يكن للمجال في الشيء الذي لمحتم إليه مجال، ولو كان قصده ذلك لما كان يجد أحسن من هذا الذي هو كما أشرتم في فحل الرجال، إلا انه قد /114 وقع بينهما الصحبة والمعرفة، فعسى أنه إذا دعا الحال لنحو ذلك ندبه لذلك وكلفه.

ووصل مكتوبكم الثاني صحبة رسول الخواجة عبد العظيم الحمصي، فعملنا بموجب ما يشير إليه ويوصي، ولا نخلي جماعته المقيمين بمكة من حسن النظر مهما أمكن، فلتقر عينه بذلك، وليحسن بنا الظن. وكان وصل منكم كتاب سابق صحبة أمين رودس، فقمنا بواجبه، وعملنا بموجبه، وعاد سالما، ولكل خير غانما، وأوصلنا كتابكم والتفصيلة السنية، إلى الحضرة العزيزة المحسنية، وشرحنا له إخلاصكم وذكرنا له اختصاصكم، فحمد وشكر، وبكل جميل ذكر. والواصل إليكم صحبة القاضي مصطفى بقجة ضمنها أربع شاشات فرحات خاني برزت لكم من الخزانة المحسنية، ومن الفقير أطلس مختم ورسي اللون وصحبته أربعون درهما من البرمكية، وهذان الشيئان أحسن ما يتقرب بهما المولى إلى من يود قربه، ويتخذه لديه أفضل وسيلة وأكمل قربه.

وأخبار الحجاج، الواردين لمكة من الفجاج، وصلتكم مع الوافدين عليكم، الواصلين إليكم، وربما نفاصلكم شيئا منها في مكتوب يصل إليكم مع السيد علي بن هيزع، ونبينها إن شاء الله إذا خلا الذهن من الشواغل التي بها الفكر توزع، ومحبكم الصنو القاضي أحمد[1] يهدي إليكم شرائف السلام، وقد أقرّه قاضي مكة مولانا عبد الرحيم الشعراني[2] نائبا عنه في تعاطي الأحكام، وعبدكم الولد حنيف الدين[3] يهدي إلى حضرتكم شرائف تحيات تفوق النسرين، ولا زلتم في أمان الله

---

[1] الشيخ أحمد بن عيسى المرشدي الحنفي المكي (ت 1047هـ) أخو عبد الرحمن صاحب الرسالة، أحد فضلاء مكة وأدبائها، وكان مع أدبه الباهر فقيها متضلعا، تولى قضاء مكة نيابة عن الشعراني التالية ترجمته. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص ص: 266-271.

[2] عبد الرحيم بن عبد المحسن بن عبد الرحمن الشعراني المصري، كان من أجلاء علماء عصره، ولد بمصر وأخذ فيها عن قريبه عبد الوهاب الشعراني ومحمد البكري، وُلي قضاء الحرمين، ثمّ تقاعد بمدرسة السلطان أحمد. له تآليف منها: إيقاظ الوسنان، وله شعر قليل. توفي سنة 1048هـ بالقسطنطينية. المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص: 410.

[3] أنظر الهامش رقم: 1، ص: 81.

وحفظــه، ورعايــته ولحظــه، والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، تحريرا في يوم الجمعة سابع محرم الحرام سنة 1035هـ.

المحب المخلص للود عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الحنفي المفتي بمكة المكرمة، انتهى. ونص عنوان هذا الكتاب: فخر الأفاضل الأعلام، ذخر الأعالي أولــي الاحترام، علامة العلماء، فهّامة الفهماء، قدوة الأعيان، عمدة أهل العصر والأوان، مولانـــا الشـــيخ أحمـــد شهاب الدين أبي العباس المقري زادت معاليه. وهامت أعاديه.

كتاب ابن مرشد إلى أحمد النوبي

وممـــا كتبه مولانا الإمام المذكور إلى صفينا مولانا القاضي احمد النوبي حفظـــه الله ما صورته: الحمد لله، يا من اتخذ ذكره سلوة لقلبي الحزين، وجلوة لكربـــي الـــذي هو بين الجوانح والجوارح كمين، واستدفع برؤيا مقاطر أقلامه. ومســـاطر أرقامـــه، مـــا نزل بي من قاصمة الظهر، وحل بي من هادمة العمر بالقهـــر، أنهـــي إليك ما عساك أن تساهمني فيه، وتقاسمني الأسا عندما أعرضه علـــيك وأنهيه، وهو ما جرى به القدر المحتوم، والأجل المعلوم، من وفاة ولدي الأعـــز الأكبر، وفتاة كبدي من وهج ذلك الحر، فقد قدر الله ولا راد لما قضى. ولا محـــيص إلا المقابلة بالقبول والرضى، بأن دعاه داعي المنون فأجاب، وكان في العشرين من شعبان وقوع هذا المصاب، فيا لها من نازلة تركت ديار الأنس بلاقـــع، وسلبت عن وجوه المخدرات خمارات وبراقع، وقد كنت أنهيت إليك أني كنـــت أهلـــته فـــي هـــذا العام، وحصل في عرسه ما لم يسمح به بواخل الليالي والأيـــام، فما كان إلا بعد مدة سهله، لم تطل فيها المهله، إلا وانقلب ذلك العرس مـــأتم، ونغـــص الانس الذي كمل بعدما تم، /115/ فيا لها من نائبة أذابت قلوب الجلامـــد، وأصابت بسهامها حتى الصلد الجوامد، فنسأل الله الذي قضى بفراقه. وحكم باحتساء كأسه ومذاقه، أن يلهمنا الصبر، ويعوضنا الثواب والأجر، ويجعل لـــنا علـــى عمـــرك الشريف واقيه، ويمد مدة حياتك ويجعلها في معارج الزيادة راقيه.

وقـــد وصـــل الكتاب والقلب بنار الحسرة يتلظى، والفؤاد من تلك الحجرة يتشـــظى، فاتخذتـــه عوذة من ذلك الكرب، وخوذة يدفع بها النوائب عن القلب، فلولاه لكاد القلب أن يله، والعقل أن يشتده، فقد أجهز البين على القلب الجريح، إذ قد درجت قبله الوالدة إلى سكنى الضريح، وكان بين وفاتيهما من المدة، مقدار ما تستوفيه الأرملة من العدة[1]، فكيف لا يسوء حاله ويضيق درعه، من استؤصل في

[1] يـــريد أن المدة التي كانت بين وفاتهما هي أربعة أشهر وعشرا، وهي المدة التي تنتظرها المرأة التي مات عنها زوجها حتى تتزوج ما لم تكن حاملا.

نحــو ثلث سنة أصله وفرعه[1]، فأسألك أن تسأل الله في التثبيت بحمل أعباء هذا المصــاب، والتعويض عنه بعظيم الأجر وجزيل الثواب، هذا وإن تلفت المولى إلى أحوال هذه الديار، فهي على ما يعهده من القرار، غير أن المرتزقة تواترت علـيهم ضــوائق الأحــوال، فألجأتهم إلى مضائق الأهوال، حيث لم تصل سفن الحبوب، ولا نالهم من محصول بندر جدة إلا ما يسفيه أضعف الهبوب، فأحوال أهل الحرمين بسبب ذلك غير منتظمة، وآمالهم في دفاتر اليأس أضحت مرتقمة.

وإن سألتم عن أحوال العساكر الواردين إلى جانب الحبشة، فقد وصلوا إلى بــندر جــدة، فصادفتم الأخبار بأن تلك الديار أصبحت خاليه موحشة، وذلك ان المتغلــب عليها لما بلغه توجه الباشا إليها، ركب بما أحاط به واستولى عليه في مراكــب الهــند، وسافر قبل وصول ذلك الضد، فلما بلغ اسكندر باشا ذلك، بادر فســافر فــي أواســط رمضان إلى تلك الممالك، فوصل الحبشة وهي من المال والسلاح أمست صفرا، فوجدها خالية خاوية قفرا. ثم وصل عيسى بيك إلى جدة فــي أوائل شوال، فلم يبق لتوجهه إليها وجه لما بلغته هذه الأحوال، فها هو مقيم بمــن معه بمكة إلى أن يقضي الحج، ثم يعود راجعا إلى مصر سالكا من سبلها كل فج.

هــذه خلاصة ما حدث بهذه الديار من حوادث، كفاكم الله ما يتمخض عنه الليل والنهار من الكوارث، وقد أحاط الفكر بما طرزتم به الحاشية، من فوائدكم التــي لا تــزال غــير متناهية، وقد كنا نومل أن يحرككم الشوق إلى حج البيت الحرام، ويهزكم التوق إلى زيارة المشاعر العظام، فيسكن بملاقات ذاتكم الشريفة متحرك الأشواق، ونتسلى بصفاتكم اللطيفة عند الاجتماع والتلاق، فما انتشقنا من ربــا كــتابكم، عن خبر إزماع رحالكم وركابكم، فلعل ذلك يكون في عام قابل، وأنــتم علــى أتــم سعد يقابل، والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم، حرر في أواخر ذي القعدة الحرام سنــة 1029هـ.

المخلص في الود عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، انتهى. ونص العنوان: يشرف بأنامل مولانا الفاضل الكامل جمال العلماء الأعلام، كمال الفضلاء الذين هم أمراء الكلام، العلامة المفيد، الفهّامة المجيد، مولانا القاضي أحمد النوبي دام مجده، وهام ضده، انتهى.

وكتب إليه أيضا ما نصه:

الحمــد لله رب العالميــن، إن أنفع ما تسلى به القلب الحزين، وانجلى به الكــرب والأنيــن، ونبهــت مواعظه من نوم الغفلة الفؤاد، ونهت نصائحه عن

---

[1] خصت الأم والولد.

استدفعت به /116/ ما عرا القلب والشغاف، واستنفعت به في دفع ذلك الشغاف. ورد من صديق لا شك في أوانه ساواني في ذلك المصاب، وساهمني في أجر والثواب، فانتفعت بوروده الانتفاع التام، إذ كنت اتوخى أن فؤادي فؤاد ما تسنيه المدام، فلعمري إنه السحر الحلال، والإكسير القالب للأعيان فضلا عن الأحوال. فراجعت الوجدان، وعلمت أن كل الشيء غير الله فان، وإن هذه الدنيا وإن طاب هواها واتسع فضاها بالنسبة إلى عالم البرزخ كالرحم والمشيمه، وإن النفس مادامت في هذه الدار فهي في الأكدار مقيمه، وإن الموت لا يعتري الأنفس والأرواح، وإنما سلطانه على الأجساد والأشباح:

خلق الناس للبقاء	فضلت أمة يحسبونه للنفاد
إنما ينقلون من دار أعمال	إلى دار شقوة أو رشاد

فاسلم ففي بقائك سلوة عن كل فقيد، وجلوة للقلب العبيد، إذا سلمت فكل الناس قد سلموا، هذا ولنخرص بصابون الصبر وضر تلك المصيبة، ونحتسب بالله فقد كفي من كان في الشدائد حسيبه، ونرجع إلى قول العامة ادفنوا موتاكم وارجعوا إلى دنياكم. فإن سأل مولانا عن أحوال هذه الديار، فقد توالت فيها بعد سفر الحجاج سوابل الغيوث والأمطار، وارتخت بسبب ذلك فيما عدا نوع الحبوب الأسعار، فنواحي مكتنا حاكت السماء في الإشراق بزهر الكواكب، إذ حاكت بها أيدي الربيع مطارف كالوشي الذي يتزين به في المواكب، فهي الان كعروس تتبختر في حبر، وتتمخطر في وشي الحرير، بعد تسربلها بغليظ الوبر. فنسأل الله دوام النعمة، وزوال النقمة، ولم يتجدد بها من الأخبار، إلا كل سار. وقد كان أصاب أهل المدينة من حسن باشا مزيد المشقة والتعب، ونالهم من عظيم الكرب والوصب، بموجب ما وقع لهم من التفتيش على حصصهم، وتجريعه إياهم كاس غصصهم، ووقوع التخالف بينه وبين حكامها، لمحاولته أمورا يبعد عليه نيل مرامها، فوقع الرعية معه في شدة وبلية، فلجأوا إلى الحضرة النبوية، فنفذت فيه سهام أدعية الأسحار، والتجأوا إلى ذلك الجار، لما بغى عليهم وجار، فأهلكه الله وأراح، وأزال وجوده عن الوجود وأزاح، وكان حصول البغية والظفر، في الخامس عشر من صفر، فأنشبت يد المنية فيه مخلابها، وسلبته الحياة وأسلابها، ونقلته النقالة إلى نواويس أسلافه، فإن المدينة تنفي الخبث، وإن خط في الظاهر ببقعة البقيع له الجدث، وهذه عادة الله في كل من نوى أهل الحرمين بالسوء، ونكاهم بجراح التعدي ولم يأسو، فلعلها تكون قامعة لمن رام أن ينسج على منواله، ودافعة لمن يروم الاقتداء بأفعاله وأحواله.

وكذلك توفي بالمدينة أميرها السيد بديوي الحسيني وأقيم أخوه مقامه، وأما قاضيها فهو من أهل الصلاح والاستقامه، وكذلك قاضينا فهو على الضد من

ـنفه الذي سبق، فإن هذا في غاية من الحلم وذاك في غاية من الحمق، فسبحان ـن أقــال منه العثره، ودفع عن جيرانه شره. هذا وقد كنا أرسلنا صحبة السيد غــي بــن هــيزع أمانة إلى الشيخ العلامة الأوحد الفهامة شمس الفضائل التي ـرقها المغرب، وبدر الأفاضل الذي كل لسان عن كماله معرب، مولانا الشيخ ـو العــباس احمد المقري أدام الله فضائله، وأطاب والفعل للاستمرار شمائله، تفصــيلها مذكــور في كتابكم السابق، فلعلها وصلت إليه وجمعت عليه، وكذلك ـحبة المشــار إليه وداعة جزئية لحضرتكم العلية، والشيخ الدمياطي المؤرخ ذلك، فعسى انه سلك في الأمانات المذكورات أحسن المسالك.

/117/ هذا ولا تغفلوا[1] هذا الجانب من المراسلات بالوقائع الحادثات، وكنا عزمنا علــى همتكم العلية، في نقل صورة كتاب وقف الدّارودية، فها نحن نعيد ـب ذلك من هاتيك الشمائل، ونلتمس توجيه الهمة إلى تحصيلها بكل وجه قابل، ختم في سعادة محروسة من أعين الخطوب، وسيادة يتلقاها الدهر بالابتسام لا خطوب، والسلام المتتابع على الدوام، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى ـ وصحبه البررة الكرام، بتاريخ أواخر صفر الخير سنة 1030هـ.

المحــب المخلــص فــي الــود، عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، ونص عنوان: يتشــرف بأنــامل فخــر العلماء الكرام، ذخر الفضلاء الأكابر ذوي احــترام، واســطة العقــد الفريد، شامة الدهر بكل وصف حميد، مولانا الشيخ علامة أحمد شهاب الدين النوبي، زاد الله فضله وعلاه، انتهى.

[كتاب ورد علي من صاحب مكة]

ووصــلني من شريف مكة السيد محسن بن الحسين نصره الله، كتاب من ـــاء مولانـــا المفتـــي المذكــور، فيه العلامة الشريفة، بعد الحمد لله، المحب ـخلص محسن بن حسين، وبعده.

إن أشرف ما نظم في عقود المكاتبة، وألطف ما رسم في عهود المخاطبة، ـ تــرقمه أقلام المحبة والاختصاص، إلى أعلام المودة والإخلاص، من تحف ـدي، وطرف المزايا، المهداة إلى حضرة الشيخ العلامة، الإمام الحبر الفهامة، ـنم جمــال علمــاء الإسلام، كمال فضلاء الأنام، ذو التآليف التي اشتهرت، فضــائل التــي انتشرت، صدر المدرسين، مفيد الطالبين، مولانا الشيخ أحمد ـب الدين المقري، أدام الله فوائده، وأبقى في جيد الأيام فرائده وبعد:

فالموجــب لتسطير الكتاب، وتصديره إلى ذلك الجناب، هو البقاء على ما عهــده منا من الإخلاص، ويعتمده من الاختصاص، وقد وصل كتابه الميمون،

---

[1] في الأصل: تغفلو.

المشتمل على الدر المكنون، فسرنا بوصوله، وأقر عيوننا بحصوله، حيث تضمن خبر صحة مزاجه، ودوام ابتهاجه، وتأملنا ما طرز به طرته، وعزز به غرته. من الأبيات التي كل بيت منها بيت القصيد، وكل لفظ منها فائق على الدر النضيد، ولا بدع فمنشئه إمام البلاغة واللسن، السالك منها الأسلوب الحكيم الحسن، فالله تعالى يبقي جمال الأيام ببقائه، ويرقي قدر العلماء الأعلام بارتقائه. وما ضمنه حاشية الكتاب، وأودعه غضون ذلك الخطاب، من المعنى الذي أشار إليه، ونبه بلطفه عليه، فهذا شيء شاهده عندنا، وعلم أن المشار إليه ممن أخلصناه ودّنا، واستخلصناه لغوامض أسرارنا، واختصصناه من بين أعيان ديارنا، لما ثبت عندنا من كمال ديانته وأمانته، وفضائله ورصانته، فهو عندنا بالمنزلة التي لا توازى، والمرتبة التي تقابل بالإعزاز وتوازى.

وما شرحتموه من فضائل طالت من طالت فضائله، وطابت خصائله وشمائله، الجامع لكل فضيلة، الحاوي لكل مزية جليلة، فخر الموالي مولانا أنسي أفندي عبد اللطيف، قاضي المحمل الشريف، فقد اجتمعنا به فرأينا فوق ما وصفتم، وكأنكم اختصرتم، إذ اقتصرتم على البعض من شمائله التي عرفتم. فالله تعالى يجمل الأيام بمثله، ويزيد في أنسه وفضله، ولا برحتم في عناية الله ورعايته وحفظه وعنايته، والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، حرر في أوائل محرم الحرام سنة 1035هـ. ونص العنوان. الشيخ العلامة، الحبر الفهامة، صدر المدرسين، مفيد الطالبين، مولانا الشيخ أحمد المقري المالكي، أدام الله إجلاله، وبلغه آماله.

ابن مرشد يكتب إلى المؤلف معزيا

/118/ الحمد لله، ومما كتبه لي مولانا الشيخ عبد الرحمن المذكور معزيا عن ولدي محمد المكي[2] جعله الله في الميزان ما صورته:

---

[1] أنظر ذلك في ص: 92.

[2] وقد وردت الإشارة إلى ولد المقري هذا في ص: 116وص: 187 من هذا الكتاب، وهو عكس ما ذهب إليه محمد بن عبد الكريم في صفحة 96 من أطروحته التي خصّصها للمقري وكتابه نفح الطيب، حيث يقول: إنه لم يثبت لدينا بعد البحث الدقيق في المظان الموثوق بها، أن المقري قد أنجب ولدا ذكرا. علما أنّه ثمة عبارة قد وردت في نفح الطيب، ج2، ص: 466، في رسالة أحمد بن شاهين إلى المؤلف، تشير إلى هذا الولد، وهي العبارة التي استشهد بها الباحث نفسه ولكنّه لم ينتبه إلى مدلولها. ومفادها أن ابن شاهين حين كتب إلى المقري سنة 1038هـ معزّيا عن ابنته وأمّه قال له: "... وأن يعوّض سيدي عن حبيبه المبرقع المقنّع، حبيبا معمّما تتحرى النجابة منه المصنع، وأن يبدله عن ذات الخمار والخضاب بمن يصول بالحراب، ويسطو باليراع ويشتغل بالكتاب".فكان ابتهال ابن شاهين إلى أن يعوض الله المقري عن ولده محمد المكّي الذي مات سنة 1034هـ، وابنته التي ماتت سنة 1038هـ بولد آخر يرثه في العلم والأدب.

الحمــد لله، طوى المسافة حتى جاءني خبر فزعت فيه لآمالي إلى الكذب، حــتى إذا لــم يدع لي صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي، يا من يعز عــي أن أكاتبه بعزاء، ويشق بي لولا إقامة السنة أن أخاطبه بتسلية مصاب عظم فيه الأجر والجزاء، أفرغ الله على قلبك شآبيب الصبر، وعظم لك في مصابك الثواب والأجــر، إني معزيك لا إني على ثقة، وأسليك وهيهات السلوان عمن نيطــت بنــياط القلب له المقة، فقد كادت القلوب أن تنفطر، والصدور أن تنفلق عنه فتنطفر، لولا التأسي بمن كان لنا فيه أسوة حسنة، والتسلي بما وعد به من لا تأخذه نوم ولا سنة، فإذا ذكرت محمدا ومصابه، فاذكر مصابك بالنبي محمد، ــ المال والأهلون إلا ودائع، والمذخور منها عند الله غير ضائع، واللبيب من عن ذلك، وما غفل عما أعده الله له هنالك، فالله تعالى يلهمك الرشد، ويعوضك خــيرا من الولد، وقد أذهلني خبر هذا المصاب، عن تدبيج الديباجة بما جرت به عادة في صدر الكتاب، من إهداء التحية، وإسداء الأثنية الأريحية، على شمائلك الغــر، وفضائلك التي هي كالشامة في خدور الزهر، فنهدي إليك من التحايا ما ــــخر عــرفه بالعنبر، ويهز أوصفه بالعبهر[1]، ونبثك شوقا كاد رقمه أن يحرق قــرطاس، ورسمه أن ترهق به النفوس، وتزهق به الأنفاس، فنسأل الله أن ينعم ــ بلقائك، وينعم لنا الأمل ببقائك.

هــذا وإن سألتم عن الأخبار، وحوادث هذه الديار، فهي بحمد الله بغاية من الأمــان، ونهاية من السلامة عن حوادث الزمان، وقد وصل الحجاج، من سائر فج، وأدوا مناسكهم، وعمت المغفرة إن شاء الله طالحهم وناسكهم، ولم يقع ما ــيقع عــند اختلاط الأجناس، واختلاف أصناف الناس، من الشرور والفتن، و ـحــور[2] والإحــن، ولــم يصــل أحد من جانب العراق، لما فيه من الحروب ــــقاق، ولم يتحرر من خبر السردار، سوى إقباله عليه بالعسكر الجرار، فالله ــي يمده بالفتح والظفر، والسلامة في الإقامة والسفر، وقد وصل جميع من في ـكب سالمين، ولثواب الرب غانمين، أعادهم الله إلى أوطانهم كذلك، وسهل لهم ــ المسالك.

وقد اجتمعنا بمن نوهتم بشأنه، ونبهتم على مكانته ومكانه، وهو الشيخ الذي ـــ المشائخ في شبابه، وشذ ما بين أقرانه وأترابه، فجمع من المحاسن ما يقصر عــن وصــفه البليغ ذو اللسن، وحاز من المحاسن ما لا ينكر معه التكنية بأبي حسن، فتشرفنا برؤيته عند الاجتماع، وأغنى الله بالتملي بطلعته عند الاستماع، كثر الله من أمثاله، وأبقى جميل فضله وجليل أفضاله، وأعاده إلى وطنه، وأعاذه مــن شر الدهر ومحنه، وقد كتبت هذه والبال لا يفارق بلباله مخبرة بالبقاء على

---

(1) العبهر: الياسمين والنرجس.

(2) الوحر: الغيظ والحقد وبلابل الصدر ووساوسه، والوحر في الصدر مثل الغل.

ذلــك الــوداد، ومؤدية لما جرت به السنة بما تقدم من تلك المواد، وإن شاء الله يأتيكم عقبها ما يشتمل على تفصيل الأحوال، وشرح ما في هذه من الإجمال، وقد بلغنا سلامكم لمحبكم الصنو القاضي أحمد والولد حنيف، وكلاهما يهدي شرائف الســلام، إلــى مقامكم الشريف، والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصــحبه وســلم، تحريرا في سابع عشر من ذي الحجة الحرام سنة 1034هـ. بــاذل الدعاء والمستمد،عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، انتهى. والعنوان: فخر العلماء العاملين، ذخر الفضلاء الكاملين، صدر المدرسين، مفيد الطالبين، مولانا الشيخ أحمد المقري أدام الله فوائده، انتهى.

وخاطبـــــه قائـــلا:

/119/ الحمــد لله، وممــا خاطبنـــي به مولانا الإمام الشيخ عبد الرحمن المذكور ما صورته:

الحمــد لله: يا مغدق سحاب البلاغة على رياض الطروس، ومشرق شهاب الــبراعة فـــي غياض الدروس، ومفتق أكمام الأذهان عن زهر العلوم الزاهر. ومفجــر أنهار الأفهام من بحر الفنون الزاخر، حط بأسوار سور فرقانك، واحفظ بأسراره آيات قرآنك، من أحييت به معالم العلم بعد اندراسها، وأنشيت به مراسم الفضـــل بعــد انطماسها، وفضلت به المغرب على المشرق، وفصلت به مجمل مباحث الجمع والفرق.

الفقـــيه الذي هو لأزمّة الفروع مالك، والمحدث الذي أنس بتحديثه أنس بن مـــالك، والمفسر الذي ما البحر إلا جدول من جداوله، والأصولي الذي جمع بين الأصلين ببراهين كل منهما ودلائله، مولانا الشيخ العلامة، الأوحد الفهامة شهاب الدين أحمد المقري أدام الله جمال المحاسن بفوائده، وأقام كمال المدارس بما يلقيه فـــيها من فرائده، نهدي إليه سلاما ينتسب في اللطف إلى لطف شمائله، ويكتسب الأنس من أنسات خصائله، تبثه عليه ألسنة الأقلام، وتنثه أفواه محابر الأعلام.

هـــذا وقد وصل كتابه الفائق على القلائد، الجدير بأن تزان بجواهر أجيد الولائـــد[1]، فيا له من كتاب مفرد جامع، وخطاب تتلى آيات بلاغته في المجامع. فنال منا من الاعزاز ما يناله الوافد المرجى، وبلغ من الإقبال فوق ما يؤمل لمثله ويرجى، ولا غرو فإنه أثر تلك الأنامل المقبله، ونتيجة مقدمات الأكامل المبجلة. سيما وقد أخبر بصحة ذلك المزاج، ومنحة ذلك الابتهاج، بوصوله إلى تلكم البلد. واجــتماعه بـــالأهل والولد، ووصل صحبته الكتاب الثاني، المغنية بلاغته عن المثالـــث والمثاني، فأوصله الداعي إلى سيد السادة الأشراف، رائد القادة آل عبد

---

[1] الولائد: الشواب من الجواري.

ـــناف، فتلقاه بما عهد منه من تلقي كتبكم بالترحاب. وتأملها تأمل الذكي النقاد ـــنقاب، لمـــا يألفـــه فيها من اشتمالها على جواهر الفصاحة، وزواهر البلاغة . نملاحـــة، ثم أشار بكتابة الجواب، فكتب ووجه إلى ذلك الجناب، فستقفون على ـضمونه، وتستقفون مخبآت مكنونه.

هـــذا وما تضمنه الكتاب الكريم، والخطاب العظيم، من أخبار تلك الديار. . منهـــا واثار هاتيك الأقطار، فقد انزلها حسن بيانكم منزلة المشاهد المحسوس، . ـخصـــها للســـامع فـــرءاها من خلال تلك الطروس، ولم يحتج أن يتمثل بقول . ئل: فاتتـــي أن أرى الديار بعيني[1]، فلعلي أرى الديار بسمعي، وإن سألتم عن ـحرميـــن، فقد فاقا في الحسن على البلاد ذات الهرمين، لم يشنا إلا بعدكم، وما ـنيـ الأحباب بعدكم، فنسأل الله أن يمن بعودكم إليها، وقعودكم فيها.

هـــذا وما أنهيتموه لنا من وداد ذي الصفا، المختار للتواد المصطفى، فنحن ذلـــك فودنا القديم لم يتغير. وعهدنا الصميم لم تنحل عراه ولم تتنكر. وإن شاء ـة نجتمع به في البلد الحرام، فيشاهد منا ما يصدق قولنا من الإكرام، ولعل الله ـ يهيّء لكم الوصول في هذا العام مع الركب، ويسني لكم الإقامة عندنا لنقضي ـــدة فـــي هـــذا الجـــناب الرحب، وبلغنا سلامكم لمحبكم الصنو القاضي أحمد، . تلمـــيذكم الولد حنيف الدين المستملي فوائدكم بالروضة المطهرة المعهد، وهما . ســـائر من تعلمونهم من أهل الحجاز، يزفون عرائس الثناء ونفائس الدعاء إلى حضرتكم الوافرة الإعزاز، ولا تروا علينا في مقابلة ذر ألفاظكم بهذا المخشلب، فقـــد انتهـــت يـــد الاشتغال ما عهد من تشبثنا بالمعارضة وسلب، فاليكم المعذرة . لعفـــو عـــند المقدرة، والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه . ســـلم، تحريـــرا في الثامن عشر من جمادى الأخرى سنة 1034هـــ. العنوان: ـعـــالم العلامـــة، الحـــبر المفيد الفهّامة، صدر المدرسين، مفيد الطالبين، الشيخ ـاوحد، الأكمل الأمجد، الشيخ أحمد المقري أعزه الله تعالى.

وكتب إليه كتابا كله نظم:

/120/ وكتـــب إلي حفظه الله كتابا كله نظم نصه: الحمد لله رب العالمين، ـحية طيبة مكية، تحملها النوافح المسكية، يفوق عرفها شذى الورد الندي، يروق . صـــفها لـــدى كـــل ندي، يصحبها من الثناء ما يخجل، من عرفه شيح الربى . لمـــندل. مشفعا بما يجاب من دعاء نرفعه في مكة بالمدعى والمستجار والصفا . لملتزم، والحجر والحطيم ملجأ الأمم، والمروتين ومنى وعرفه، والمشعرين ثم فـــي مـــزدلفه، وكـــل موطن به الإجابه ترتجى وفيه تقبل الإنابه، بأن يديم ربنا

---

[1] في الأصل: يعني.

تعالى، أفضاله الذي لنا توالى، بما حبانا من وجود من سما وُجوده وَجُوده غيث السما.

الحافظ الحبر الإمام الحجه، بحر المعارف الغزير اللجه، شيخ الحديث الفذ محيـــي الســـنه، مفتي الأنام إنسها والجنه، مشيد ربع ما انوهى وما اندرس، من اجــتهاد مـــالك نجل أنس، الناظم الناثر ذو البلاغة، الفرد في صناعة الصياغه. العـــالم العلامة الإمام، الكامل الفهامة الهمام، أعني أبا العباس أحمد السري، من شهرت نسبته بالمقري، أبقاه ربنا جمال العصر، في مصر بل وفي خلاف مصر. وزاده من فضله ونعمته، ومنّ باجتماعنا بمكته، وبعد:

يا من لا يزال شوقي، إليه يسمو حمله عن طوقي، أنهي إليك أنني باق على عهـــدي القديم في الوداد والولاء، ولم أزل وهكذا وهكذا، وما به المولى العزيز آخـــذا، مخلصه من جهة التقريظ، لذلك الكتاب بالقريض، وإن وعد فيه ساوى م ذكر، من مثل في خلف وعد اشتهر، فلم يكن عهدي به وظني فيه، اعتقاده لذاك منـــي، حاشـــى وكلا أن أكون مخلفا وعدا بلا عذر، لغدر بالوفا فها أنا أبدي لك الأعذار فيه وأرجو الصفح والإعذارا، وذاك إني مذ سمعت ما رقم عليه من عقد فـــريد منتظم، للعلماء الجلة الجهابذة، السابقين الكل الأساتذة، خشيت أن تلحقني الفضـــيحة، من اعتراء اللكنة القبيحة، إذ لست من فرسان هذه الحلبه، ولا الذين قـــاربوا ذي الرتـــبه، فإن أبيت يا عظيم القدر إلا افتضاحي بين أهل مصر، فما أحـــيد عـــن مراد رمته، ولا أجيد غيرما علمته، والحال في الموسم غير خافية عليك، والأذهان غير صافية، وبعدما ينصرف الحجاج، تعتدل الأفكار والمزاج. فنبذل المجهود في المراد، ونرسل الكتب مع القصاد.

هـــذا وقد جاء الكتاب الثاني، الفائق الألفاظ والمعاني، أعني الذي قد زينت ســـطوره، وانبلجت وانشرحت صدوره، بمدح من سما عن الممادح، وعز شأنه عن مديح المادح، السيد المحسن ذي الإحسان، حامي حمى مهابط القرآن، دامت معالـــيه العلية الذرى، محوطة بحفظه أم القرى، فأوصل الداعي إليه المهرقا، ثم قـــراه حســـبما قد نسقا، فشكر المحسن ذاك النظما، ثم أجاب بالكتاب عما، وذلك الكتاب واصل إلى حضرتكم دام علاها واعتلى، وما إليه قد أشار المولى في شأن حـــامل الكـــتاب الأعلى، المفرد الجامع للمعالي، من قد سما على الأثير العالي. وأشرقت في برجها نجومه، وقد أحاطت بالسما علومه، وقوّم السبعة من كواكب. وزاحم الجوزاء بالمناكب، وضبط الأوقات بأسطر لابه، فما يحاط علمها إلا به. محمد الفاسي نجل القاضي، العالم المفرد في الرياضي، دامت معاليه دوام الفلك. ودام في أمن العزيز الملك، وقد حظينا باجتماعنا به، حظ اجتماع بإمام نابه، لكنه ما زار حتى ودعا، وصحب الفؤاد والقلب معا، وقد شكرناكم على التعريف به. لمـــا اغتبطـــنا حالـــنا بسببه، وأوصل الأمانة المصحوبة، بحسب ما في طرسكم

ـكتوبة، فقوبلت بغاية القبول، وبشكر المولى صنيع المولي، وحيث جاء في السنة
ـسنيه، حديث مشروعية الهديه، ولفظه بصيغة التفاعل، كان اقتضاء ذلك التقابل،
ـحيــز للمولـــى العلـــي الشان، مع ابن هيزع علي شاشان، فليسدل المولى على
ـتقصير، ستر التغاضي منه عن تقصيري.

/121/ وأوصـــل الصـــنو المحب أحمدا،كتاب مولانا الذي تفردا، يصحبه
ـجزء الذي من الوفا، تاريخ بلدة النبي المصطفى، ومن وصوله قضينا العجبا، إذ
ـ مولانـــا الـــذي قد وهبا، فإن ذلك لم يكن بعاريه، بل هبة للحضرات العالية،
ـ ـسنجل عبدكم حنيف الدين، يهدي سلاما فائق النسرين، إليكم ويستمد الأدعيه،
ـــنكم له بنـــيل كل أمنية، والتاج تاج الدين أعني المالكي[1]، محبكم خطيب ذي
ـمالك، بلغته عنكم أمانة السلام، فخصكم بمثله في ذا المقام، وعلكم تبلغون عنا
ـضلا أسمى السلام الأسنى لسيدي القاضي العلي المرتبة، أحمد ذا النوبي العظيم
ـمنقبة، دامت معاليه، وطال عمره، وطاب في كل بلد ذكره.

هـــذا وقد حرر ذا الكتاب في لحيظة والفكر في شغل وفي، فليعذر المولى
ـويغفـــر الهذي، محتملا هذا الصداع والأذى، وكان ذا في رابع المحرم من عامنا
هـــذا الجزيل النعم، عام ثلاث وثلاثين التي من بعد ألف من سني الهجرة هجرة
ـخير الرسل طه المصطفى، صلى الله عليه ربي وكفى، وآله ثم الصحابة الكرام
عليهم منه الصلاة والسلام.

هـــذا ومن ذكرتم في الحاشية، سماته ذات المعالي السامية، حاوي المزايا
عظم الموالي، من قد سما على الأثير العالي، قاضي القضاة العالم العلامة، زين
ـولاة الكامل الفهامة، أعني به المولى العزيز موسى، من قد أقام للقضاء ناموسا،
ـمصر لما كان فيها قاضيا، وكان ذو الجلال عنه راضيا، فقد تشرفنا به ونلنا من
عمنـــه الســـني ما أملنا، وظهرت لنا به فضائله، وبهرت عقولنا رسائله، وعمنا
ـلطفـــه وعـــرفه، وخصنا بغيث وكف كفه، وكان في مدة ما أقاما، بمكة نزوره
ـدوامـــا، فنســـتفيد كـــل وقت فائدة، ونستزيد صلة وعائدة، والله يبقيه على قدر،
ـوتسمو به كمضر غير مصر، المخلص الصادق في الود عبد الرحمن بن عيسى
ـبن مرشد، انتهى. ونص العنوان: إلى الإمام الحافظ العلامة، بحر العلوم الكامل
ـالفهامة، شيخ الورى، المحدث الفقيه، المصقع المفوه، النبيه الشيخ، أحمد الشهاب
ـالمقري، المغربي المالكي الأثري، أبقى الله ذاته الزكية، رافلة في عيشة هنية.

---

[1] أنظر الهامش رقم: 1، ص: 90.

وكتب إليه مهنيا بالتزوج

وكتب لي مهنيا بالتزوج، حفظه الله ما نصه، الحمد لله:

سلام مشوق للحقوق يراعي	يبلغه عنه لسان يراع
سلام كنثر الروض باكره الحيا	فضاع وما ذا الفعل فعل ضياع
سلام يفوق المسك عطرا ونفحة	يزجيه من رحم وخير بقاع
ويخجل شمس الأفق عند بزوغها	ويتركها جدى بغير شعاع
يؤم المقام الرحب والساحة التي	لها شرف يسمو بكل رباع
إلى سيد أضحى بمصر وصيته	له في نواحي الأرض أي شياع
إلى من به الأمصار حين يحلها	تباهي به الأقطار عند نزاع
إلى العالم العلامة الجهبذ الذي له	في فنون العلم فسحة باع
إلى عالم راض العلوم جميعها	وأتقنها إتقان من هو واع
يهنيه عني بالذي عم نشره	وشنف مني السمع عند سماع
قران سعيد فيه شمس الضحى	غدت قرينة بدر في بروج قناع
به أضحت الدنيا وأصبح أهلها	نشاوى سرور ظاهر بطباع
فلازال في أنس منيع ونعمة	لها عين كل الكائنات تراعى

يا من إذا ذكرت الأعيان كان واسطة عقدهم الفريد، وإذا شكرت الإخوان كان رابط مجدهم الطارف والتليد، وإذا اشتمل ناد على منتدين كان المشار إليه. وإذا احتل هاد بمهتدين كان المعول عليه، أعيذ مجدك الشامخ وعزك الراسخ بايات الفرقان، وأعيذ ذلك التعويذ ليسلم جمع شملك من المفرقان، وأزف عرائس التهاني، واصف نفائس المثاني، ناطقة بألسن بداياتها، واثقة باحسن غاياتها. مهنية بما منحك الله من التوفيق للعمل بسنة الرسول، والتحقيق لما انطوى عليه ضميرك من البلوغ إلى ذلك الوصول، فليهنك العرس الذي دقت له في رحاب الأماني، نوبات المسرة والتهاني، والتزوج الذي صرت به فردا بين أقرانك. ونلت به تجديد ما تقدم من سبب إحصانك، فلقد تخيرت المغارس فوقعت على أطيبها أصلا وأزكاها، وليهنك الفارس الذي سينتج من هاتين المقدمتين الصادقة قضاياها، فيا له من فرع نتج من أطيب جرثومه، وأكرم /122/ خؤولة وعمومه. وهذا من باب التفاؤل المطلوب، والعلم عند علام الغيوب، تفاءل شيئا لا يكون فقلما يقال لشيء كان إلا تحققا.

هذا وانهي بعدما أهني وأثني على شمائلك وأثني، البقاء على ما تعهده من الود المحض، والعهد الذي لا يشان بنقص ولا يشاب بنقض، والتشوق المعبر عنه بالجملة الفعلية، والمودة المخبر عنها بالجملة الاسمية. إنه قد وصل الكتاب الأول والثاني، وعززا بالثالث المرسل صحبة أغا رودس فأغنت عن المثالث

والمثانـــي، حيث تضمنت خبر صحة مزاجكم الشريف، وأثر منحة ابتهاجكم بما هو غني عن التعريف، فالله تعالى يحفظ هذا القران السعيد، بالقرآن المجيد، وقد سـومح إبراهـيم أغا بما توجب عليه في البندر من المعتاد، وعومل بالعناية لما شملته منكم مواجب الإسعاف والإسعاد.

ووصـــل الكـــتاب الذي شرفتم صدره، ونوهتم قدره بألقاب من تشرفت به الشـــرافة، ومـــا تخلفت عنه الخلافة، فزففته إليه زفاف العروس، فقرت برؤيته العـــيون وطابـــت بـــوروده الـــنفوس، وشكر مساعيكم، وذكر صفاتكم الحميدة ودواعيكم، وأمر الكاتب بالجواب، وهو واصل صحبة هذا الكاتب. وأعدت النظر في كتابكم الأول، فرأيته مشتملا على فصول مهمة اعتمد عليها المولى وعوّل.

أولهـــا: طلـــب الخلـــوص والصـــفا، وامحاض الوداد للقاضي مصطفى، والمخلـــص ولله الحمد ليس من أهل الأحقاد، ولا ممن يطوي طويته على شحناء لأحـــد تكمن في الفؤاد، وقد وصل منه كتاب تلطف فيه وتعطف بمصطفيه، على أنه لم تصدر بيننا وبينه مكافحه، ولا تعريض في حال اجتماع ولا منافحه، وإنما ســـاء المخلص ما بلغه عنه مما يحرق المزاج، وعرفكم سابقا أنها كانت كوردة الحلاج، وقد تلافى ما فات، أن الحسنات يذهبن السيئات، فقد صح ما ذكرتم أنه العلة التامة في حصوله، والسبب القوي في وصوله، من أمر القفطان، الذي أنعم بـــه حامي تلك الأوطان آصف الزمان، الوزير العظيم الشان، دامت معاليه ثابتة الأركـــان، فإنه قد وصل، وبلبسه التشرف حصل، حسبما شرحنا ذلك في كتاب محبكم القاضي أحمد النوبي، وذكرنا له أن يطلعكم على كتابه عند وصولكم إلى رياضـــه التـــي لا يوخـــم هواها ولا يوبي، فالله تعالى المسؤول أن يقدرنا على مجازاته، كما أقدرنا على مخالصته ومصافاته.

ثانـــيها: أمر تذاكر الفراغ بالخطابة والأمانه، لولد المخلص عبدكم حنيف وإقامته مقامه، فقد وصلت التذاكر التي سعى في إتمامها الشيخ أبو السرور، وإن شاء الله سيباشرها فتقر به الأعين وتنشرح الصدور.

ثالـــثها: مـــا شرحتموه من صفات مولانا أنسي[1]، الذي اضمحل عند ذكر فضـــائله فضـــل كـــل ذي فضـــل وأنسي، وذكرتم تهيئة مدرستنا لا نزول فيها والتشـــريف لنواحيها فهي ليست من قاضي المدينة له مهيأة، و إلا فنعيضه عنها ما يستحسنه إذا تفيأه.

---

[1] أنظر الهامش رقم: 2، ص: 92.

رابعها: قضية الشيخ غرس الدين الخليلي[1]. فقد أتممناها بما طابت به نفسه. وزكا في محراب الروضة الشريفة غرسه، فقد حصل الإذن لنائبه مولانا الشيخ عبد الرحمن الخياري[2] في المباشرة، فباشرها في غرة شعبان وسلم من المنازعة والمحاشرة.

خامسها: قضية الشيخ محمد بن عبد القادر المدني والشيخ مولات المالكي. فقد عرض الشيخ مولات ما بيده من البراءة على مولانا الشريف، فكتب إلى حاكم المدينة بأن يدفعه وخصمه إلى الشرع ليحكم بينهم بما يقتضيه الحكم المنيف، فلم يجد خصما يدعي عليه لأن الدرس باسم الولد المفقود، ولا وكيل كأنه حاضرا يتوجه عليه الحكم بما تشهد له الشهود، فكتب له القاضي صورة ما وقع، ودفع له مكتوبا ما استفاد منه ولا انتفع، والثمرة المرتبة على ذلك وهي العثامنة المقررة، متوقف صرفها على ورود تذكرة.

وأما ما ذكره المولى أفاض الله عليه كل خير وأولى من جهة ما انجر إليه الكلام بمجلس المولى الكفوي مع ابن سويدان في خطبة الموقف الأعظم والمشاعر العظام، فلا شك أن ذلك من أجمل المساعي، التي تلاحظها عين الأمن وتراعي، وهذا من باب المكاشفة من الشيخ أبي السرور العبادي، وذلك لإشراق أشعة خاطركم عليه في ذلك النادي، فانطبع فيه سركم، واجتمع فيه أمركم، وهذه القضية خير التكلم فيها بمصر، كان بها عرض في خصوص المادة، لكنكم لم تطلعوا عليه، إذ هو في الكتب المودعة للآغا محمد بن بهرام المرسلة إلى دار السلطنة العلية المقام، فحيث لم يتهيأ لهم العزم إليها، ولا وجدوا يرفعون له العروض ويأمنونه عليها، أعادوها إلينا وردوها علينا. فهذا العرض المخصوص بهذه القضية واصل إلى حضرتكم العلية، وإن أمكن إرساله إلى الأمير ابن سويدان، فتكون لكم اليد البيضاء التي لا تدانيها يدان، وإليكم المعذرة، فلم يبق للمخلص على الوفاء بحقكم في المكاتيب مقدرة، لكثرة أشغاله وتفرق باله. فنسأل الله السداد والإسعاف والإسعاد، والتوفيق إلى طرق الرشاد.

وقد بلغنا سلامكم لمحبكم الصنو القاضي أحمد والولد الحنيف، وكلاهما يهدي تحف التحايا إلى مقامكم الشريف، وجميع من بلغتمونا عنهم السلام من

---

[1] انظر الهامش رقم: 1، ص: 117.

[2] عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري الشافعي المصري (ت 1056هـ) أخذ بمصر عن النور الزيادي، وأحمد الغنيمي، والشيخ الخفاجي وأجازوه. تصدّر للإقراء بجامع الأزهر مدة لازمه خلالها جمع من أكابر الشيوخ وأخذوا عنه. ثم هاجر إلى المدينة النبوية سنة 1029هـ وسكنها وصار خطيبها ومحدثها وإمامها الكبير، حيث انتفع به أهلها. وبها كانت وفاته. المحبي. خلاصة الاثر، ج2، ص: 367.

سادات الأجلاء الأعلام تحية منا بأحسن مما حيونا به، واهدوا إليهم سلام متيقظ ـــه، ولكم بذلك مزيد المنة التي لا تجازى بشكر، وحميد النعمة التي لا توازى ـكـر، بقيـتم وعـناية الله حافة بكم من سائر الجوانب، ورعايته كافة عنكم يد نوائـب، والسـلام على الدوام، وصلى الله على خير الأنام، وعلى آله وصحبه وسـلم، حرر آخر شوال سنة 1034هـ. والعنوان: الشيخ العلامة الإمام، الجهبذ لخهامـة الهمام، شيخ الإسلام والمسلمين، خادم سنة سيد المرسلين، مولانا الشيخ حمد المقري أدام الله إقباله، وبلغه في كل حين آماله.

ابن مرشد يلم بذكر المؤلف في كتاب إلى أحمد النوبي

/123/ ومن إنشاء مولانا الشيخ عبد الرحمن المرشدي، ما كتبه لمولانا لقاضي أحمد النوبي وألم بذكري حسبما يظهر منه، ونصه:

الحمـد لله سـبحانه، يا من أمحضته ودادي، وجعلت ذلك عدتي وعتادي، رجـي إليك تحيات يحدو بركائبها الإخلاص المحض، ويهدي نجائبها إلى أداء ـك الفرض، لتقف بموقف تلك الرحاب التي هي مقصد الأمل، ومعهد كل فاضل وكـامل، منهية عني شوقا جل عن الحصر والحد، وكل عنه لسان الرسم والحد، معـرفة ببقائـي علـى مـا يعهده من الإخلاص الذي لا يشوبه رياء وسمعه، والاختصـاص الذي أكسبني كل هناء ورفعه، سائلا من الله أن يجدد العهد بهذه لمعاهد، لنحظى بمشاهدة جماله بهذه المشاهد.

وقـد سبق التعريف إلى ذلك الجناب، بما وقع من الوقائع صحبة النجاب، فلعلـه وصـل إلى ذلك النادي، وحصل في ذلك الوادي، ولم يتجدد بعد ذلك ما ينهي إلى هاتيك المسالك سوى دوام الستر والسلامه، وعود كل ركب إلى موطن لإقامه، وقد جهز ولاة الحرم، وحماة السوح المحترم، في هذا العام هدية فاخرة لى الباب العالي، وأركان دولته الأعالي، وكذلك إلى صاحب مصر، وعولوا في يصال هدية ذلك الجانب، على محمد أغا المصاحب، وأرسلوا في خدمته موسى غا خادم الأغا بهرام، للعود بالأجوبة من ذلك المقام، فالملتمس من تلك الشمائل لمرضية، مواترة المكاتبات بما يتجدد في تلك النواحي المحمية، وقد وصل ما به تفضلتم، وحصل لدينا ما به تطولتم، حسبما ذكرتم وفصلتم، كثر الله عليكم الخير، ودفع عنكم وبكم كل ضيم وضير، والواصل إليكم صحبة السيد علي بن هيزع ما ـستحيطون بـه علما، وهو شاشان مقصبان فتسدلون ستر الصفح تكرما وحلما، فذلـك بالنسـبة إلـى مقامكم الخطير، شيء حقير، لكن كون الهدايا على مقدار مهديها، قضية لا خفاء فيها، بقيتم في سعادة متوطدة بالبقاء، وسيادة لا تبرح في رتقـاء، والسلام وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم، تحريرا في أوائل محرم الحرام سنة 1030هـ، المخلص الداعية الفقير عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد المفتي الحنفي.

ونهدي شرائف التحية والسلام،ولطائف الأثنية المخصوصة بالإكرام، إلى حاضري مجلسكم الكريم، وناديكم الفخيم، من العلماء الأعلام، ومشائخ الإسلام. سيما السمي السني، مولانا الشيخ عبد الرحمن اليمني[1]، أدام الله إجلاله، وبلغه اماله، أمين. ومما ننهيه إليكم، ونعرضه عليكم، أن محبكم الشيخ العلامة، الأوحد الفهامة، جمال أهل التدريس والتأليف، ذا الخلق النفيس الشريف، مولانا الشيخ أحمد المقري المغربي، أدام الله فوائده، ونظم في سلك الوجود فرائده، كان قدّم في السنة الماضية قصيدة فريدة لحضرة سيد الشرفاء، رائد الخلفاء، مولانا السيد محسن بن الحسين، فقرت بذلك منه النفس والعين، وقد وقعت الغفلة من المخلص في العام الماضي وفي هذه السنة عن التنبيه عليها والإشارة إليها، فما تذكر ذلك إلا بعد توجه الشيخ المشار إليه وعوده إلى مصر، فنبه مولانا المشار إليه على ذلك، وأخذ له منه أربع طاقات من الشاش المقصب، ونصف كورجة من السرسارة، وهي واصلة إليكم صحبة السيد علي بن هيزع، فتوصلونها إلى مولانا الشيخ أحمد المقري، وتعتذرون للفقير في التقصير، والله يعفو عن كثير، وقد ضاق الوقت عن كتابة مكتوب إليه بالاستقلال، لما تعلمونه من مقتضى الحال. وحالكما /124/ واحد، والإخلاص أعدل شاهد، والسلام. ونص العنوان: يتشرف بأنامل جمال العلماء الأعلام، كمال الرؤساء الكرام، ذي الفضائل العديدة، والشمائل الحميدة، العلامة المفيد، الفهامة المجيد، مولانا القاضي أحمد النوبي أعزه الله تعالى، انتهى.

كتاب آخر من ابن مرشد إلى أحمد النوبي:

وكتب إليه أيضا ما نصه: الحمد لله رب العالمين، يا من أعيذ عرى إخائه عن الانفصال والانفصام، وأليذ حياد وفائه عن الانهزال والانهزام، أهدي إلى سوحك الذي هو ملاذ الأمل، ومعاذ كل عالم وعامل، من الثناء المسكي الأرج، والدعاء المكي المنعرج، ما يخجل الأول مسك دارين، ويرقم الثاني في صحف عليين، بأن يديم الله بقاءك الذي هو منى كل نفس كامله، ويقيم حياتك والسلامة نهما شامله، ويجمّل بك صدور تلك المحافل، ويكمل بك صدور كل جميل من

---

[1] عبد الرحمن بن شحاذة المعروف باليمني (975-1050هـ) ولادته ووفاته بمصر، شافعي، شيخ القرّاء وإمام المجوّدين في زمانه وفقيه عصره. تعاطى التجارة وله أموال كثيرة، وكان كثير البر لطلبة العلم والفقراء، قرأ عليه بالروايات غالب قرّاء جهات الحجاز والشام ومصر. المحبي. خلاصة الأثر، ج2، ص: 358.

حسانك الكافل، وأنهي إليك شوقا لا تحصيه السطور، وقد امتلأت منه القلوب والجوانح والصدور، شوقا ولا كشوق الحرائم إلى العذب النمير، قد استكن واستقر في سويداء الضمير، فأسأل الله تعالى أن يحيط سيادتك بأسمائه، وينيط سعادتك بما استظل بظل سمائه.

هذا وإن تلفت المولى إلى حال مواليه، واستفسر عما في بال مواليه، فهو بخير وعافيه، ونعمة وافرة وافيه، غير ما به من الشوق الذي سكن جوانحه، وحرك جوارحه، سيما وقد وصل هذا النجاب، ولم يصحب من تلك الحضرة كتاب، فمازال يسأل هذا العبد كل مكاتب لذلك المولى، ويسعى فما تجديه السعادة وقوفا على أنه كوتب أو لا، فلما بلغ اليأس منتهاه، وأخفق الأمل مسعاه، ثاب إلى عمال الفكر في تحصيل السبب، وإمعان النظر في التأمل في الذي اقتضى وأوجب، فلم تصل الفطنة إلى كنهه، ولا بلغت الفطرة إلى توجيه وجهه، فظن أن ذلك لعارض عرض، فاستفهم فأخبر بسلامة ذلك الجوهر من العرض، فحينئذ سرى عنه بعض ما خامر سره، وأبهجه خبر سلامتكم وسره، فالملتمس من لطف مولانا وصدق إخائه، عوده إلى ما عود به من جميل وفائه.

هذا وقد صدر إليكم سابقا مع أجود النجاب، ما تضمن تفصيله ذلك الكتاب، ولم يتجدد بعد ذلك ما يجب إنهاؤه إليكم، وعرضه عليكم، سوى دوام الستر والسلامه، وبقاء الأحوال على نهج الاستقامه، ومن تعلمونهم من المحبين بخير وعافيه، ونعمة صافية ضافيه، ووردت الأخبار بتجهيز مراكب عده، للسفر إلى بندر جده، كتب الله سلامة المسافرين، وأدام أمان هذا البلد الأمين، والملتمس أن يجري المولى على عادته القديمة، وقاعدته المستقيمة، من مواترة الرسائل، فإنها لبل غليل الشوق أعظم وسائل، وإن تفضل بتطريز حواشيها بجواهر الفوائد، وزواهر العوائد، فذلك هو المأمول من شيمه، والمرجو من كرمه، ومن حضر مجلسه الكريم من العلماء الأعلام والصلحاء الكرام، متحف بشرائف التحية والسلام، ولطائف الأثنية المفاوحة لنشر الخزام، بقي في سعادة أبدية، وسيادة سرمدية، والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، حرر في أواخر جمادى الأولى سنة 1030هـ، المحب المخلص عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، الحنفي المفتي بمكة المكرمة، انتهى. ونص العنوان: فخر العلماء الأعلام، ذخر الفضلاء الكرام، الجامع لأنواع الفضائل، الحائز لأصناف الشمائل، الأكمل الأمثل، الأعلم الأفضل، حضرة مولانا القاضي شهاب الدين أحمد النوبي، دام بقاه، وهام عداه.

وكتب ابن مرشد إلى المؤلف أيضا:

/125/ الحمد لله، وكتب إلي أيضا المذكور حفظه الله ما صورته: الحمد لله رب العالميـن، يـا من منحه الله من البلاغة ما ملك به أزمّة الكلام، وسلك به مسـالك يعجـز عن سلوكها خرّيت[1] الجهابذة الأعلام، فتصّرف فيها كيف شاء. وتحـرف فـي مـيدانها بجواده السابق إن شاء إنشاء، وتلاعب بفنونها تلاعب الصـوالج بالأكـر، وتداعب بها بما أعي الأنظار وأخمد الفكر، وتفنن في فني المنظوم فيها والمنثور، وتعين للقيام[2] بحمل لواء علمها الممدود عليه والمقصور. وأفحم مباريه ومساجله، وأقحمه في مضايق يلتجئ إليها إذا ما ساجله.

أهدي إلى حضرتك التي هي الروض باكره السحاب، وعدوتك التي أنبتت من الفضائل زهر الآداب، تحية تغشي سوحك مع الصبا في الصباح، وتروح إلى بوحـك في المساء والرواح، مضمخة بعبير ثناء على شمائلك يكتسب من لطفه الشـمول، مشـفعة بكثـير دعاء ببقاء فضائلك التي غادرت زهر خمائل غيرك متزويا في زوايا الخمول، معززة ببث اشتياق لا يكنه كنهه، ونث التياع لا يتلفع بلـثام الخفـاء وجهـه، ويحق لي أن أتشوق ذاتا طبعها الله من عناصر الكمال. وجمـع فـيها مـن الفضائل ما تفرق في غيرها من التفصيل والإجمال، فأسأل الرحمن وأنا عبده، وللمولى عناية ما بعبده يبعد معها رده، أن يبقي ذاتك والعناية بها حافه، ولكافة الأسواء عنك كافه.

هذا وإن تلفتم إلى السؤال، عمن نسج ودادكم على أحسن منوال، فهو وذووه وابنه وأخوه، وكل من ينسب إليه ويحسب عليه، بل كل من تعلمونهم من جيران الحرميـن، وتعرفونهم من قطان المحلين المحترمين، بخير وعافية، ونعمة وافرة وافـية، غـير أنهـم قاسوا في هذا العام شده، لكون الأقطار المصرية لهم غير ممدده، وبلغهم ما أشرتم إليه، ونبهتم عليه، من التفات صاحب دولتها الوافد عليها الآن، وانتباهه لما أغمض عنه الطرف سلفه السابق في ذلك المكان، فلعله ينجبر بهـذا الالتفات من عظمهم ما انهاض، ويتداركهم الله بلطفه على يد المشار إليه فتزول الأعراض و الإعراض، وأما قطر الحجاز الذي بعدل واليه قد امتاز. فهو فـي غاية الاعتدال، ونهاية السلامة من الاختلال، وقد كان على هذه الدولة ذلك المقطوع، فرد بأفول ذلك النحس لكوكب سعدها السطوع، وقد أشرت إلى السبب الحـامل على ذلك، في الكتاب الذي سبق هنالك، وقد كنا جهزنا قاصدا في أثناء

---

[1] الخرّيت: الدليل الحاذق بالدلالة، كأنه ينظر في خرت الإبرة.

[2] في الأصل: للفيام.

ـــــر رمضان، وسافر من الينبع[1] في سدسه الأخير إلى تلكم المظان، فلعله وفد ـيكم، وأوصل ما معه من الكتب إليكم.

وكانت وردت الأخبار، إلى هذه الديار، بوصول مراكب خمسة من البنادر ـيـية، فاستبشر بها أهالي الحرمين الرعاة منهم والرعية، فلما حاذى أولها بندر ـخـا[2]، وســخرت لسعره منه الريح الرّخا، تعرض له القبطان، بمن معه من ـنـد والأعــوان، فادخلوه البندر[3] قهرا بعد الممانعه، فطاوعهم قسرا حيث لم ـكنه المدافعه، وباقي المراكب تأخرت وتوهت، وقصر بها الريح أو الخوف من ـ يصـــنع بهـا ما صنع بالأول إن أقبلت وتوجهت، فلم يصل إلى جدة في هذا ـوســم مركب، فحصل لأهل الحرمين أشد كرب، فاقتضى رأيهم أن يكتبوا إلى ـيـــر اليمـــن ويشكوا عليه ما فعله القبطان، فكتبوا محاضر وكتب معهم ولاة ـمـر والأعــيان، ووجهوا بذلك رسلا فهاهم في انتظار الجواب، فان ارعوى ـ رسل لهم ما استولى عليه و إلا عرض الأمر على الأبواب.

وقــد وصـــل مثالكم المثيل، المتعالي عن الشبيه والمثيل، فأحاط النظر بما ـــمنتموه من المباني الفصيحة، والمعاني البليغة الصحيحة، وما شرحتموه فيه ـ فصل الفصل، الذي فدى الله فيه بالاتباع الفرع القادم من الأصل، فالحمد لله ــذي أبقاك، ومن سائر الأسواء حفظك ووقاك، إذا سلمت فكل الناس قد سلموا، ـ أشرتم إليه من إزماع النية على الوصول للحج، والقفول إلى هذا النهج، فلعل ـ قــدّر ذلـــك، وجعلكم من الوافدين في هذا العام إلى هذه المسالك، فلأجل ذلك ـعـــت الكـــتاب، في الكيس الذي يدفعه لأهل الركب النجاب، وكتبت إلى من ـصل إليه ويفد عليه، أن يوصله/126/ إلى جنابكم حيثما أنتم، فإن كنتم بالركب ـ لا فيبعثه حيث كنتم، وقد تعلق الخاطر بالمبعوث إلى الأنس، والمحسوب من ـنـــك وإن كان من عنصر الإنس، فإني بعد توجهه من هذه الديار، ما وصلني ـنـ شيء من الأخبار، فليت شعري أهو بمصر مقيم، أم عاد إلى وطنه، فإن كان ـمصــر فبلغوه عني سلام مشوق مفارق لشجنه، وكذلك على كل من بمصر من ـادة الأعيان، وأعزة الإخوان، ممن لا يسع الرقيم ذكر صفاتهم، ولا نشر بشر ـاتهم، بقيتم وإياهم في عزة قعساء، ورفعة تقر للمعالي عينا وتطيب لها نفسا.

وشـــرحتم فـــي الكـــتاب الموجه إلى هذا الجناب بعض صفات من وافقتم ـجمـــاع علـــى كمالـــه، وجذبتم بأزمّة المدح الطباع إلى محبة ذاته وخصاله، ـاصـــة الموالـــي الجهـــابذة الأعلام، سلالة الأعالي الأستاذة الكرام، درة تاج

---

[1] مدينة على ساحل البحر الأحمر في الحجاز معروفة بنخلها.

[2] مديـــنة ومـــرفأ في اليمن شمالي باب المندب، بها قبة الشيخ الكبير والولي الشهير علي بن عمر الشاذلي. العيدروسي، النور السافر، ج1، ص: 415.

[3] البندر: مربط السفن، والمرسى، والمدينة التجارية.

العلمـــاء، غرة نتاج العظماء، الجامع شرفي العلم والنسب، الحائز طرفي المجد الموروث والمكتسب، المحمود اسما وفعلا وصفه، الممدوح فرعا وأصلا بالفضل والمعرفه، المتشرف به ذلك القطر أعماله، مولانا محمود أفندي القاضي بمصر دام إجلالـــه، فلعمري لقد ذكرتم من صفاته بعض ما أعرف منها، وشرحتم من سماته ما يقصر لسان الوصف عنها، وقد كنت تشرفت بحضور مجلس والده عند شـــرف هـــذه الـــبقاع، وحظيـــت برؤيته فيه وتمليت من كماله وكلامه بالنظر والســـماع، وعســـاه لم يمح ذلك من صحيفة خاطره الكريم، ويتذكر من الداعي وداده المحـــض القديـــم، فعلى حضرته من الداعي له أشرف تحية وتسليم، وقد كتبت إليه الآن كتابا وجهته إلى جنابه العظيم.

هـــذا ولا برحـــتم فـــي عناية سالمة من الخطوب، ورعاية يتلقاها والدهر بالابتسام إذا قابل غيرها بالقطوب، والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه وسلم، تحريرا في أواسط ذي القعدة الحرام سنة 1035هـــ، ومحبكم الصـــنو القاضـــي أحمد وتلميذكم الولد حنيف الدين، والأغا مصطفى ابن حيدر الداعـــي لمكانكم المكين، يهدون إلى حضرتكم شرائف التحية والتسليم، ولطائف الأثنـــية والتعظـــيم، المخلـــص الداعي الفقير عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد. انتهى. ونص العنوان: الشيخ العلامة الإمام، الحبر الفهامة الهمام، صدر صدور المدرســـين، بـــدر الـــبدور المحدثيـــن، جمال المشرق والمغرب، كمال المفسر والمعرب، مولانا الشيخ أحمد المقري المالكي دام مجده وهام ضده، انتهى.

خطاب ابن مرشد إلى المؤلف:

وممـــا خاطبني به أيضا حفظه الله ما صورته: الحمد لله رب العالمين، يـ مـــن أجمّـــل رسائلي بذكر اسمه وسماته، وأكمل وسائلي بنشر وصفه وصفاته. وأتـــوج هامة كل مهرق بذكر فواضله وفضائله، وأبهج عمامة كل مفرق بإكليل شـــمائله وخصائله، وأزين كل محفل بفوائده وفرائده، وأحسن كل مشهد بصلاته وعوائـــده، أهـــدي إلـــيك تحية يتضاءل العنبر عند نشرها، ويتطاول العبهر إلى اســـتعارة عطـــرها، تحملها إليك نسائم الصبا، وتشملها لديك شمائم الربى، تؤم سوحك الذي تنتابه الآجاد، وتعم بوحك الذي تحبى به الأخلاء، وقفت فيه وقوف السائل المستفيد، والمجتدي الذي يحسن حسن الطلب ويجيد، منهية شوقي إلى تلك الـــذات المنطـــبعة مـــن عناصر الكمال، المجتمعة بها أواصر جمائل الخصال. الحائـــزة لكـــل منقبة ومكرمة، الحاوية لكل محمدة معظمة، ذات صاغها الله من خـــالص خـــلاص المجد والكرم، وطواها على محاسن الأخلاق ومكارم الهمم. وجمع فيها من الكمالات الموروثة والمكتسبة، ما كان برهانا أثبت به نسبه الكريم وحســـبه، وإنـــه مـــن بيت شيدت على الجوزاء دعائمه، وذيدت عن ورود نهر

مجــرته شــاة الذابح ونعائمه، فالله تعالى يطيل بقاءك، ويديم علوك وارتقاءك[1]، ويجمل بك كل قطر تشرفه، ويكمل بك كل مصر تحله وتعرفه.

هــذا وإن جــرى المولى على أسلوبه القديم، والتفت بالسؤال عن مخلصه الصــديق الحميم، فهو وذووه وولده وأخوه، وكل من ينسب إليه ويحسب عليه، بخــير وعافية، ونعمة وافرة وافيه، لم يزالوا بالثناء عليكم قائمين، وعلى الدعاء ببقائكم دائميــن، وأما أشواقهم إلى تلك الشمائل، وأتواقهم إلى هاتيك الخصائل، فشــيء تجــاوز السيل فيه الزبى، وعم الوهاد والربى، فيسالون رب العرش أن يعيد الأوبة، والتشرف بكم بمكة وطيبة.

وإن سألتم عن أحوال هذه الديار، وآثار هذه الأقطار، فهي بغاية الاعتدال، والسلامة من الاختلال،/127/ وقطانها متفيؤون في ظلال عدالة راعيهم، وهو لا يزال يحنو عليهم ويراعيهم، فنسأل الله أن يمد في عمره، ويؤيده بتأييده وينصره، وقد تقدم صحبة قاصد الجبل كتاب، هو لكتبكم الواصلة مع الركب جواب، ثم إن المخلــص لم يجد فرصة لإرسال كتاب ثان مع الركب، فحصل له من ذلك غاية الغــم والكــرب، كي لا تساء به الظنون، ويحمل على تناسي الود المصون، فلا والله مــا تــرك ذاك عــن قلى، كلا ولا ولا ولا، وإنما هو للاعتماد على صدق الــوداد، وحســن الظن به في سائر المواد، وهو على ما تعهدون بل مع ازدياد، والعــذر فــي اختصــار الكتاب الأول، الحوالة على كتاب مولانا القاضي أحمد النوبــي الــذي اعــتمده المخلص وعول، علما بأنكم وإياه على كمال الامتزاج والإتحــاد، ونهايــة الاختصاص والوداد، وإن كلا منكما يطلع على كتاب الثاني ويضطلع بما فيه من ألفاظ ومعاني.

وذكــرتم عــن التئامكم بمن تجملت به صورة الإياله، وأحكمت به سورة الجلالــه، حضرة مولانا أحمد باشا الحنظلي، ولولا الشهرة لما نطق بهذه النسبة المتصــلي، فإن حلاوة شمائله تأبى عن هذه النسبه، فهو أحق من ابن نباتة وابن ســكرة بهاذين الاسمين إذ هو بهما أشبه، فأغبطكم على التملي بفوائده، والتحلي بخرائده، فإنكم تتملون بها بسائر الحواس، والفقير يسمعها بعد حصول القنوط منها والإيــاس، وهــو لا يــزال رعاه الله يشنف مسامعي بجواهر أخباره، ويشرف مجامعي بزواهر آثاره، فأصير كأني أشاهد حوادث تلك الأقطار من كثب، فأشكر على ما أملاه منها وكتب، وقد كنت فقدت هذه النعمة مدة، وسنين عدة، فما زلت ادعــو الله بعودهــا فعــادت، وأجادت بما فيه أفادت، وقد كتبت إليه كتابا الآن، وأرسلته إلى حضرته العظيمة الشأن.

[1] كتب فوقها: في معارج المعالي.

. - الله كمالــــه. ونص العنوان: فخر العلماء الأعلام، ذخر الفضلاء الكرام، عدة ــضريــــن، قـــدوة الأمة في مهمات الدين، حلال المشكلات، كشاف المعضلات، ـ:لانا شيخ الإسلام، أحمد المقري المالكي دامت معاليه، وهامت أعاديه.

[خطاب من صاحب مكة والحجاز لي بما يظهر منه]

ووصلني صحبة هذا المكتوب مكتوب مختص من سلطان الحجاز، أدام الله ـــه الامتياز، ولا ندري هل هو من إنشاء مولانا الشيخ عبد الرحمن المذكور – :هو المظنون– أم لا، وهو:

الحمـــد لله، وتحـــته المخلـــص محسن بن حسين، وبعد الاسم الشريف ما ـــورته: إن أشـــرف ما تتوج به مفارق الرسائل، وألطف ما تبهج به مهارق :رسائل، هو جواهر التحية الفائقة على روض الرياحين، وزواهر الأثنية الفائحة ـي كل وقت وحين، المكتسبة العطر من هاتيك الشمائل، المنتسبة في النشر إلى ـيب تلك الخصائل، أعني بها شمائل الشيخ الإمام العلامة، الحبر الهمام الفهامة، ـدر المدرسين، إمام المحدثين، مفتي المسلمين، الشائع نبأ فضائله في الأقطار، ـــاري صبا شمائله في الأمصار، مولانا الشيخ أحمد المقري، أدام الله مجالس ـعلم به مشرفة المبادي، وأقام مدارس الفضل معمورة النادي، وبعد:

فالباعـــث علـــى بعـــث الكـــتاب، إلى ذلك الجناب، البقاء على ما يعهده، والاستمرار على ما قلبه السليم يشهده، ووصل المكتوب الكريم، المخجل منثوره ومـــنظومه لنجوم النثرة والدر النظيم، ففهم المخلص منطوقه ومفهومه، وعلم ما ودعتموه منثوره ومنظومه، وحمد الله على بقائكم في الصحة والسلامة، والعزة والكـــرامة، وما أشرتم إليه في حاشية الكتاب، لما وفق له الله المسبب الأسباب، فـــلا شك أن ذلك الانتقام بعض ما استحقه من قبل الله تعالى في عناده، غير أن العادة قد جرت بإجرائه على يد بعض عباده، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لإزاحة أربـــاب الفتـــن، وإراحـــة الرعايا من شرورهم والمحن، فلا تخلونا من دعائكم بالتوفـــيق لذلـــك، سلك الله بنا وبكم أحسن المسالك، وجمعنا بكم في حرمه، بمنه وكرمه، والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، تحريرا فـــي أواخـــر ذي الحجـــة الحرام سنة 1035هـــ. ونص العنوان: فخر العلماء الأعلام، ذخر مشائخ الإسلام، العلامة المفيد، الفهامة المجيد، مولانا الشيخ أحمد المقـــري، أدام الله إجلالـــه، وبلغـــه آماله، انتهى. ومن تأمل إنشاء مولانا شيخ الإسلام ابن مرشد المذكور، علم أن هذا لا يخرج عن نفسه، فالمعتقد أنه إنشاؤه، والله أعلم.

خطاب ابن مرشد إلى المؤلف:

ومما خاطبني به أيضا مولانا الشيخ عبد الرحمن المذكور، ما نصه: الحمد لله رب العالميـن، الحضرة التي لا أزال أتشوف إلى فوائدها وفرائدها، وأتملق إلـى رائـدي مصادرها ومواردها، وأتعطش إلى زلال علومها العذب الروي. وأتعـيش في ظلال كرومها التي يستروح بهوائها من هوي، مهديا تحيات طيبة العـرف، وتسـليمات صيبة الوكف، رافعا أكف ضراعة لا تكف، واضعا جناح استكانة كي لا أنفي عن معاهد الإجابة وأنف، بأن يديم الله تعالى بقاء بهاء العلم وأهلـه، ويديم سناء بناء المتلفعين بفضله، ببقاء سيدنا الذي هو المقصد الأسنى. والمورد الأهنى، المتدفقة من مشارعه علوم الشرع وأنهاره، المتألقة في مطالع نجـوم الدين وأنواره، الإمام المقدم في محراب الفضائل، الهمام المكرم عند كل فاضـل، العالم العلامة العبقري، مولانا الشيخ أحمد أبو العباس المقري، أدام الله فوائده التي هي كقلائد العقيان، وأدام فرائده التي تتحلى بها أجياد الأعيان.

وينهـي البقاء على ما يعهد، والدعاء والثناء في كل معهد، وإن المخلص وذويـه، ومن يشتمل عليه منزله ويحويه، وسائر معارفكم من جيران الحرمين. وأعيان المحلين المحترمين، بخير وعافيه، ونعمة وافرة وافيه، وكلهم يهدي إلى عقوتكم الرحيبة الفناء، وعدوتكم البهية السناء، من تحف التحايا، وطرف المزايا. ما هو اللائق بعلى جنابها، والموافق لسنى رحابها.

هـذا وقـد كان أرسل الفقير إليكم كتابا صحبة نجاب الجبل، ثم شغل عن توجه الركب عن تعزيزه بثان لما لا يخفى على علمكم الأجلّ، فتدارك التقصير. واعـتذر عـن التأخير، فأرسل كتابا ثانيا صحبة القاصد الواصل إلى مصر في أواسـط ربـيع الآخر، فبرز قاصد بعد وصوله بمدة ولم يأتنا ما يشعر بوصول الكتاب إلى مقامكم الفاخر، فحملنا ذلك على أن يد/129/ الخيانة، قد علقت بتلك الأمانة، أو أن الكتاب تأخر وصوله إلى ذلك الجناب، إلى زمن من فات به إدراك النجاب، وعلى كل حال فأنتم مشكورون، وبالخير مذكورون.

وإن سـألتم عـن أحوال هذه الديار، وآثار هذه الأقطار، فهي في غاية من الاعـتدال، ونهاية من شوائب الاختلال، بحمد الله الملك المتعال، غير أنهم سقط فـي أيديهـم من خبر توجه العسكر إلى ناديهم، واغتنم بذلك حاضرهم وباديهم. وازدادوا غمـا على غمهم، وهمّا على همّهم، بورود الأخبار الفظيعة، والقضية الشنيعة، من استيلاء الإمام الباغي على غالب البلاد اليمنية، ومحاصرته لصنعاء واستيلائه على مدينة زبيد، وإظهاره لشنائع البدعة، واستغوائه للرعاع، واتباعهم له بالسرعة، فلم يزل شانه في ازدياد، وأعوانه تعثو في الأرض بالفساد، وحيدر باشا محصور بصنعاء يطلب منه الأمان على نفسه وخاصته، ويمتنع عن إجابته إلا بشـرط الخـروج أعـزل ملقيا آلات حربه ولأمته، وقد انسدت ما بينه وبين

لحجاز السبل والفجاج، ولم يأتنا من حيدر بشا خبر منذ قدم الحجاج، وإنما تأتي الأخبار، من المجاورين لتلك الديار، وقد هرب أغوات بنادر اليمن إلى بندر جده، وهم مقيمون بها إلى هذه المدة.

وجاءنا الخبر في الأول إجمالا فما اعتمدنا عليه، ثم أكد نوع تأكيد فاستندنا في الرواية إليه، فكتبنا به في الكتب السابقة ونحن به غير جازمين، وإنما أسندناه إلى السماع من أفواه الواردين والعازمين، إلى أن وضح الصبح لذي عينين، وارتفع عن شمس التحقق سحاب الغين، فورد مكتوب من السيد مغامس بن ثقبة من بلد بيشة، وهو رجل صدوق مخبرا عن طائفة وثقهم وردت إليه، ولها أربعة عشر يوما عن صنعاء إلى حين الطروق، فحققت له هذا الخبر، فكتبت به إلى مولانا الشريف، فلزم علينا حينئذ الإعلام بذلك والتعريف، فكتبنا نسخا متعددة من صورة الكتاب، وأودعناه كتب الأمراء بذلك الجناب، وترجمناه بالتركية، ووضعناه في كتاب الحضرة الوزيرية، ومن جملة نسخه نسخة أدرجناها في كتاب محبكم القاضي مصطفى، فإن أحببتم الوقوف على ذلك فانظروها عنده. ففيها الاكتفاء،ولا شك أن وخامة هذا الأمر، تعم زيدا وعمرو، ويتصل ضررها من هذه الديار، ويطير شررها في هذه الأقطار.

فنسأل الله أن يكفينا وإياكم شر الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يؤيد دولة العثمانية، ويقطع دابر أعدائها من سائر البرية، وبلغوا عنا شرائف التحية والسلام، ولطائف الأثنية الفائقة على الخزام، إلى كل من يسأل عنا من سكان ذلك القطر المعمور، والصقع الذي هو بكل خير مغمور، ولا تسألوا عما نال أهل الحرمين من غم تجهيز العساكر، فأهل مكة بحرمانهم من غلالهم، فإن المركب بعد أن كان باسمهم توجه لغيرهم، وأهل المدينة بمشاركتهم لهم في المساكن والمآثر، فإلى الله في دفع هذه النازلة نفزع، وإلى سوح فضله الوافر نهرع، فلا تنسونا من دعائكم الصالح، بهاتيك المشاهد وتبتلكم الفالح، الموفي بالمقاصد، والسلام بالدوام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، تحريرا في العاشر من جمادى الأخيرة، سنة 1036هـ.

ومحبكم الصنو القاضي أحمد وولدكم حنيف الدين، يهديان إلى حضرتكم من التحية ما يفوق الورد والنسرين، وعلى كل حاضري ذلكم المقام من المخاديم والخدام، شرائف التحية والسلام، المحب الداعي الفقير عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الحنفي المفتي بمكة المعظمة، انتهى. وختمه المكتوب فيه اسمه يقابل اسمه الشريف على العادة من ظهر الورقة. ونص العنوان: الإمام الهمام، شيخ مشائخ الإسلام، مرجع الخاص والعام، لسان المتكلمين، حجة المناظرين، جمال العلماء في المحاضر، قدوة كل باد وحاضر، مولانا الشيخ أحمد المقري المالكي. أبقاه

الله لإحياء العلوم، وبلغه من خير الدارين ما يروم، انتهى. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

وكتب إليه أيضا:

/130/ وكتب لي أيضا بما نصه: الحمد لله رب العالمين، أبث من الأشواق ما لا يسع شرحه الكتاب، وأنث من الأتواق ما يقصر عنه أرباب فصل الخطاب. إلى ذات لم أزل أتخذها مني بمرأى ومسمع، وأتشرف بنشر ثنائي عليها في كل محفل ومجمع، وأنّى لي باستيفاء ما لها من صفات، واستقصاء ما اشتملت عليه من سمات، فاقتصر إذن واختصر، واستعين بأنفاسه الطاهرة وانتصر، وأنهي إليه بعد إهداء السلام عليه بقائي على ما يعهد، وثنائي عليه في كل معهد. ودعائي له في كل مشهد، بما يعلم به العليم ويشهد.

هذا وقد سطرت والوقت بأنواع الشواغل مشغول، والقلب بأصناف الصوارف موغول، غير أني انتهزت منه فرصه، واغتنمت فيه حصّه، ومحبكم الشيخ أحمد المزجاجي، يشنف مسامعي بفوائده ويناجي. فلا غرو أن وقع في هذه الصحيفة ما تحمر منه خجلا، ويصفي منه بياضها وجلا.

هذا وإن سألتم عن الفقير، فهو وذووه وأخوه بخير وعافيه، ونعمة وافيه. وكذلك كل من تعرفونهم من أهل الحرمين الشريفين، وجيران المحلين المنيفين. والكل منهم يهدي إلى ذلكم المقام، شرائف التحايا ولطائف السلام، وقد كانت جموع الحجاج في هذه السنة جموع قلة، وكأن شدة الحر كانت سببا لذلك وعلة. وقد كان غالب من وقف بالموقف من جنس الملائكه، فلا بدع أن أمست رحمة الله على أهل الموقف متداركه، وكذلك كانت الحجة في غاية السكينة والاطمئنان. ونهاية الاستقرار والأمان، بحيث لم يسمع بعرفة ولا مزدلفة صوت صائح، ولم يقع شيء من الأحوال الموجبة للفضائح، مع أن الدواعي لذلك متوفرة، والبواعث عليه متكثرة.

هذا وقد وصل كتابكم السامي، وخطابكم الشريف المتسامي، وفهم ما اشتمل عليه، وعلم ما أشير فيه إليه، فحمدنا الله على تسربلكم بسربال الصحة والسلامة، والعزة الوافية والكرامة، وقد كتبت هذه البطاقة، وليس لكاتبها على التبسط في المقام طاقة، فاقتصر على هذا القدر اليسير، وأعتمد على ما اقتضاه التيسير، ولعله يصلكم مع الركب كتاب مفصل، وخطاب مفرع ومؤصل، إن شاء الله تعالى، وتوخينا وصولكم في الركب، وأعددنا لكم الحجرة المشاهدة بيت الرب. فلم يقدر الله ذلك[1] فنرجو من كرمه أن يمن به في العام القابل، ويحيينا إلى أن

---

[1] انظر ص: 138.

جـتمع بكـم ونقـابل، وتبلغون منا جزيل السلام، وجزيل التحية والإكرام، إلى حضرة موالينا السادات، سيما مولانا أبو الاسعاد والسعادات، وكل من يسأل عنا من أهـل ذلك القطر المبارك، لازالت ألطاف الله عليه تتدارك، بقيتم في عزة وافـرة وافيه، ونعمة صافية ضافيه، والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـه وصـحبه وسـلم، تحريـرا في أواسط ذي الحجة الحرام سنة 1035هـ. المخلـص الداعـي الفقـير عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، انتهى. وصورة العنوان: مولانا الشيخ العلامة، الحبر الفهامة، صدر المدرسين، مفتي المسلمين، مولانـا الشـيخ احمد أبو العباس المقري أعزه الله تعالى وضاعف عليه بروره ونوالى.

وكتب المؤلف إليـه:

وكتبت اليه حفظه الله بما صورته:

إن أسـمى تحبـير ترقمه اليراعة على صدور الطروس، واسمى تعبير ترسـمه الـبراعة في سرور النفوس، واحسن صورة تجلى فوق منصة المنح، وبيـن سورة تتلى من قصة الفتح، حمد الرحمن الذي خصص عبده بما شاء من المـزايا والحكم، وخلص مجده عما ساء من السحايا والشيم، وزاد أجياد الفهوم بـدرره العالـية القيم، وصان إسناد العلـوم بغرره الهاطلة الديم، ومـد رواق الفضـل وسرادقـه، ببقاء حضرة العالم لم تـزل نتائج أخباره ومقدمات إكباره صادقـه.

العلامـة الذي أرخت المسرات بوجوده مواليدها، وألقت إليه رياسة الدين والدنـيا مقاليدها، وهز ثناؤه من رياض السؤدد أماليدها، البالغ به المجد أقصى المـرام، مفتي البلد الحرام، والخطيب والإمام بذلك المقام، لازال ممن قال ربي الله ثـم اسـتقام، وينهـي إليه بعد اهداء سلام يكاثر قطر الغمائم، ويناظر زهر الكمائم، البقاء على عهده الراسخ الدعائم، والدعاء لمجده الشامخ العاطر الشمائم. وهي طويلة لم يحضرني منها سوى ما ذكر.

وكتب إلى المؤلف:

/131/ وكتـــب إلي مولانا الشيخ عبد الرحمن المذكور حفظه الله ما نصه: الحمـــد لله رب العالميـــن، إن ارجى دعاء للقبول ما يرفعه الصائم عند إفطاره. ويســـمعه القائم عند اسحاره، تتلى سوره في الملتزم والحطيم، وتجلى صوره في مقـــام الخليل إبراهيم، فتؤمن عليه الملائكة الحافون بالبيت الحرام، الصافون في ذلك المعبد الشريف المقام، بان يديم الله تعالى مجالس العلم مأنوسة الربوع، ويقيد مـــدارس الفضـــل مأهولـــة الجمـــوع، بسيدنا المفرد الجامع، المتصدر في بهرة الجوامـــع، المحيي ماثر السلف الصالح، المنشي ما دثر من معالم الموفق الفالح. شـــيخ التدريس والفتوى، على التقديس والتقوى، ذي التآليف التي ائتلفت الألسنة على الثناء عليها، والتصانيف التي اتفقت الكلمة على الاستناد إليها، المدره المفوه الخطيـــب، المصقع المنوه الأريب، مولانا الشيخ أحمد أبو العباس أحمد المقري. لازال في دهره الواحد العبقري.

ويـــنهى إليه بعد إهداء سلام ينافح النسيم، ويصافح التسنيم، البقاء على ما يعهـــد، والثناء والدعاء له في كل معهد، وإن يسأل عن المخلص وذويه، ومن يشـــمله منزلـــه ويحويه، فهم بخير وعافيه، ونعمة وافرة وافيه، غير ما بهم من الأشـــواق إلـــى تلـــك الـــذات المجيده، سيما وقد انقطع عنهم ما عوّدوا به من المراســـلات المفيدة، فإنه لم يصل إليهم من تلقائه، اطال الله في مدة بقائه، كتاب منذ الموسم الماضي، فتوهموا أن يكون المولى عنهم غير راضي، أو اشتغل بما اشـــيع من فشو الطاعون بتلك الديار، أبعده الله عن بوح مولانا وأجار، فعند ذلك ذهبـــت الـــنفس كـــل مذهب، وتعبت من هبوب ريحه مذهب، فلجأوا إلى معاهد الإجابة، وتبتلوا بالدعوات المستجابة، في أن يرفعه الله عن سوح مولانا وحواشيه ويبعده عنه ويحاشيه.

وقد أرسلنا لكم صحبة السيد علي بن هيزع كتابا معطوفا على كتب الموسم السابقه، فلعله وصل إلى سوحكم مع من رافقه، ولم يتجدد بعد ذلك من الأخبار. ســـوى دوام الأستار، وزوال الغمة عن الأمة، وكشف الخطوب المدلهمة، بهلاك الظـــالم الغشوم، والفاجر المشوم، السيوري الذي أنسى سيرته سيرة هناد، وأنشأ مـــن أنواع المظالم ما قصر عنه شداد بن عاد، فأمهله الله إلى أن أخذه بغتة، ولم تكـــن ولايـــته فـــي هذه الدولة السعيدة الجديدة فلتة، وإنما كانت لمقاصد دبرت. ومصـــالح أسست وقررت، أشرت إلى شيء منها في كتاب مولانا القاضي أحمد النوبـــي، وأحـــيلكم علـــى الـــنظر عليه إن شئتم فهو لا يكتمه عنكم ولا يغبي. وأصـــونكم عن التصديع بشرحها في هذا الكتاب، والحاصل أنه هلك وذهب في

بهـنم وبيس المآب، وأمنت الرعية من شره، واطمأنت من كيده ومكره، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً.

وباقـي الأحـوال على ما تعهد من الانتظام، والاستقرار التام، وجميع من نمونـه من أهالي الحرمين، وسكان المحلين المحترمين، بخير وعافيه، ونعمة غـزة وافيه، يقرونكم التحية والسلام، وينهون إلى فوائدكم الاشتياق التام، سيما مخنـي أثـر أخـيه في الوداد، والمقتدي بأبيه في الإخلاص والاعتقاد، الصنو عصي أحمد، والولد حنيف الدين أرشده الله تعالى وأحمد، وعليكم منهما السلام ـرمـ. والثناء الأحمد، ومن يسأل الفقير من أهل تلك الكنانه، من أولي الصداقة ـــة والأمانــه، مخصـوص بشريف تحية زاكيه، وتسليمات وافرة وافيه، ـــدد. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

حرر في أوسط شهر رمضان العظيم الشان سنة 1035هـ، مخلص الود ـحـة عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، المفتي الحنفي بمكة زادها الله شرفا، ـيي. ونص العنوان: الشيخ العلامة الإمام، الحبر الفهامة الهمام، صدر العلماء ـعـدد. كمال مشائخ الإسلام، مولانا الشيخ أحمد المقري أدام الله إجلاله، وزاد ـ ـ ـ وبلغه أماله.

فهـــرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

أ ـــ الآيات القرآنية

ب ـــ الأحاديث النبوية

فهـــرس الأعـــلام

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ط، ظ ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق، ك ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ و، ي ـ

فهــرس الأماكن والبلدان

مصادر ومراجع التحقيق

- ابن بشكوال خلف بن عبدالملك، كتاب الصلــة. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994.
- ابن الخطيب لسان الدّين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1975.
- ابن خلدون عبدالرحمن، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1979.
- ابن خلكان شمس الدّين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار القلم، 1971.
- ابن زاكور محمد، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان. الجزائر: مطبعة الجزائر، 1902.
- ابن عبدالكريم محمد، المقري وكتابه نفح الطيب. بيروت: دار مكتبة الحياة. بدون تاريخ.
- ابن العربي أبوبكر، القبس في شرح موطأ ابن أنس، تحقيق أيمن الأزهري وعلاء الأزهري. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.
- ابن القاضي أحمد، جذوة الإقتباس. الرباط: دار المنصور، 1973.
- ابن القاضي أحمد، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي. القاهرة: دار التراث، 1970.
- الأصبهاني أبو النعيم، دلائل النبوة، تحقيق محمد رواس وعبد البر عباس. بيروت: دار النفائس، 1991.
- التازي عبدالهادي، جامع القرويين. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1972.
- التنبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبدالحميد عبدالله. طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، 1989.
- الجنحاني الحبيب، المقري صاحب نفح الطيب. تونس: مطبعة النهضة،1955.
- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار الكتب العلمية، 1992.
- حجي محمد، الزاوية الدّلائية ودورها الدّيني والعلمي والسياسي. جامعة الرباط،1964.

- حسن محمد عبدالغني، المقري صاحب نفح الطيب. القاهرة: مطبعة الدار القومية للطباعة والنشر، 1966.
- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته. بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992.
- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982.
- الحميري محمد، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان، 1984.
- الخفاجي شهاب الدّين، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض. بيوت: دار الكتاب العربي، دون تاريخ.
- الخفاجي شهاب الدّين أحمد، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا. مصر: المطبعة العامرة العثمانية، 1306هـ.
- الرصاع محمد، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي. تونس: المكتبة العتيقة، 1967.
- الزركلي خير الدّين، الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، 1995.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998.
- الشبيبي محمد رضا، أدب المغاربة والأندلسيين. بيروت: دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، 1984.
- الطرطوشي أبوبكر، سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبوبكر. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1994.
- العقيقي نجيب، المستشرقون. القاهرة: دار المعارف، 1984.
- العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت: دار المسيرة، 1979.
- العمادي عبدالرحمن، الروضة الريا فيمن دفن بداريا، تحقيق عبده علي الكوشك. دمشق: دار المأمون للتراث، 1988.
- عنان عبدالله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية. مطبعة دار المعارف، 1947.
- العياشي عبدالله، ماء الموائد(الرحلة العياشية). فاس: طبعة حجرية،1316هـ.
- العيني محمود، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري. بيروت: دار الفكر، 1998.
- الفكون عبدالكريم، منشور الهداية، تحقيق أبو القاسم سعدالله. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987.

- القادري محمد الطيب، نشر المثاني. فاس: المطبعة الحجرية، 1310هـ.
- الكتاني عبدالحي، فهرس الفهارس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982.
- الكعاك عثمان، المقري. تونس: مطبعة الشركة التونسية، 1374هـ.
- ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبدالقادر الخلادي. الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977.
- المباركفوري محمد، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990.
- المحبي أحمد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، دون تاريخ.
- محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي. بيروت: دار النفائس، 1986.
- ابن ابراهيم عباس، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام. فاس: المطبعة الجديدة، 1936.
- المقري شهاب الدّين أحمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرين. المحمدية: مطبعة فضالة، 1978.
- المقري شهاب الدّين أحمد، روضة الآس العاطرة الأنفاس، تقديم عبدالوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، 1983.
- المقري شهاب الدّين أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1968.
- مخلوف محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. دار الفكر للطباعة والنشر، دون تاريخ.
- الناصري أحمد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري. الدار البيضاء: دار الكتب، 1954.
- الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983.
- اليفرني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي. تصحيح هوداس. باريس: مطبعة انجي، 1888م.
- اليفرني محمد الصغير، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر. فاس: المطبعة الحجرية، دون تاريخ.
- اليوسي الحسن، المحاضرات. الرباط: مطبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976.

الفهـــــرس

منشورات
مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر
19 شارع السكة الحديدية/ سيدي بلعباس/ الجزائر
الهاتف والفاكس: 048 546440 048 549035